سفر السعادة

في ذكر حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول الوحي وبعده إلى أن لقي ربه

من عبادة . ومعاملة . ومعالجة أمراض القلوب . وسياسة أمته

للعالم العلامة الفقيه الفهامة الشيخ أبي طاهر
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي
الشيرازي صاحب القاموس
المتوفى سنة ٨١٦ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثالثة سنة ١٣٥٨ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

بمساعدة

بعض علماء الجامع الأزهر

قوبلت على ثلاث نسخ خطية فجاءت بحمد الله خيراً من الطبعة الثانية

طبع على نفقة جماعة من المؤمنين

حقوق الطبع والتعليق محفوظة

سفر السعادة

في ذكر حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول الوحي وبعده إلى أن لقي ربه

من عبادة، ومعاملة، ومعالجة أمراض القلوب، ومداواة أسقامها

للعالم العلامة الفقيه الفهامة الشيخ أبي طاهر

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي

الشيرازي صاحب القاموس

المتوفى سنة ٨١٦ هـ

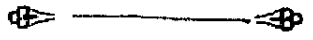

عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثالثة سنة ١٣٥٨ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

بمساعدة

بعض علماء الجامع الأزهر

قوبلت على ثلاث نسخ خطية فجاءت بحمد الله خيراً من الطبعة الثانية

طبع على نفقة جماعة من المؤمنين

حقوق الطبع والتعليق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والثناء على حضرة ذى الكبرياء، والصلاة بلا نهاية على رئيس الأنبياء وخلاصة الأصفياء، وآله وأصحابه الأتقياء، وعلى أرواح التابعين من الصالحين الأولياء. فلتعلم طائفة الأحباب والأصحاب، وزمرة العقلاء من ذوى الألباب أن طريق الحق الذى هو الصراط المستقيم من أجل أن غاية ذلك هو الحق جل شأنه أشرف الطرق وأجلها، وأنور السبل وأكملها وسلوكها بغير متابعة هاد ماهر، وخرّيت باهر لايمكن بل لايتصور لاجرم أن من تشرف بدرك هذا المعنى علم أن اتباع سيرة رئيس الهداة وكبير من اختير من حضرة الرحمن محمد المصطفى ﷺ والاهتداء بسنة جنابه المقدس هو سبب النجاة الأبدية، وموجب القرب والوصول إلى الحضرة الربانية، ولاوسيلة منها أشرف ولاطريقة منها أقرب، ومصداق ماقلنا قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) ومفهوم الكلمة الجامعة النبوية «الدين النصيحة»(١) ألجأنى إلى امتثال أجابة ملتمس كبير من الذرية المقدسة النبوية. ونبعة من الدرجة المكرمة المصطفوية فى إثبات أبواب ثبتت فى صحاح الأخبار المقدسة من الطريقة الأنيقة المحمدية والسنة السنية النبوية فأجرينا القلم بها لتكون دستورا لمن أراد درك هذه السعادة فليعتمد عليها فى باب العبادات اعتمادا كليا ولايعبأ بخلاف زيد. وعمرو، فان

(١) ذكره البخارى تعليقا ورواه مسلم مسندا عن تميم الدارى

هذه المسائل ستكتب على وجه ثبت عن رسول الله ﷺ باسانيد صحيحة ، وكل متعبد أتم سلوك هذا المنهج المستقيم بطريق الإخلاص أمكن يد طلبه التعلق بطرف مقصوده وتخلقت طينته الطيبة بالإخلاص المقدسة النبوية إن شاء الله تعالى .

﴿ وهذا سفر(١) السعادة ﴾ جعلناه محتويا على فاتحة . وخاتمة . وأبواب تحتوى على فصول ونأمل أن تحيط أنوار أسراره بالكافة . وتكتنف (العامة) إن شاء الله تعالى .

---

(١) هو بكسر السين المهملة الكتاب

فاتحة الكتاب

فى ذكر حال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحى وبيان عباداته فى تلك الأيام

لما بلغ ﷺ سبع سنين وتوفى جده عبد المطلب وافتخر عمه أبو طالب بشرف كفالته وتربيته أمر الله تعالى شأنه اسرافيل عليه الصلاة والسلام أن يقوم بملازمته فكان قرينه دائما إلى أن أتم إحدى عشر سنة ، ثم أمر جبريل عليه الصلاة والسلام بملازمته تسعا وعشرين سنة بطريق المرافقة والمقاربة لكن لم يظهر له ، وفى بعض الروايات الصحيحة أن اسرافيل ظهر له فى ملازمته مراراً وكلمه بكلمة وكلمتين ، وقبل نزول الوحى بمدة خمس عشرة سنة كان يسمع صوتا أحيانا ولا يرى شخصا . وسبع سنين كان يرى نوراً وكان به مسروراً ولم ير شيئاً غير ذلك ، ولما قربت أيام الوحى أحب الخلوة والانفراد فكان يتخلى فى جبل حراء وهو على ثلاثة أميال من الكعبة وبه غار صغير طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع وثلث فى بعض المواضع وفى بعضها أقل ، واختار محل الخلوة هناك ، وللعلماء فى عبادته فى خلوته قولان قال بعضهم : كانت عبادته بالفكر وقال بعضهم بالذكر ، وهذا القول الصحيح ولاتعريج على الأول ولا التفات اليه لأن خلوة طلاب طريق الحق على أنواع :

الأول : أن تكون خلوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق لا بطريق النظر والفكر وهذا غاية مقاصد أهل الحق لأن من خاطب فى خلوته كونا من الأكوان أو فكر فيه فليس هو فى خلوة قال شخص من طلاب الطريق لبعض الأكابر : اذكرنى عند ربك فى خلوتك قال : إذا ذكرتك فلست معه

فى خلوة ، ومن ثم يعلم سر أنا جليس من ذكرنى ، وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه :

الثانى : أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر لكى يصح نظرهم فى طلب المعلومات وهذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل وذلك الميزان فى غاية اللطافة وهو بادنى هوى يخرج عن الاستقامة ، وطلاب طريق الحق لايدخلون فى مثل هذه الخلوة بل تكون خلوتهم بالذكر وليس للفكر عليهم قدرة ولا سلطان ، ومهما وجد الفكر طريقا إلى صاحب الخلوة فينبغى أن يعلم أنه ليس من أهل الخلوة ويخرج من الخلوة ويعلم أنه ليس من أهل العلم الصحيح الالهى إذ لو كان من أهل ذلك لحالت العناية الالهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر .

الثالث : خلوة يفعلها جماعة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والاشتغال بما لايعنى فانهم إذا رأوا الخلق انقبضوا فلذلك اختاروا الخلوة .

الرابع : خلوة لطلب زيادة لذة توجد فى الخلوة وخلوة حضرة صاحب الرسالة من القسم الأول ، وكان بعيداً جداً من جميع المخالطات حتى من الأهل والمال وذات اليد ، واستغرق فى بحر الاذكار القلبية ، وانقطع عن الاضداد بالكلية ، وظهر له الأنس والجلوة بتذكر من لأجله الخلوة ولم يزل فى ذلك الأنس ومرآة الوحى تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال فظهرت تباشير صبح الوحى وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وتألقت فكان لايمر بشجر ولاحجر إلا قال بلسان فصيح : السلام عليك يا رسول الله فكان ينظر يمينا وشمالا ولايرى شخصا ولاخيالا فبينما هو فى بعض الأيام قائم على جبل حراء إذ ظهر له شخص فقال : أبشر

يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ، ثم أخرج له قطعة نمط(١) من حرير مرصع بالجواهر ووضعها فى يده ﷺ وقال : اقرأ . قال : والله ما أنا بقارىء ولا أرى فى هذه الرسالة كتابة قال : فضمنى إليه وغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أطلقنى وقال : اقرأ فقلت : لست بقارىء فغطنى حتى بلغ منى الجهد فعل بى ذلك ثلاثا وهو يأمرنى بالقراءة ثم قال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) ثم قال : انزل عن الجبل فنزلت معه إلى قرار الأرض فأجلسنى على دردبوك(٢) وعليه ثوبان اخضران ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل منها : تمضمض واستنشق وغسل كل عضو ثلاثاً وأمر النبى ﷺ أن يفعل كفعله . فلما تم وضوؤه أخذ جبريل كفاً من ماء فرش به وجه الرسول ثم قام وصلى ركعتين والرسول مقتد به ثم قال : الصلاة هكذا ، ولما فرغ من الوضوء والصلاة والتعليم غاب جبريل وجاء الرسول إلى مكة وقص على خديجة القصة وعلمها الوضوء والصلاة(٣) فناسب بعد تمهيد هذه الفاتحة أن نبتدىء أبواب العبادات النبوية بذكر كيفية الوضوء والصلاة ونلحق بها الصيام والأدعية وغيرها من العبادات إن شاء الله الكريم

﴿ باب طهارة مصنرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان فى غالب الأوقات يتوضأ لكل فريضة من الصلاة ، وفى بعض الأوقات يصلى بوضوء واحد عدة من الصلوات ، ومقدار الماء الذى كان يصرفه فى الوضوء دون الرطلين وكان لايزيد على أربعة أرطال ، وربما

---

(١) هو نوع من البسط (٢) هو بساط ذو خمل يشبه الفروة

(٣) أحاديث الصحيحين تدل على خلاف ما ذكره المصنف رحمه الله فلعل ما ذكره بعد وقعة الغار أن صح ما ذكره والله أعلم .

توضا بنحو ثلاثة أرطال ، وكان يبالغ فى الأمر بتقليل الماء ويبالغ فى النهى عن كثرة استعماله ، وقال : « إن للوضوء شيطانا اسمه ولهان فاحترزوا من وسوسته » ومر ﷺ بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال : لا تسرف فى الماء قال سعد : وهل فى الماء إسراف ؟ قال : نعم وإن كنت على نهر جار » وصح عنه ﷺ أنه توضأ وغسل أعضاء الوضوء مرة مرة ولم يزد وتوضأ وغسلها مرتين مرتين وتوضأ وغسلها ثلاثا ثلاثا وتوضأ فغسل بعضها مرتين وبعضها ثلاثا وتمضمض واستنشق بغرفة وبغرفتين وبثلاث ، استعمل نصف الغرفة فى المضمضة ونصفها فى الاستنشاق ؛ فعل ذلك متصلا فى الصور الثلاث(١) ولم يرد فى شىء من الأحاديث الفصل وحديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده أنه شاهد الفصل فى إسناده ضعف ، وكان يستنشق باليمنى ويستنثر باليسرى ويمسح جميع رأسه مرة لا يكرر . وروى التكرار فى حديث لكنه ضعيف ، وحيثما اقتصر على مسح بعض الرأس أتم على العمامة ولم يترك المضمضة والاستنشاق أبداً ولم يرو أحد عنه ذلك أبداً . وكان يتوضأ مرتبا متواليا ولم يخل بالترتيب والتوالى أبداً . وكان يمسح جميع رأسه أحيانا وأحيانا يمسح على العمامة وأحيانا يمسح على الناصية والعمامة ولم يقتصر على مسح بعض الرأس أبداً ، وكان يمسح الأذن ظاهراً وباطنا ، ولم يثبت فى مسح الرقبة حديث ، وحيث لم يكن فى رجله خف غسل وإلا مسح ، والأحاديث الواردة فى اذكار الوضوء لم يصح منها شىء والذى صح أنه كان يقول فى أول الوضوء : بسم الله وفى آخره : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

(١) أنظر الروضة الندية فانك ترى العجب وثمنها معتدل جداً وهى جزآن

أستغفرك وأتوب اليك ، قال أبو موسى الأشعرى : جئت بماء الوضوء لرسول الله ﷺ فتوضأ وسمعته يقول : اللهم اغفرلى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى قال : قلت : يارسول الله سمعتك تدعو بكذا وكذا قال : وهل تركت من شىء ؟ . ولم يكن ينشف أعضاءه بعد الوضوء بمنديل ولامنشفة وأن أحضروا له شيئاً من ذلك أبعده ، والحديث المروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها كانت له نشافة ينشف بها بعد الوضوء ، وحديث معاذ فى معناه كلاهما ضعيف ، وفى حالة الوضوء لم يصب الماء عليه أحد إلا فى وقت ضرورة ، والحديث الوارد فى تخليل اللحية قبله بعض أهل الحديث ورده البعض ، وأما تخليل الأصابع فكان يفعله أحيانا وورد تحريك الخاتم فى حديث ضعيف .

﴿ فصل ﴾ : ثبت فى الأخبار الصحيحة أن النبى ﷺ مسح على الخفين فى السفر والحضر . ومدة الحضر يوم وليلة فيما أمر وثلاثة أيام ولياليها فى السفر ، وكان يمسح على ظاهر الخف وورد فى مسح أسفله حديث ضعيف ولم يثبت فى الصحيح ، وكان يمسح على الجورب . وحديث الجرموق رواه الترمذى وصححه وضعفه جماعة من الحفاظ ، وكان لايقصد المسح ولا الغسل لكن ان كان فى حالة قصد الوضوء لابسا مسح وإلا غسل ولم يكن يلبس ليمسح ولاينزع ليغسل ، ولما كان للعلماء أقوال فى أفضلية المسح أوالغسل بينا ليعلم أن أحسن الأقوال هذا الذى وافق العادة النبوية .

﴿ فصل ﴾ : كلما تيمم ﷺ ضرب ضربة بكفيه المباركتين على الأرض الطاهرة ومسح بهما وجهه وظاهر كفيه ، ولم يرد فى الحديث الصحيح أنه ضرب ضربتين على التراب ولم يرد أنه مسح إلى المرفقين ، وما ورد من الأحاديث على خلاف ماقلناه فجميعه ضعيف ، وكان يتيمم من الأرض التى

يقصد الصلاة عليها ولا يفرق بين التراب والرمل وغير ذلك ، وقال : حيثما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وهذا الحديث صريح فى أن جنس الأرض طهور ولم نجد فى حديث صحيح أنه تيمم لكل فريضة تيمما جديداً بل أمر به مطلقاً وأقامه مقام الوضوء والله تعالى أعلم .

﴿ باب فى صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان إذا قام إلى الصلاة قال : الله أكبر ولم يرو عنه التكلم بلفظ النية ، وكان يرفع يديه مع التكبير حتى يحاذى بهما أذنيه وأحيانا يحاذى بهما كتفيه ثم يضع يمينه على يساره فوق صدره كذا فى صحيح ابن خزيمة ثم يشرع فى دعاء الاستفتاح وذلك مروى من عدة وجوه صحيحة (الأول) رواية أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم إنك أنت الله الملك لا إله إلا أنت أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا أنه لا يغفر الذنوب جميعاً إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيدك والشر ليس اليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك (الثانى) حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة فقلت بأبى وأمى أسكاتك بين التكبير والقراءة ماتقول ؟ قال : أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس

اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد (الثالث) حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (الرابع) ورد فى حديث آخر أنه كان يقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا سبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم ومن همزه ونفخه ونفثه . (الخامس) ورد فى رواية أخرى الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشراً ثم يحمد عشراً ويهلل عشراً ويستغفر عشراً ثم يقول : اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى عشراً ثم يقول : اللهم انى أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشراً (السادس) ورد فى رواية صحيحة أنه كان يقول بعد التكبير : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد اللهم نقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس (السابع) اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (الثامن) من الروايات أنه كان يقول بعد التكبير : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق ، وبعد هذه الاذكار يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر بالبسملة (١) فى بعض الأوقات ويخفيها فى بعض الأوقات وكان يقرأ

(١) سيأتى فى خاتمة الكتاب ان الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم لم يثبت

مرتبا مرتلا ويقف عند آخر كل آية ويمد آخر الكلمة ويقول : آمين بعد فراغ الفاتحة يجهر بها فى الصلاة الجهرية ويخفيها فى السرية ويوافقه فى التأمين المقتدون بأسرهم وكان يراعى سكتتين فى الصلاة سكتة بين التكبيرة وقراءة الفاتحة وسكتة ثانية بين فراغه من الفاتحة وقراءة السورة ؛ وجاء فى بعض الروايات أنه كان يسكت بين القراءة والركوع فتكون هذه سكتة ثالثة ، لكنها كانت فى غاية اللطف والقلة وكان يقرأ فى صلاة الصبح بعد الفاتحة سورة مطولة مقدار ستين آية أو مائة آية وأحياناً يقرأ سورة ق وأحياناً يقرأ سورة الروم وأحيانا يخفف إلى حد أنه كان يقتصر على قراءة إذا زلزلت وأحيانا بالمعوذتين(١) وكان فى السفر يقرأ أحيانا إذا الشمس كورت وكان يقرأ فى صلاة فجر يوم الجمعة سورة الم تنزيل السجدة فى الركعة الأولى وهل أتى فى الركعة الثانية وتخصيص يوم الجمعة بقراءة هاتين السورتين لأنهما اشتملتا على ذكر المبدإ والمعاد ودخول الجنة وهذه المعانى تكون فى يوم الجمعة لأن القيامة تكون فيه فلا جرم أن يذكر الأمة هذا المعنى بقراءة هاتين السورتين كما أنه كان يقرأ فى المحافل الكبار والمجامع المعظمة سورة ق ، واقتربت وأمثال ذلك . وأما صلاة الظهر فكان يطولها بحيث أنه كان فى بعض الأحيان بعد إقامة صلاة الظهر يسير الماشى إلى قباء ويرجع إلى الصلاة ولم يكن ركع فى الركعة الأولى وكان يقرأ أحيانا فى الركعة الأولى مقدار الم تنزيل السجدة وحيناً سبح اسم ربك الأعلى أو والسماء ذات البروج أو والليل أو الانشقاق أو والطارق وما أشبه ذلك وأما صلاة العصر فكانت مقدار نصف صلاة الظهر فى الطول وأحيانا أخف من ذلك . وأما صلاة المغرب فكان يطولها أحياناً بحيث أنه كان يقرأ سورة الأعراف فى الركعتين يقرأ فى كل ركعة نصفاً ، وحيناً

(١) ولم يكن يختصر على بعض آية .

يقرأ الصافات ، وسورة حم الدخان ، وحيناً سبح اسم ربك الأعلى وحيناً والتين ، وحينا المعوذتين ، وحينا المرسلات ، وحينا قصار المفصل . وقد صحت الروايات بهذا المجموع والسنة أن لا يواظب على نمط واحد من تطويل وتقصير بل يطول حينا ويقصر حينا بحسب الحال والوقت . وأما صلاة العشاء فقد عين لمعاذ سورة والشمس وسبح اسم ربك الأعلى أو والليل ، ومنعه من قراءة البقرة ونحوها وزجره وقال له ﷺ : أفتان أنت يامعاذ ، وفى بعض الأحاديث عين له والسموات — يعنى إذا السماء انفطرت ، والانشقاق والبروج والطارق — وأما صلاة الجمعة فانه كان يقرأ فى الأولى سورة الجمعة ، وفى الثانية سورة المنافقين ، وحين التخفيف يقرأ سبح اسم ربك الأعلى ، والغاشية ، وأما قراءة آخر سورة الجمعة فى الركعة الأولى وآخر سورة المنافقين فى الثانية فخالف للسنة . وأما صلاة العيد فكان يقرأ فيها سورة ق وسورة اقتربت ، وقد يقرأ سبح اسم ربك الأعلى والغاشية ، وعلى هذا واظب إلى آخر عمره . لاجرم أن الخلفاء الراشدين ساروا على طريقه فكان الصديق رضى الله تعالى عنه يقرأ فى صلاة الصبح سورة البقرة ، وأمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه كان يصلى الصبح حينا بيوسف والنحل وحيناً بهود وبنى إسرائيل ، ولو نسخت إطالة الصلاة لما فعلها الخلفاء الراشدون . وفى حديث أنس كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة فى تمام ، والمراد من هذا الحديث إن طول صلاته بالنسبة إلى صلاة غيره كان قليلا إلى الغاية كمعاذ مثلا فانه كان يقرأ فى صلاة العشاء سورة البقرة ، والتخفيف أمر نسبى ، وفى سنن النسائى ثابت أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويأمنا بالصافات . فقراءة والصافات فى الصلاة من باب التخفيف الذى أمر به الصحابة ولم يعين شيئاً

من السور لشيء من الصلوات سوى الجمعة والعيدين . قال عبد الله بن عمر: ما من سورة من طوال المفصل وقصاره إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ يقرأها في صلاة الفريضة ، وكان يقرأ السورة بتمامها غالباً ، وفي النادر كان يقرأ بعض السورة لبيان الجواز وحيثما اقتصر على بعض السورة كان أولها فأما قراءة آخر السورة وأوسطها فانه لم يرد وكان يطول الركعة الأولى على الثانية دائما ، وكان يطيل صلاة الصبح على ما سواها من الصلوات لأن النزول الرباني في ثلث الليل الأخير باق إلى انقضاء صلاة الصبح ، وبعضهم يقول إلى طلوع الفجر وكلاهما مروى ، وبعض المشايخ يقول : لما كان في عدد ركعات الصبح نقص كمل بالتطويل أو لأنها وقعت بعد الراحة بنوم الليل أو لأنها وقت ليس فيه اشتغال بأمر المعاش والدنيا ، وفيه يتواطأ القلب واللسان والسمع ويسهل فيه تدبر القرآن لاجرم تعين صرف تمام العناية إلى التطويل والتكميل .

﴿ فصل ﴾ كان النبي ﷺ إذا فرغ من القراءة سكت قليلا ثم كبر ورفع يديه وركع وثبت كفيه على ركبتيه وجافى مرفقيه عن جنبيه وسوى ظهره ورأسه من غير رفع ولا تنكيس وقال : سبحان ربي العظيم ثلاثا وفي بعض الأحيان كان يضم إلى ذلك سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي وقد يقتصر على هذا ، وطول ركوعه في الغالب كان قدر قول القائل سبحان ربي العظيم عشر مرات والسجود قريب من ذلك ، وأما حديث البراء في الصحيحين رمقت الصلاة خلف رسول الله ﷺ فكان قيامه وركوعه واعتداله وسجدته وجلسته ما بين السجدتين قريبا من السواء فانه محمول على أنه كان يطول الركوع والسجود حيث كان القيام طويلا ويخفف الركوع والسجود حيث كان خفيفا ، وهذا التأويل متعين لأنه كان أحيانا يقرأ سورة

الأعراف فلو كان الركوع والسجود والجلسة مقدار ذلك لتمت الصلاة في نصف الليل لكن في الصحيح أنه كان ركوعه وسجوده في بعض الأحيان قريبا من القيام كما في صلاة الخسوف والكسوف وفي التهجد أحيانا إلا أنه كان غالب حاله الاعتدال كما بيناه، وكثيرا ما كان يقول في ركوعه وسجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وفي بعض الأحيان كان يقول: اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت وعليك توكلت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعصبي وعظمي، وهذا كان في صلاة التهجد، وكان إذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه وقال: سمع الله لمن حمده، وقد ثبت رفع اليدين في هذه المواضع الثلاثة، ولكثرة رواته شابه المتواتر، فقد صح في هذا الباب أربعمائة خبر وأثر، ورواه العشرة المبشرة بالجنة، ولم يزل على هذه الكيفية حتى رحل عن هذا العالم ولم يثبت شيء غيرها وكان إذا رفع رأسه من الركوع استوى قائما وكذا بين السجدتين. وقال: لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود، وكان في بعض الأحيان إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا ولك الحمد أو قال: اللهم ربنا لك الحمد وكلاهما صحيح، لكن الجمع بين اللهم والواو لم يثبت، وكان يطول هذا الركن مقدار الركوع غالبا، وأحيانا كان يقول: سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شيء بعد أهل الثناء وأهل المجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأحيانا يقول: اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ونقني من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، وأحيانا يقول: لي الحمد لربي الحمد يكررها مقدار الركوع، وفي بعض الأحيان كان يطول

الاعتدال حتى تظن الجماعة أنه نسى وكذا فى السجود فقد كان يطول فى بعض الأحيان حتى يظن المأموم أنه قد نسى هذا الذى ثبت من عادته فى الركوع والسجود ﷺ ، وحديث البراء بن عازب قال : كان ركوعه وسجوده بين السجدتين وإذا رفع رأسه من الركوع ماخلا القيام والقعود قريبا من السواء صريح فى التسوية بين قيام القراءة وقعود التشهد فى الطول وبين سائر الأركان فى الطول والقصر وليس المراد القيام بعد الركوع ، وتخفيف هذين الركنين ـ أعنى الاعتدال والجلسة بين السجدتين ـ وتقصيرهما من محدثات بنى أمية ولم تكن من العادات النبوية بوجه من الوجوه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا هوى ساجدا لم يرفع يديه ، والذى ورد فى بعض الأحاديث أنه كان يرفع يديه فى كل خفض ورفع سهو ، والرواية الصحيحة أنه كان يكبر فى كل خفض ورفع وكان يضع ركبتيه على الأرض قبل يديه ثم يضع يديه ثم جبهته وأنفه على ترتيب البدن . وأما حديث أبى هريرة الذى رواه عن النبى ﷺ أنه قال : إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه وهم من بعض الرواة لأن أول الحديث ينقض آخره فان البعير يضع يديه قبل ركبتيه حال البروك والذى قال ركبة البعير فى يديه وهم وغلط وخالف قول أئمة اللغة ، والصواب أنه نهى عن التشبه بالحيوانات وقال : لاتبركوا بروك البعير ولا تلتفتوا التفات الثعلب . ولا تفترشوا افتراش السبع . ولاتقعوا إقعاء الكلب . ولا تنقروا نقر الغراب ولا ترفعوا أيديكم فى حال السلام كأذناب الخيل الشُّمس . واجتنبوا جميع ذلك ، وجاء فى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه ﷺ قال : إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك بروك الفحل ، وفى صحيح ابن خزيمة

كان رسول الله ﷺ إذا سجد بدأ بركبتيه ، وفى رواية سعد كنا نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا بالركبتين قبل اليدين ، وأكثر العلماء على هذا إلا الإمام مالكا والأوزاعى وطائفة من أهل الحديث ، ولم يسجد النبى ﷺ على كور عمامته أبدا بل كان يضع جبهته على التراب أو على الطين والماء أو على سجادة من سعف النخل أو على جلد مدبوغ ، وكان إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض وجافى يديه عن جنبيه ووضع كفيه حذو منكبيه وقال : إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك ، وكان يفرج بين أصابعه فى الركوع ويجمع بينها فى السجود وكان يقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ويأمر به وبعد ذلك يقول : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى سبوح قدوس رب الملائكة والروح لا إله إلا أنت اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله أوله وآخره علانيته وسره اللهم اغفر لى خطئى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطيئتى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت إلهى لا إله إلا أنت ، وفى بعض الأحيان كان يقول : اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وأمامى نورا وخلفى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا واجعل لى نورا وكان يؤكد الاجتهاد فى الدعاء حالة السجود ويقول : جدير دعاء الساجد بالإجابة ، والدعاء على نوعين : دعاء ثناء وتمجيد ، ودعاء طلب وسؤال : والدعاء الذى كان يأتى به يشملهما . والاستجابة أيضا على نوعين :

أحدهما استجابة دعاء الطالب ببذل مطلوبه ومسئوله وقضاء حاجته . الثانى أن يقابل على دعائه بثواب وعلى كلا الوجهين فسر قوله سبحانه (أجيب دعوة الداعى إذا دعان) والصحيح أنه شامل للنوعين والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يطول الركعات من صلاة الليل بخلاف ركعات النهار ، وربما قرأ فى ركعة واحدة سورة البقرة وآل عمران والنساء ، أما عدد ركعات صلاة الليل فلم يزد على إحدى عشرة ركعة ، ومن ثم اختلف العلماء فى أفضلية القيام والسجود قالت طائفة من العلماء : القيام أفضل لأن النبى ﷺ كان يطول صلاة الليل تطويلا عظيما ولو كان السجود أفضل لطوله ، وأيضا الذكر المشروع فى القيام أفضل الأذكار فيكون ركنه أفضل الأركان وأيضا ورد فى الحديث الصحيح أفضل الصلاة طول القنوت، المراد بالقنوت القيام ، وقالت طائفة من العلماء السجود أفضل لما ورد فى الحديث الصحيح أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وقال فى موضع آخر : ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وقال ربيعة الأسلمى : يارسول الله إنى أتمنى مرافقتك فى الجنة فقال ﷺ : أعنى على نفسك بكثرة السجود ، وأيضا أول سورة أنزلت من القرآن المجيد اقرأ وختمها بالسجود ، وأيضا فى السجود دلالة على زيادة الخضوع والعبودية دون غيره من الأركان والسجود سر العبودية لأن العبودية هى الخضوع والذلة وهى فى السجود أزيد وأظهر ، وقالت طائفة من العلماء : طول القيام فى الليل أفضل وكثرة الركوع والسجود فى النهار أفضل لاختصاص عبادات الليل بالقيام ، قال الله تعالى . (قم الليل) وقال ﷺ : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وبعض العلماء

يقول : بتساوى هذين الركنين فى الفضل ففضيلة القيام بقراءة القرآن ، وفضيلة السجود بهيئة التذلل والخشوع ، فذكر القيام أفضل من ذكر السجود وهيئة السجود أفضل من هيئة القيام .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا فرغ من السجدة الأولى رفع رأسه وجلس بين السجدتين مقدار سجوده ثم قال : رب اغفرلى رب اغفرلى اللهم اغفرلى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى ، وأحيانا كان يطول هذه الجلسة حتى يظن أنه نسى ولم يكن يقوم بعد السجدة الثانية ما لم يجلس على الأرض ، والفقهاء يسمون هذه جلسة الاستراحة وحملها بعضهم على السنة وبعضهم على الحاجة فلا تسن فى حق من لم يحتج إليها ، وكان إذا قام شرع فى القراءة من غير توقف والسكتة التى فعلها فى الركعة الأولى لم يفعلها فى سائر الركعات وكان يصلى الثانية والثالثة والرابعة كالأولى إلا فى أربعة أشياء السكتة ودعاء الاستفتاح وتكبيرة الإحرام وتطويل هذه الأربعة مختص بالركعة الأولى ، وكان إذا جلس للتشهد افترش رجله اليسرى فجلس عليها ونصب اليمنى ووضع يده على فخذه الأيمن وعقد أصابعه عقد ثلاث وخمسين ورفع إصبعه المسبحة وحركها ، وكان يخفف التشهد الأول وبعد قيامه من التشهد كان يرفع يديه ويكبر ثم يشرع فى القراءة ويقتصر على الفاتحة فى الثالثة والرابعة غالبا وقد يقرأ سورة مختصرة على سبيل الندرة وإذا جلس للتشهد الأخير جعل رجله اليسرى تحت رجله اليمنى وقوى المقعدة على الأرض ، وهذه الكيفية لم تكن فى الجلسة الأولى أصلا ، وللعلماء فى هذه الكيفية أقوال قال بعضهم : يتورك فى التشهدين وهو مذهب الامام مالك ، وقال بعضهم : يفترش فيهما ينصب اليمنى ويفترش اليسرى ويجلس عليها وهذا مذهب الإمام أبى حنيفة ، وبعضهم يقول : يتورك فى كل تشهد يسلم عقبه ويفترش فيما

عداه وهذا مذهب الإمام الشافعي ، وبعضهم يقول : كل صلاة فيها تشهدان يتورك فى الآخر ليفرق بين الجلوسين وهذا مذهب الإمام أحمد ، والأئمة الأربعة رضى الله تعالى عنهم افترقوا فى هذه المسئلة على أربعة أقوال ووافق كل واحد منهم جماعة من الصحابة والتابعين ، وأكمل سياق ورد فى بيان صفة صلاة رسول الله ﷺ حديث أبى حميد الساعدى فى صحيح ابن حبان . وصحيح مسلم قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ويقيم كل عضو فى موضعه ثم يقرأ ثم يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه معتدلا لا يصوب رأسه ولا يقنع به ثم يقول : سمع الله لمن حمده ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه حتى يقر كل عظم إلى موضعه ثم يهوى إلى الأرض ساجدا ويجافى يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثنى رجليه فيقعد عليهما ويفتح أصابع رجليه إذا سجد ثم يسجد ثم يكبر ويجلس على رجله اليسرى حتى يرجع كل عظم إلى موضعه ثم يقوم فيصنع فى الأخرى مثل ذلك ثم إذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه كما صنع عند افتتاح الصلاة ثم يصلى بقية صلاته هكذا حتى إذا كانت السجدة التى فيها التسليم أخرج رجليه وجلس على شقه الأيسر متوركا ، وفى صلاة الصبح كان يقنت حينا ويترك حينا وبسم الله الرحمن الرحيم كان يجهر بها حينا[١] ويخفيها حينا وكان يسر فى الظهر والعصر وقد يرفع صوته قليلا فى بعض الآيات بحيث يسمعه المؤتمون ولم يكن يلتفت فى الصلاة وقال هو اختلاس يختلسه الشيطان وقال : اجتنبوا الالتفات فى الصلاة فإنه هلاك وإذا لم يجد بداً من الالتفات فليكن فى صلاة النافلة ، وأما قول ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يلحظ فى الصلاة يمينا

(١) سيأتى فى الخاتمة إن الجهر بها لم يثبت .

وشمالا ولا يلوى عنقه خلف ظهره ، وإن كان فى جامع الترمذى فهو غريب ولم يثبت ، سأل شخص الإمام أحمد فقال : بعض أهل الحديث يروون بإسناد أن النبى ﷺ كان يلحظ فى الصلاة ولا يلتفت فأنكر عليه الإمام أحمد ذلك إنكارا عظيما وتغير لونه وارتعش وقال : هذا حديث ليس له إسناد لكن قد ثبت أنه كان فى بعض أسفاره وقد أرسل فى جهة العدو شخصا ليطالعه بأخبارهم واشتغل بالصلاة وكان يلتفت إلى جهته فى أثناء الصلاة ، وهذا على سبيل الندرة وفى صلاة النافلة ولمهم دينى ومصلحة أهل الإسلام منوطة به ، وهو من باب تداخل العبادات لأنه اشتغل فى أثناء الصلاة بالجهاد ، وصلاة الخوف تشبه هذا المعنى وكان عمر رضى الله عنه يقول : إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة وكان ﷺ يقرأ التحيات بعد كل ركعتين وكان يدعو فى سبعة مواطن : الأول عقيب تكبيرة الإحرام كما ذكرناه ، والثانى قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة وذا فى الوتر ، الثالث بعد الاعتدال من الركوع كان يقول : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ (الرابع) فى حال الركوع كان يقول : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى (الخامس) فى السجود وفى الغالب كان يدعو فى السجود كما بينا (السادس) بين السجدتين كما قلنا (السابع) بعد التشهد قبل السلام أما الدعاء الذى يفعله الأئمة بعد السلام فإنه لم يكن من عادة النبى ﷺ : ولم يثبت فى هذا الباب شىء من الأحاديث وهو بدعة مستحسنة[١] وجميع أدعية الصلاة كانت فى نفس الصلاة وبذلك أمر .

(١) أقول لا استحسان فى الدين لأحد من الخلق .

وبعض أئمة العلم يقول : الذكر والتهليل والتسبيح والتمجيد عند الفراغ من الصلاة مشروع بلا خلاف . وتستحب الصلاة على النبي ﷺ فناسب أن نعقب ذلك بالدعاء وطلب الحاجات من حضرة ذى العزة .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يقول بعد التشهد : السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت على جانبه الأيمن حتى يرى بياض خده وكذا فى الجانب الأيسر ، وعلى هذا دام عمله رواه خمسة عشر صحابيا بأسانيد صحاح . وأما الذى فى حديث عدى بن عمير كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فإسناده ليس بالقائم ولم يثبت عند أهل الحديث ، وأما حديث عائشة رضى الله عنها كان يسلم تسليمة واحدة يرفع به صوته حتى يوقظنا هذا الحديث أيضا معلل وإن لم يكن معللا فليس فيه صريح دلالة على المقصود لأنه لم ينف السلام الثانى بل سكت عنه .

﴿ فصل ﴾ من جملة الأدعية التى كان يقرؤها فى الصلاة : اللهم اغفرلى ذنبي ووسع لى فى دارى وبارك لى فيما رزقتنى ، ومنها أيضا اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ماتعلم وأستغفرك لما تعلم وكثيرا ماقال فى السجود : رب أعط نفسى تقواها زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، وكان يقول فى التشهد : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إنى أعوذ بك من المغرم والمأثم ، وجميع الأدعية التى كان يقولها فى الصلاة رويت بلفظ الإفراد مثل رب اغفرلى وارحمنى واهدنى . ومثل اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد اللهم باعد بينى وبين خطاياى وما أشبه ذلك (فإن قيل) : ورد فى حديث صحيح لايؤم عبد قوما فيخص نفسه

دعوة فإن فعل فقد خانهم (فالجواب) نقول : قال إمام أهل الحديث أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه : هذا الحديث موضوع ومردود ، وقال بعض العلماء : إن ثبت هذا الحديث فيكون المراد به دعاء ورد بلفظ الجمع مثل اللهم اهدنا وغير ذلك .

﴿ فصل ﴾ اعلم أن السرور والانشراح . ونور العين . وطيب القلب الذى كان يجده فى الصلاة ما كان يجده فى غيرها من العبادات ولا من الأوقات ، وقال ﷺ : جعلت قرة عينى فى الصلاة ، وقال ﷺ : يا بلال أرحنا بالصلاة ومع هذا لم تفته مراعاة أحوال المأمومين ولسماع بكاء الطفل كان يخفف الصلاة وأحيانا كان يتعلق به وهو فى الصلاة طفل فيحمله على عاتقه . وأحيانا كان يأتى الحسين وهو فى السجود فيركب على ظهره المبارك فيطيل السجود لأجله . وأحيانا كانت عائشة تأتى وهو فى الصلاة وقد أغلق الباب فيخطو ليفتح الباب لها . وأحيانا كان يسلم عليه وهو فى الصلاة فيجب بالإشارة باسطا يده وقد أومأ برأسه المبارك وكانت عائشة نائمة تجاه صلاته فكان عند السجود يضع يده على رجلها لتخلى مكان السجود بضم رجلها ، وكان قد يصل إلى آية السجدة وهو على المنبر فيهبط إلى الأرض يسجد ثم يصعد ، واختصم وليدتان من بنى عبد المطلب فتصارعتا فلما دنتا منه أمسكهما بيده وفرق بينهما وكان يبكى فى الصلاة كثيرا ويتنحنح أحيانا لحاجة ويصلى منتعلا وغير منتعل ، وقال : صلوا فى نعالكم خلافا لليهود ، وكان يصلى فى ثوب واحد حينا وحينا فى ثوبين ويقنت فى صلاة الصبح أحيانا ويترك أحيانا قال أهل الحديث : قراءة القنوت فى صلاة الصبح سنة وتركه سنة ومع هذا لا ينكرون على من يواظب على ذلك ولا يعدونه مبتدعا ولا تاركا للسنة بل يقولون : من قنت فقد

أحسن ومن ترك فقد أحسن والدلائل على الطرفين كثيرة ، ولما كان القصد بيان الطريقة النبوية اقتصرنا على ذلك .

﴿ فصل فى نسيان الرسول ﷺ فى الصلاة ﴾

من جملة منن الحق تعالى ونعمه على الأمة المحمدية أن النبى ﷺ كان يسهو فى الصلاة أحيانا لتقتدى الأمة به فى التشريع وإذ ذاك كان يقول : إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكرونى وقال : إنما أنسى أو أنسى — يعنى لأسن ماشرع فى حيز ذلك — ثبت فى الصحيحين أنه كان فى صلاة الظهر ، ولم يشرع فى التشهد بل قام إلى الثالثة فسبحت الصحابة رضى الله تعالى عنهم فأشار إليهم بيده أن قوموا ولما فرغ من التشهد الثانى أتى بسجدتين ثم سلم بعد ذلك ، فعلم من هذا أن من نسى شيئا من الصلاة غير ركن يسجد للسهو سجدتين وإذا شرع فى ركن لايرجع إلى ما كان نسيه ، ونوبة أخرى فى صلاة العصر أو الظهر سلم فى الركعة الثانية وتكلم ثم تذكر فأتم وأتى بسجدتين بعد السلام وكبر بينهما وسلم بعد ذلك أيضا . وفى مسند الإمام أحمد أنه صلى فى بعض الأيام وخرج من الصلاة وبقى منها ركعة فلما خرج من المسجد خرج طلحة بن عبيد الله فى عقبه وقال : قد نسيت ركعة فرجع إلى المسجد وأمر بلالا بالإقامة وصلى ركعة وسلم ثم رجع ، ونوبة أخرى صلى الظهر خمسا فقالت الصحابة : أزيد فى الصلاة ؟ فقال : وماذاك ؟ فقالوا : صليت خمسا فسجد سجدتى السهو وسلم واقتصر على ذلك ، ونوبة أخرى صلى العصر ثلاثا ورجع إلى البيت فتعقبه الصحابة وأعلموه فرجع إلى المسجد وصلى ركعة وسلم وسجد بعد السلام للسهو سجدتين ثم سلم واقتصر على ذلك ، هذه خمسة مواضع روى أنه ﷺ سها فيها فى جميع عمره ، ولم

يثبت غير هذا ، وسجد للسهو قبل السلام فى بعض المواضع وبعده فى بعضها فجعلها الإمام الشافعى فى كل حال قبل السلام ، والإمام أبو حنيفة جعلها بعد السلام فى كل حال . وقال الإمام مالك : يسجد لسهو النقصان قبل السلام ولسهو الزيادة فى الصلاة بعد السلام وإن اجتمع سهوان أحدهما زائد والآخر ناقص يسجدلهما قبل السلام ، وقال الإمام أحمد : يسجد قبل السلام فى المحل الذى سجد فيه النبى ﷺ قبل السلام وماعداه يسجد للسهو بعد السلام ، وقال داود الظاهرى : لايسجد للسهو إلا فى هذه المواطن الخمس التى سجد فيها رسول الله ﷺ ولو سها فى غيرها لايسجد للسهو . ولم يعرض له ﷺ الشك فى الصلاة ولكن قال : من شك فليبن على اليقين ولايعتبر الشك ويسجد للسهو قبل السلام ، وقال الإمام أبو حنيفة : إن كان له ظن بنى على غالب ظنه ، وإن لم يكن له ظن بنى على اليقين ، وقال الإمام مالك . والإمام الشافعى . والإمام أحمد : يبنى على اليقين مطلقا .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يفتح عينه المباركة فى الصلاة ، ولم يكن يغمضها كما يفعله بعض المتعبدين ، وفى حديث أنس الذى أتى به البخارى فى صحيحه أن عائشة رضى الله عنها كان لها ستر سترت به جانب البيت فقال : بعدوا هذا الستر فإن تصاويره تعارضنى ، وروى فى حديث عائشة أنه ﷺ لبس ثوبا معلما وكان ينظر إلى أعلامه فى الصلاة فلما فرغ قال : اذهبوا بثوبى هذا لأبى جهم وائتونى بالكساء الانبجانى(١) الذى له فإن أعلام هذا شغلت خاطرى فى الصلاة ، وحديث مشاهدة الجنة فى الصلاة وأنه ﷺ

---

[١] قال ابن الأثير المحفوظ بكسر الباء ويروى بفتحها منسوب إلى منبج المدينة المعروفة وهى مكسورة الباء ففتحت فى النسب وابدلت الميم همزة إذا نون انظر مايفعله متدينو هذا العصر فى بيوتهم .

مد يديه ليتناول قطفا من فاكهتها ، وحديث رد السلام باليد ، وحديث تعرض الشيطان ، وأنه ﷺ قبضه وخنقه هذا المجموع رؤية العين وهو دليل على عدم تغميض العين فى الصلاة أما إذا عرض لشخص تفرقة وشتات فلا يكره له تغميض العين بل هو إلى الاستحباب أقرب والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا فرغ من الصلاة قال ثلاث مرات : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام قال هذا ثم نهض راجعا إلى الحجرة . وروى فى بعض الأحاديث الصحيحة أنه كان يقول عقيب الصلاة المفروضة : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لمامنعت ولاينفع ذا الجد منك الجد لاإله إلا الله ولانعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله ولانعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . وفى سنن أبى داود عن أمير المؤمنين على أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم من الصلاة قال : اللهم اغفرلى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت . وفى مسند الإمام أحمد مروى عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ كان يقول عقب كل صلاة : اللهم ربنا ورب كل شىء أنا شهيد أنت الرب وحدك لاشريك لك اللهم ربنا ورب كل شىء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة اللهم ربنا ورب كل شىء اجعلنى مخلصاً لك وأهلى فى كل ساعة من الدنيا والآخرة ياذا الجلال والإكرام اسمع واستجب الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله نور السموات والأرض الله أكبر الله أكبر حسبى الله ونعم الوكيل الله أكبر الله أكبر . وقال : معقبات لايخيب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثا وثلاثين تسبيحة . وثلاثا وثلاثين

تكبيرة وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وفى رواية أخرى أربعاً وثلاثين تكبيرة وذلك تمام المائة . وفى رواية سبحان الله خمساً وعشرين والحمد لله خمساً وعشرين والله أكبر خمساً وعشرين ولا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير خمساً وعشرين ، وفى رواية أخرى يسبح الله عشراً ويحمده عشراً ويكبره عشراً ، وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم يقول : سبحان الله إحدى عشرة مرة والحمد لله إحدى عشرة مرة والله أكبر إحدى عشرة مرة وهذا ثلاث وثلاثون ، قال بعض العلماء : هذه الرواية إنما هى تفسير من بعض رواة هذا الحديث عن أبى هريرة وهم كانوا يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين . وقال من قال : فى دبر صلاة الصبح قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك فى حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى ـ يعنى أن صدر منه ذنب يغفر له ـ .

وثبت فى مسند الإمام أحمد من رواية أم سلمة رضى الله عنها أنه ﷺ علم ابنته فاطمة رضى الله عنها لما جاءت تسأله الخادم أن تسبح عند النوم ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر ثلاثا وثلاثين وإذا صلت الصبح أن تقول : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات وبعد صلاة المغرب عشر مرات . وكان يقول عقب صلاة الصبح : اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى جعلت فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى جعلت فيها معادى واجعل الحياة

زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من نقمتك وأعوذ بك منك لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد منك الجد .

قال أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه : ما صليت خلف رسول الله ﷺ إلا سمعته يقول : اللهم اغفرلى خطاياى وذنوبى كلها اللهم انعشنى وأحينى وارزقنى واهدنى لصالح الأعمال والأخلاق إنه لايهدى لصالحها إلا أنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت وقال : إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم : اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك إن مت من يومك كتب الله لك جوازا من النار وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم : اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك إن مت من ليلتك كتب الله لك جوازاً من النار هذا الحديث فى صحيح ابن حبان وفى سنن النسائى من رواية أبى أمامة من قرأ آية الكرسى ـ زاد الطبرانى : وقل هو الله أحد ـ فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت ، وهذا الحديث رواه جماعة غير النسائى مثل الطبرانى ، والروياني والدارقطنى . وابن حبان . وبعض الحفاظ يقول : هو صحيح ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وطعن الحفاظ فيه من هذه الجهة ، واستدل بضعف محمد بن حمير راوى هذا الحديث وقد عدله البخارى ووثقه محك الرجال يحيى بن معين ، وهذان المعدلان كافيان فى العدالة ، وفى معجم الطبرانى من قرأ آية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله إلى الصلاة الأخرى . وهذا الحديث رواه جماعة من الصحابة من جملتهم أمير المؤمنين على ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك . والمغيرة بن شعبة ، وأبو أمامة .

واختلاف طرق الحديث ومخارجه دليل على أن له أصلا صحيحاً غير

موضوع وروى عقبة بن عامر قال: أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة وهذا الحديث فى غاية الصحة ، وقال لمعاذ : أوصيك يامعاذ لاتدع فى دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفى معجم الطبرانى من حديث جابر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء . من عفا عن قاتله ، وأدى دينا خفيا ، وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : قل هو الله أحد ، فقال أبو بكر : أو إحداهن يارسول الله فقال : أو إحداهن ، وكان يقول بعد صلاة الصبح : اللهم إنى أصبحت لاأستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لاتشمت بى عدوى ولاتسيء بى صديقى اللهم لاتجعل مصيبتى فى دينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى ولامبلغ علمى ولاتسلط على من لايرحمنى اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت اللهم ما أصبح بى نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده اللهم عافنى فى بدنى اللهم عافنى فى سمعى اللهم عافنى فى بصرى اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغنى بفضلك عمن سواك ياحى ياقيوم .

﴿فصل فى بيان السنن والرواتب التى كان يواظب عليها فى كل يوم ﷺ﴾

أما فى الحضر فكان لايفوته عشر ركعات : ركعتان قبل فرض الصبح ، وركعتان قبل فرض الظهر ، وركعتان بعد ذلك ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء ولم تفته ركعتا الظهر فى وقت من الأوقات وإن فاتتا قضاهما بعد صلاة العصر وكان يداوم على صلاة ركعتين بعد العصر ، وهذا من خصائصه ﷺ ويكره فى حق غيره وأحيانا كان يصلى قبل الظهر أربع ركعات ، ولفظ البخارى كان لايدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة ، وللعلماء فى هذا تأويلان : (أحدهما) أنه كان إذا صلى سنة الظهر فى بيته صلاها أربعاً وإذا صلى فى المسجد صلى ركعتين (والثانى) أن هذه صلاة مستقلة كان يصليها عقيب زوال الشمس ويقول : هذه ساعة تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لى فيها عمل صالح وكان عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه يصلى بعد الزوال ثمانى ركعات ويقول : إنهن تعدلن مثلهن من قيام الليل ، وقال بعض المشايخ السر فى هذا ان هذين الوقتين زمان تنزل الرحمة بعد الزوال وذلك بعد انتصاف النهار والتنزل الإلهى فى الليل يكون بعد انتصافه ، ولما كان هذان الوقتان محل قرب الرحمة ظهرت المناسبة ، وروى فى مسند الإمام أحمد ، وسنن النسائى ، والترمذى « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر واربع بعدها حرمه الله على النار » وكان يفصل بين هذين الأربع بتسليمتين ، قال امير المؤمنين على « كان النبى ﷺ يصلى قبل الظهر أربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين » رواه أحمد ، والترمذى محسنا ، وروى أمير المؤمنين على أن النبى ﷺ كان يصلى فى كل يوم وليلة من السنة ست عشرة ركعة ركعتين قبل فرض الصبح وأربعا قبل فرض الظهر وركعتين بعدها وأربعاً قبل فرض الظهر وركعتين بعدها وأربعاً قبل فرض العصر وأربعاً

فى وقت الضحى ، وهذا بعض حديث مطول ، وللعلماء فى إسناده مقال ، وروى ابن عمر « أن النبي ﷺ قال : رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً » صححه ابن حبان ، وكان الصحابة يصلون قبل المغرب ركعتين ولم ينههم ﷺ من ذلك ، وثبت فى الصحيحين أنه ﷺ قال : صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب، وقال فى الثالثة : ـ لمن شاء ـ كراهية أن يتخذها الناس سنة فصلاتها مندوبة مستحبة لكن لاتبلغ درجة الرواتب ، وكان يصلى الرواتب فى بيته وعلى الخصوص ركعتى المغرب فانه لم يصلهما فى المسجد أبداً فلذلك اختلف العلماء أنه لو صلاهما فى المسجد هل يجزيه ذلك أم لا، قال بعض العلماء : لا، وقال الإمام المروزى : من صلى الركعتين بعد المغرب فى المسجد يكون عاصياً ، وقال أبو ثور أيضاً : هو عاص ، وسبب العصيان أن النبي ﷺ قال : اجعلوها فى بيوتكم وعند أكثر العلماء يجزيه ذلك لكن يكون تاركا للأولى . وفى سنة المغرب سنتان (إحداهما) أن لايتكلم بينها وبين الفريضة لما فى الحديث من صلى ركعتين بعد المغرب قال مكحول : يعنى قبل أن يتكلم رفعت صلاته فى عليين (الثانية) أن يكون فى البيت ، دخل رسول الله ﷺ مسجد بنى الأشهل وصلى المغرب فلما فرغ رأى أهل المسجد اشتغلوا بصلاة السنة فقال : هذه صلاة البيوت ، وفى لفظ ابن ماجه اركعوا هاتين فى بيوتكم ، وحاصله أن عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يصلى جميع السنن فى بيته إلا أن يكون لسبب ، وكان يقول : أيها الناس صلوا فى بيوتكم فان أفضل صلاة الرجل فى بيته إلا المكتوبة ، وكان يحافظ على ركعتى الفجر بحيث أنه كان يواظب عليها فى السفر أيضاً ولم يرو عنه أنه صلى فى السفر شيئاً من السنن الرواتب إلا سنة الفجر . وصلاة الوتر ، وللعلماء فى أفضلية سنة الفجر وصلاة الوتر قولان (قال) بعضهم : سنة الفجر آكد (وقال) بعضهم : بل الوتر ، وكما أن الوتر واجب عند

البعض كذا سنة الفجر تجب عند البعض ، وقال بعض المشايخ : سنة الفجر ابتداء العمل والوتر ختم العمل ، فلا جرم صرفت العناية لشأنهما ، ولهذا السبب شرع فيها قراءة سورة الإخلاص : وسورة قل يا أيها الكافرون لاشتمالهما على توحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والإرادة وتوحيد الاعتقاد والقصد كما بيناه فى كتاب : حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص .

﴿ فصل ﴾ عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان إذا صلى سنة الفجر وضع جنبه الأيمن على الأرض ونام قليلا ، وفى جامع الترمذى إذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه . حديث صحيح غريب ، قال ابن حزم : هذا الاضطجاع فرض على المصلى حتى لو لم يأت به بين السنة والفرض ففرضه باطل [١] ، وقد صنف بعض العلماء فى نصرة هذا المذهب مجلداً ، ووافق هذا القول جماعة من مشايخ الطريقة كصاحب الفتوحات وغيره ، وقال بعض العلماء : بكراهة ذلك وعده من البدع ، واختار جمهور العلماء الطريق المستقيم المتوسط وقالوا : باستحبابه ، وقال الإمام مالك : إن فعل ذلك للاستراحة فحسن ، والسر فى الاضطجاع على الجنب الأيمن أن يغلبه النوم لأن القلب معلق فى الجانب الأيسر فلو اضطجع عليه لاستقر القلب وغلبت الراحة وثقل النوم وإذا اضطجع على شقه الأيمن طلب القلب مستقره فقلق وأبطأ النوم لذلك وإن جاء النوم فلا يكون ثقيلا ، ولهذا اختار الأطباء النوم على الشق الأيسر طلبا لكمال الراحة واختار صاحب الشرع الشق الأيمن طلبا لخفة النوم وسرعة قيام الليل ، وحاصله

---

(١) انظره فى كتاب المحلى لابن حزم ج ٣ ص ١٩٦ طبع إدارة الطباعة المنيرية

أن النوم على الجانب الأيمن ينفع القلب ، وعلى الجانب الأيسر ينفع البدن والله أعلم .

﴿ فصل فى قيام الليل ﴾

اختلف العلماء فى قيام الليل هل كان فرضاً على سيدنا رسول الله ﷺ أو سنة ؟ ولكليهما دليل واحد وهو آية التنزيل (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) قالت طائفة : هذا صريح فى عدم الوجوب ، وقال آخرون : هذا صريح فى وجوب قيام الليل والتهجد كما جاء الأمر به فى مكان آخر وهو (يا أيها المزمل قم الليل إلاقليلا) ولم يرد صريح نسخ ، وأما قوله : (نافلة) فلو كان المراد به التطوع لما خصص بقوله (لك) بل المراد الزيادة ، ومطلق الزيادة لاتدل على التطوع بل تدل على زيادة الدرجات ولهذا خص به لأن قيام الليل فى حق غيره مباح ومكفر للسيئات وأما فى حقه فزيادة فى الدرجات وعلو المراتب لأنه المغفور له على الإطلاق ، قال مجاهد : لم يكن لغيره نوافل بل مكفرات والنوافل خاصة به ﷺ ولم يدع ﷺ قيام الليل فى حالة من الحالات بل حافظ عليه فى السفر والحضر وإن فاته فى حين المرض أو غلبة نوم صلى فى أثناء النهار اثنتى عشرة ركعة بدل ذلك ، ولم يزد فى صلاة الليل على ثلاث عشرة ركعة ، وربما اقتصر على إحدى عشرة ركعة منها خمس ركعات بتسليمة واحدة هن آخر الصلاة ، وقال بعض العلماء : لم يزد فى الليل على إحدى عشرة ركعة والرواية التى وردت بثلاث عشرة صحيحة لكن مع ركعتى الفجر ، وحديث عائشة بين ذلك قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى ثلاث عشرة ركعة بركعتى الفجر ، وقال الشعبى رحمه الله : سألت ابن عباس . وابن عمر عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالا : ثلاث عشرة منها ثمان ويوتر بثلاث وركعتين بعد الفجر ، وجاء فى الصحيحين

رواية صريحة بأن صلاة الليل ثلاث عشرة ركعة : عن ابن عباس أنه بات في بيت خالته ميمونة فقام النبي ﷺ من الليل فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح ، وفي لفظ آخر صلى ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين .

واتفق العلماء على إحدى عشرة واختلفوا في ركعتين فعند البعض هما غير ركعتي الفجر وعند البعض هما هما وإذا ضممت هذا العدد إلى عدد ركعات الفرائض . والرواتب التي كان يواظب عليها ويحافظ تجدها أربعين ركعة الفرض من ذلك سبعة عشر . والرواتب عشر أو اثنا عشر وقيام الليل إحدى عشرة أو إثنتا عشرة أو ثلاث عشرة فصار المجموع أربعين ركعة وما زاد على هذا العدد فلسبب ، كصلاة الفتح وهي ثمان ركعات صلاها يوم فتح مكة ، وكصلاة الضحى فانه كان يصليها إذا قدم من السفر ، وكتحية المسجد ، وكالصلاة التي كان يصليها في بيت من يقصد زيارته وما أشبه ذلك فينبغي لطالب متابعته ﷺ أن لا يدع هذه الأربعين ركعة باختياره في وقت من الأوقات ، وأن يواظب عليها في جميع الحالات لأن المواظبة عليها سبب فتح أبواب السعادات . ونيل المرادات فجدير بمن قرع باب أكرم الأكرمين في كل يوم أربعين مرة بأصبع الطلب والأدب باتباع أشرف العجم والعرب أن يفتح له في أسرع الأوقات وأقرب الحالات .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يستيقظ من النوم بعد مضي نصف الليل ، وأحيانا قبل ذلك ، وأحيانا عند صياح الديك وذلك يكون في الغالب بعد مضي نصف الليل ، وكان إذا استيقظ مسح بيده على عينيه المباركتين ثم استعمل السواك ثم توضأ ، وفي حالة استعمال السواك كان يقرأ آخر

آل عمران (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) إلى آخر السورة ، ثم افتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وأمر أمته بذلك فقال : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين » وورد فى كيفية قيام الليل طرق ثمانية كلها صحيحة والمتعبد مخير فى المواظبة على أى هذه الأنواع شاء أو اختيار نوع منها فى وقت دون وقت : الأول حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين وأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول : اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل من خلفى نورا ومن أمامى نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتى نورا اللهم اعطنى نورا . هذه الرواية فى صحيح مسلم وليس فيها الافتتاح بركعتين خفيفتين ، وأجيب عن هذا بوجهين : الأول أنه كان فى بعض الأوقات يفتتح بركعتين خفيفتين ، وفى بعض الأوقات بركعتين طويلتين . الثانى أن عائشة أعرف بحال قيام الليل وقد تكون حفظت مافات عن ابن عباس . النوع الثانى ماروت عائشة أنه ﷺ كان يفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وبعدهما يطول يصلى عشر ركعات بخمس تسليمات ويوتر بركعة ثم يسلم . النوع الثالث كان يصلى ثلاث عشرة ركعة خارجا عن ركعتى الفجر . النوع الرابع كان يصلى ثمان ركعات بأربع تسليمات ثم يصلى بعد ذلك خمس ركعات يجلس فى أخراهن ويسلم ولم يكن فى أثنائهن جلوس إلا فى الآخر .

النوع الخامس كان يصلى تسع ركعات منها ثمان متعاقبات ليس بينهن جلوس إلا بعد الثامنة فانه كان يتشهد ويدعو ثم ينهض إلى التاسعة من غير سلام ثم يتشهد بعدها ويسلم ثم يصلى ركعتين عقب الوتر . النوع السادس كان يصلى ست ركعات متصلات لايجلس بينهن إلا فى آخرهن ثم ينهض قبل السلام فيصلى ركعة ويسلم ثم يصلى بعد ذلك ركعتين جالساً عقب الوتر . النوع السابع كان يسلم فى كل ركعتين ويصلى فى آخرهن ثلاث ركعات بتسليمة واحدة ، وطعن الحفاظ فى هذه الرواية لما فى صحيح ابن حبان بإسناد صحيح « لاتوتروا بثلاث أوتروا بخمس أو سبع ولا تشبهوا بصلاة المغرب » . وفى حديث عائشة بإسناد صحيح أنه كان يسلم فى الركعتين الأخيرتين ثم بعد ذلك يصلى ركعة ، وسئل الإمام أحمد ماتقول فى الوتر ؟ قال : أكثر الحديث وأقواه ركعة فأنا أذهب إليها ثم سئل ثانيا ؟ فقال : يسلم فى الركعتين وإن لم يسلم رجوت أن لايضره إلا أن التسليم أثبت . النوع الثامن روى النسائى بسنده عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله ﷺ يعنى صلاة الليل وطول فى الركوع مثل القيام وكان يقول : سبحان ربى العظيم ثم بعد ذلك جلس وقال : رب اغفر لى وكررها ؛ ولما صلى أربع ركعات على هذا الوجه أذن بلال للصبح ودعا النبى ﷺ للصلاة . هذه الطرق الثمانية ثبتت فى قيام الليل وكان يصلى الوتر فى أول الليل . وحينا فى أوسطه . وحينا فى آخره . وهذا فى الغالب وفى بعض الليالى كان يكرر آية فى صلاة الليل من أوله إلى آخره وهى (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وصلاة النبى ﷺ كانت على ثلاثة أنواع (أحدهما) أنه كان يصليها قائما وذلك فى الغالب (الثانى) أنه كان يصليها جالساً ويركع جالساً أيضاً (الثالث) أنه كان يصليها جالساً ويقرأ غالب القراءة جالساً ثم يقوم فيقرأ ما بقى قائما

ثم يركع ، هذه الأنواع الثلاثة صحيحة ، وأما الحديث الذى ورد بأن هيئة جلوسه فى حالة الصلاة قاعداً التربع فقد طعن الحفاظ فيه وحملوه على خطأ بعض الرواة .

﴿ فصل ﴾ ثبت بروايات صحيحة أنه ﷺ كان يصلى بعد الوتر ركعتين فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه كان يصلى ثلاث عشرة ركعة يصلى ثمان ركعات ثم يوتر ثم يصلى ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فرفع ثم يصلى ركعتين بين النداء والإقامة ، وفى مسند الإمام أحمد روى عن أم سلمة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس ، وأبو أمامة يروى كان رسول الله ﷺ يصلى ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما بإذا زلزلت الأرض . وقل يا أيها الكافرون. وروى هذا المعنى أيضاً جماعة من الصحابة غير من ذكرنا ، وظاهره معارض بحديث . اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا ، وقد أشكل على كثير من العلماء لاجرم أنكره الإمام مالك وقال الإمام أحمد : لا أصليها ولا أمنع أحداً عن صلاتها . وقال جماهير العلماء : صلاها لبيان الجواز ليعلم أن بعد الوتر يجوز صلاة النوافل وأن الوتر لا يقطع صلاة النوافل وعلى هذا يكون قوله : اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً مبنيا على الاستحباب ، وقال بعض العلماء : هذه الصلاة ملحقة بالوتر وجارية مجرى سنة الوتر لاسيما على مذهب من يقول : بوجوب الوتر وكما أن صلاة المغرب وتر النهار مشفوعة من السنة بركعتين كذلك وتر الليل أيضاً مشفوع من السنة بركعتين .

﴿ فصل ﴾ لم يرد فى الصحيح أنه ﷺ قرأ القنوت فى صلاة الوتر أصلا قال الإمام أحمد : كل ماثبت فى القنوت فجموعه فى صلاة الصبح ولم يثبت فى الوتر أصلا بل لم يرو لكن جماعة من الصحابة كانوا يقرءون القنوت

فى صلاة الوتر لحديث مسند الإمام أحمد عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى قنوت الوتر « اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ماقضيت إنك تقضى ولا يقضى عليك إنه لايذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبى » قال الترمذى : هذا أحسن حديث روى فى باب القنوت ، وثبت عن أمير المؤمنين عمر ، وأبى ابن كعب . وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا يقرءون القنوت فى صلاة الوتر ولم يرو عن النبى ﷺ قطعاً ، وكل ما روى فانه مطعون ومفترى . وروى الترمذى والنسائى كان رسول الله ﷺ يقول فى آخر وتره : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذبك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهذه العبارة يحتمل أن يكون قالها بعد التشهد وهذا أقرب بل هو متعين لما رواه النسائى كان يقول إذا فرغ من صلاته وتبوأ مضجعه ـ وزاد فى لفظ هذه الرواية : لا أحصى ثناء عليك ولو حرصت ، وثبت فى بعض الروايات الصحيحة أنه كان يقول هذا فى السجود ، فيحتمل أن يكون قاله فى مجلسين . وفى مسند الحاكم من حديث ابن عباس فى صفة صلاة رسول الله ﷺ ووتره فلما قضى صلاته سمعته يقول : « اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا وأمامى نورا وخلفى نورا واجعل لى يوم لقائك نورا » وفى بعض الروايات : « وفى عصبى نورا وفى لحمى نورا وفى شعرى نورا وفى بشرى نوراً وفى لسانى نوراً واجعل فى نفسى نورا واعظم لى نورا واجزل لى نورا واعطنى نورا » وكان يقرأ فى صلاة الوتر فى الركعة الأولى (سبح اسم ربك الأعلى) وفى الركعة الثانية

(قل يا أيها الكافرون) وفى الركعة الثالثة (قل هو الله أحد) والمعوذتين ويقول عقب السلام : سبحان الملك القدوس ثلاثا يرفع صوته فى الثالثة ويمد الحروف ثم يقول بعد ذلك: رب الملائكة والروح ؛ وكان يقرأ القرآن بالترتيل ويقف فى آخر كل آية ألبتة وإن تعلقت بما بعدها ، وبعض القراء يقول : الوقف على مكان انتهاء الكلام وانفصاله أولى وأفضل ؛ وهذا القول غير مستحسن لأن متابعة الرسول ﷺ فى كل حال أكمل وأفضل ، وللعلماء اختلاف فى أفضلية القراءة المرتلة مع القلة على القراءة الكثيرة مع السرعة ، قال ابن عباس ، وابن مسعود : الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل ، وقال أمير المؤمنين على ، وجماعة من الصحابة ، والتابعين ، والإمام الشافعى : كثرة القراءة أفضل لأن بكل حرف عشر حسنات ، وقال النبى ﷺ « لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » وقال بعض المتأخرين : ثواب القراءة بالترتيل والتدبر أكبر وأحسن وثواب كثرة القراءة أزيد وأكثر ، مثال ذلك شخص تصدق بجوهرة ثمينة . ومثال هذا شخص تصدق بلآلىء صغار أو بدراهم ودنانير كثيرة وما أشبه ذلك ، وكان يسر فى قراءة الليل أحيانا ويجهر أحيانا ويطيل القيام أحيانا ويخفف احيانا .

﴿ فصل فى صلا الضحى وعادة الرسول ﷺ فى ذلك ﴾

قالت عائشة رضى الله عنها : رأيت رسول الله ﷺ يصلى الضحى أربعاً ويزيد ماشاء الله ، وعن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ فى سفر يصلى سبحة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال : إنى صليت صلاة رغبة ورهبة فسألت ربى ثلاثا ؟ فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة ، سألته أن لايقتل أمتى

بالسنين ففعل ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا ففعل، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبى علي » صحيح رواه الحاكم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثم قال : اللهم اغفرلى وارحمنى وتب على إنك أنت التواب الرحيم » حتى قالها مائة مرة ، وعن أم ذر قالت : رأيت عائشة تصلى الضحى وتقول : مارأيت رسول الله ﷺ يصلى إلا أربع ركعات . وعن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ صلى صلاة الضحى ، وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ صلى الضحى ست ركعات وعن عائشة وأم سلمة قالتا : كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى اثنتى عشرة ركعة ، وعن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يصلى الضحى ست ركعات ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحى وإن أوتر قبل أن أنام ، وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : يصبح على كل سلامى (١) من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وتجزىء من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى ، وفى مسند الإمام أحمد عن معاذ بن أنس يرفعه من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى سبح ركعتى الضحى لا يقول إلا خيراً غفر له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ، وعند الترمذى عن أبى هريرة يرفعه من حافظ على سبحة الضحى غفر له ذنوبه و إن كانت مثل زبد البحر ، وعن نعيم بن همار قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : ابن آدم لا تعجز لى عن أربع

(١) هى بضم السين المهملة وتخفيف اللام ـ المفاصل والأعضاء وقد ثبت فى صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستون ، قال القاضى عياض : وأصله عظام الكف والأصابع والأرجل ثم استعمل فى سائر عظام الجسد ومفاصله .

ركعات فى أول النهار أكفك آخره » وعند الترمذى . وابن ماجه عن أنس يرفعه من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصراً فى الجنة من ذهب . وعند مسلم عن زيد بن أرقم أنه رأى قوما يصلون الضحى فى مسجد قباء فقال : أما لقد علموا أن الصلاة فى غير الساعة أفضل أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ـ أى يشتد حر النهار ـ فتهجر الفصال حر الرمضاء .

فى الصحيحين أن النبى ﷺ صلى الضحى ركعتين فى بيت عتبان بن مالك وعن أبى هريرة يرفعه لايحافظ على صلاة الضحى إلا أواب رواه الحاكم على شرط مسلم ، وعنده عن أبى هريرة يرفعه أن للجنة بابا يقال له : باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله . وعن أبى سعيد قال كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى حتى نقول : لايدعها ويدعها حتى نقول لايصليها ، وعن ابن عمر أنه قال لأبى ذر : أوصنى ياعم قال : سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال : من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً كتب من العابدين ومن صلى ستاً لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى عشرا بنى الله له بيتاً فى الجنة .

وقال مجاهد صلى رسول الله ﷺ يوما الضحى ركعتين ثم يوما أربعاً ثم يوما ستاً ثم يوما ثمانياً ثم ترك ، وعن أبى أمامة يرفعه من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر إلى صلاة أخرى كان له كأجر الحاج المحرم . ومن مشى إلى سبحة الضحى كان له كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين . وعن أبى أمامة يرفعه من صلى الصبح فى مسجد جماعة ثم ثبت فيه حتى يسبح فيه سبحة الضحى ثم يصلى الضحى كان له كأجر حاج

أو معتمر تام له حجه وعمرته ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بعث النبي ﷺ جيشاً فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة فقال رجل: يارسول الله ما رأينا بعثا قط أسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث فقال : ألا أخبركم بأسرع كرة وأعظم غنيمة ؟ رجل توضأ فى بيته فأحسن وضوءه ثم عمد إلى المسجد فصلى صلاة الغداة ثم أعقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة . مجموع هذه الأحاديث دليل على استحباب صلاة الضحى وفضيلتها ، وهذا مذهب الجمهور من العلماء والمشايخ ، وقال جمع من العلماء بكراهتها واستدلوا بالأثر الذى رواه البخارى عن ابن عمر أنه لم يكن يصليها أبو بكر . ولاعمر قلت : فالنبي قال : لا أخاله ، وروى عن عبد الرحمن ابن أبي بكر أن أبا بكر رأى جماعة يصلون صلاة الضحى فقال: إنكم لتصلون صلاة ما صلاها رسول الله ﷺ ولاعامة أصحابه ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت . ماسبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى وإنى لأسبحها وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به فيفترض عليهم ، وقال قيس بن عبيد : ترددت إلى ابن مسعود سنة فما رأيته صلى الضحى قط ، وعن مجاهد قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها وإذا الناس يصلون فى المسجد صلاة الضحى فسألناه عن صلاتهم ، فقال : بدعة ونعمت البدعة (١) ، وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما . ما ابتدع المسلمون أفضل من صلاة الضحى ، وقالت طائفة أخرى من العلماء : يستحب أن يصليها فى

---

(١) تطلق البدعة على الشىء البديع وعلى الشىء المبتدع المخالف للسنة ، وقد جاءت النصوص بذم البدع والمبتدع عموما وخصوصا فكل ماورد من الآثار عن الصحابة مما يوهم استحسان البدع فمحمول على الشىء البديع افهم ذلك واحرص عليه فانه ينفعك فى كثير من المواضع .

بعض الأحيان ويتركها فى بعض الأحيان واستدلوا بحديث عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ يصلى صلاة الضحى ؟ قالت : ما كان يصليها إلا إذا قدم من سفره ، وبحديث أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى حتى نقول لايدعها ويدعها حتى نقول : لايصليها .

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة أيام ـ يعنى صلاة الضحى ـ وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان لايصلى الضحى فاذا أتى مسجد قباء صلى وكان يأتيه كل سبت ، وعن منصور قال : كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة ويصلون ويدعون ـ يعنى صلاة الضحى ـ . وعن سعيد بن جبير قال : إنى لأدع صلاة الضحى وأنا اشتهيها مخافة أن أراها حتما على، وقال مسروق . كنا نقرأ فنبقى بعد قيام ابن مسعود ثم نقوم فنصلى الضحى فبلغ ابن مسعود ذلك فقال : لم تحملون عباد الله مالم يحملهم الله إن كنتم لابد فاعلين ففى بيوتكم . فهذه الطائفة تعلقت بهذه الأحاديث وقالوا : لاينبغى المداومة عليها والصواب أنه يستحب المواظبة عليها فان خوفهم توهم الفريضة قد ارتفع لكن الأولى أن يصليها فى البيت ، وقالت عائشة : لو نشر لى أبواى ما تركتها ، واختار أكثر العلماء أربع ركعات لصحة أحاديثها ، وقال ابن جرير : أحاديث صلاة الضحى يظهر فيها اختلاف، أما عند التأمل فيظهر التوافق والصحة ويرتفع التضاد ويندفع التعارض ، واختلاف العدد كان بحسب اختلاف الأيام والأحوال فحينا كان يصلى ركعتين ، وحينا أربعاً ، وحينا ستاً ، وحينا ثمان ركعات ، وحينا عشرا وحينا اثنتى عشرة ، فالشخص مخير فى أى عدد أراد ، وحديث أبى ذر المتقدم يدل على هذا المعنى وهو قوله ﷺ : من صلى ركعتين لم يكتب من الغافلين

ومن صلى أربعاً كتب من العابدين إلى آخر الحديث وقد تقدم .

﴿ فصل ﴾ كان من عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه إذا تجددت نعمة أو اندفعت نقمة سجد لله تعالى شكراً .

ثبت فى مسند الإمام أحمد عن أبى بكرة أن النبى ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره خر ساجداً شكراً لله تبارك وتعالى ، وعن أنس أن النبى ﷺ بشر بحاجة فخر ساجداً ؛ وروى البيهقى بإسناد صحيح أنه لما ورد كتاب أمير المؤمنين على من اليمن يتضمن أن قبيلة همدان أسلمت خر النبى ﷺ ساجداً من ساعته وقال : السلام على همدان السلام على همدان . وروى عبد الرحمن ابن عوف « أن النبى ﷺ لما بشر بأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً وأن من سلم عليه مرة سلم الله عليه بها عشراً سجد ﷺ من ساعته شكراً » . وفى سنن أبى داود « أن النبى ﷺ رفع يديه داعيا ثم بعد ذلك سجد شكراً لله ثلاث مرات وقال : شفعت فى أمتى فوهبنى الله ثلثها فسجدت شكراً لله ولما رفعت رأسى شفعت ثانيا فوهبنى الله ثلثاً آخر فسجدت شكراً ولما رفعت رأسى دعوت الله ثالثاً فوهبنى الثلث الباقى فسجدت شكراً » وثبت فى مسند الإمام أحمد « أن النبى ﷺ رأى رجلا نغاشا ـ يعنى قصير الأرجل ـ حقيراً نزراً دميما فسجد شكراً » وكعب بن مالك لما أتاه البشير بقبول توبته سجد شكراً ، وأبو بكر الصديق لما سمع قتل مسيلمة سجد شكراً ، وأمير المؤمنين على لما رأى ذا الثدية رئيس الخوارج بين القتلى سجد شكراً .

﴿ فصل ﴾ لم يكن ﷺ يترك سجدات القرآن بل حيثما بلغ آية سجدة كبر وسجد وقال فى سجوده : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ، وربما قال : اللهم احطط عنى بها وزرا واكتب لى بها أجراً واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود »

ولم يثبت أنه لما رفع رأسه من هذه كبر أو تشهد أو سلم وصح أنه سجد فى ألم تنزيل السجدة . وفى ص . وفى النجم . وفى إذا السماء انشقت . وفى اقرأ باسم ربك ، وقال عمرو بن العاص : أقرأنى رسول الله ﷺ خمس عشرة سجدة فى القرآن منها ثلاث سجدات فى المفصل وسجدتان فى الحج ، وقال أبو الدرداء : « سجدت مع النبى ﷺ فى أحد عشر موضعاً ليس فيها شىء من المفصل بل فى الأعراف ، والنحل ، وبنى إسرائيل ، ومريم ، والحج ، والفرقان ، والنمل ، والم السجدة ، وص ، وسجدة الحواميم » وصح عن أبى هريرة أنه سجد مع النبى ﷺ فى اقرأ باسم ربك . وفى إذا السماء انشقت ، ولما كان إسلام أبى هريرة متأخراً فى سنة سبع من الهجرة رجحوا حديثه ، وقول ابن عباس لم يسجد رسول الله ﷺ فى المفصل منذ تحول إلى المدينة أسقطوه لضعف إسناده ، وأبو هريرة مثبت وهو ناف .

﴿فصل فى فضل يوم الجمعة وعبادات النبى ﷺ فيه﴾

عن ابى هريرة قال « قال رسول الله ﷺ : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة فكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق » . وعن أوس بن أبى أوس رضى الله عنه يرفعه : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة » فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا : يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ - يعنى بليت - قال : إن الله عز وجل حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء » رواه الإمام أحمد . وابن حبان . والحاكم . وعن أبى هريرة يرفعه «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة ،

وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» وفي صحيح الحاكم «سيد الأيام يوم الجمعة» وفي الموطأ «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قال كعب : ذلك في كل سنة يوم؟ فقلت : بل في كل جمعة فقرأ التوراة فقال : صدق رسول الله ﷺ قال أبو هريرة : ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب فقال : قد علمت أية ساعة هي؟ قلت : فأخبرني بها ، قال : هي آخر ساعة في يوم الجمعة، قلت : كيف؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ؟ وتلك الساعة لا يصلى فيها قال ابن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي » . وعند الشافعي رحمه الله في المسند : « أتى جبريل النبي ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة(١) فقال النبي ﷺ : ماهذه ؟ فقال : هي الجمعة فضلت بها وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي ﷺ ياجبريل ومايوم المزيد ؟ فقال : إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح(٢) فيه كثيب من مسك ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من

---

(١) أي أثر قليل كالنقطة (٢) كل موضع واسع يقال له أفيح .

ورائهم على ذلك الكثيب(١) فيقول الله عز وجل لهم : أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك فيقول : قد رضيت عنكم ولكم على ماتمنيتم ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخيرات ، وهو اليوم الذى استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش(٢) ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة » هذا الحديث رواه الإمام الشافعى فى مسنده ، وجمع أبو بكر بن أبى الدنيا طرقه ، ورواه بأسانيد متنوعة مختلفة ، وبالجملة فهو حديث عظيم صحيح يشتمل على فوائد وبشارات وحقائق كثيرة . وروى عن أبى هريرة « أنه سال رسول الله ﷺ عن سبب تسميته بالجمعة ؟ فقال : لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم ، وفيها الصعقة والبعثة ، وفيها البطشة ، وفى آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له » وفى كتاب صفة الجنة تصنيف أبى بكر بن أبى الدنيا بإسناد ثابت من رواية حذيفة أن النبى ﷺ قال : « أتانى جبريل وفى كفه مرآة كأحسن المرايا وأضوئها وإذا فى وسطها لمعة سوداء فقلت : ما هذه اللمعة التى أرى فيها ؟ قال: هذه الجمعة قلت: وما الجمعة ؟ قال : يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك

---

(١) فى مسند الامام الشافعى على تلك الكثب (٢) أقول إن كل ماجاء فى القرآن الحكيم أو صح عن الرسول الحبيب الحليم من صفات الرب تبارك وتعالى مما يوهم التشبيه وجب الايمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل ، وما أشكل من ذلك يجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه ويرد علمه إلى قائله ويجعل عهدته على ناقله اتباعا لطريق الراسخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بقوله جل جلاله وتنزهت صفاته وأسماؤه (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) وهذه هى عقيدة السلف الصالح المنجية يوم القيامة من عذاب الجحيم ، وقد ظهرت طائفة فى عصرنا الحاضر يدعون انهم السلفيون وينفون كثيراً من صفات الرب ويؤولون ويخوضون فيها بغير علم ويتبعون ما تشابه منها فنشأ من ذلك ضلال وإضلال ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ، بل هم فى تقليد كبيرهم يعمهون ، واسماع أقوال غيره معرضون وعن الصراط المستقيم مائلون ، لأنهم فى دعواهم كاذبون .

بشرفه وفضله فى الدنيا ، وما يرجى فيه لأهله وباسمه فى الآخرة (فأما) شرفه وفضله فى الدنيا فإن الله جمع فيه أمر الخلق (وأما) مايرجى فيه لأهله فان فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ـ أو أمة مسلمة ـ يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه . (وأما) شرفه وفضله فى الآخرة واسمه فان الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جرت عليهم هـذه الأيام وهذه الليالى ليس فيها ليل ولا نهار . فأعلم الله عز وجل مقدار ذلك وساعاته فإذا كان يوم الجمعة حين يخرج أهل الجنة إلى جمعتهم نادى أهل الجنة مناد : يا أهل الجنة اخرجوا إلى وادى المزيد ، ووادى المزيد لايعلم سعته وطوله وعرضه إلا الله ، فيه كثبان المسك رءوسها فى السماء قال : فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت ، فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة تنشر ذلك المسك وتدخله من تحت ثيابهم وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم وتلك الرياح أعلم كيف يصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو رفع إليها كل طيب على وجه الأرض ، قال ثم يوحى الله تبارك وتعالى إلى حملة عرشه ضعوه بين أظهرهم فيكون أقل ما يسمعون منه أن يا عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى وصدقوا برسلى واتبعوا أمرى سلوا فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا فيرجع الله إليهم أن يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم دارى فسلونى فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف عن تلك الحجب ويتجلى لهم عز وجل فيغشاهم من نوره شىء لولا أنه قضى أن لايحرقوا لاحترقوا ، لما يغشاهم من نوره ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم فيرجعون إلى منازلهم وقد أعطى كل واحد منهم الضِّعف على ما كانوا فيه فيرجعون إلى أزواجهم

وقد خُفُوا عليهن وخَفين عليهن بما غشيهم من نوره فاذا رجعوا تراد النور حتى يرجعوا إلى صورهم التى كانوا عليها فتقول لهم أزواجهم : لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون : ذلك إن الله عز وجل تجلى لنا فنظرنا منه ، قال(١) : إنه والله ما أحاطه خلق ولكنه قد أراهم الله عز وجل من عظمته وجلاله ماشاء أن يريهم قال : فذلك قوله : فنظرنا منه قال : فهم يتقلبون فى مسك الجنة ونعيمها فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال رسول الله ﷺ : فذلك قوله تعالى: « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وفى لفظ : فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عزوجل من عرشه إلى كرسيه ويحف الكرسى منابر من نور فيجلس عليها النبيون وتحف المنابر بكراسى من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان المسك لايرون لأهل المنابر والكراسى فضلا فى المجلس، ثم يتبدى لهم ذو الجلال تبارك وتعالى فيقول : سلونى ، فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا يارب فيشهد لهم على الرضا ، ثم يقول : سلونى فيسألونه حتى تنتهى نهمة (٢) كل عبد منهم قال : ثم يغشى عليهم بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ثم يرتفع الجبار عن كرسيه إلى عرشه ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم وهى غرفة من لؤلؤة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زمردة خضراء ليس فيها فصم ولا وصم(٣) مطردة فيها أنهار متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها قال : فأهل الجنة يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما يتباشر أهل الدنيا فى الدنيا بالمطر .

---

(١) الضمير فى قال عائد على جبريل عليه السلام (٢) أى الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة فى الشىء . (٣) الفصم أن ينصدع الشىء فلا يبين ، والوصم الفتور والكسل .

﴿ فصل ﴾ كان من عوائده الكريمة ﷺ أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بأنواع التشريف والتكريم ويحفه بأنواع العبادات كما سنبينه فيما هو آت ، وللعلماء فى يوم الجمعة . ويوم عرفة قولان ، قال بعضهم : يوم الجمعة أفضل ، وقال بعضهم يوم عرفة أفضل ، وكان ﷺ يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة سورة السجدة ، وهل أتى على الإنسان ، والمراد تذكير الأمة بما اشتملتا عليه مما كان وما يكون لما فيهما من خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وذكر المعاد ، وحشر الخلائق وأحوالهم فى الجنة والنار وليس المراد تخصيص هذا اليوم بالسجدة كما ظنوا وقالوا : إن من لم يتهيأ له قراءتهما فليقرأ بعض سورة تشتمل على سجدة أو ليقرأ فى الأولى بعض سورة السجدة وفى الأخرى باقيها وإنما نشأ لهم هذا من عدم اطلاعهم على سر ماقرئتا له فى هذا اليوم ، وقراءتهما فى صلاة الصبح من خواص الجمعة (الخاصية الثانية) أنه يستحب الإكثار من الصلاة على النبى ﷺ فى يوم الجمعة وليلتها ، وفى الحديث الصحيح : أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة (الخاصية الثالثة) صلاة الجمعة وهى من أعظم فروض الإسلام ومن تهاون فى الاتيان بها ختم على قلبه ، وقرب بعض الأشخاص فى يوم المزيد بحسب تقربهم إلى الله فى يوم الجمعة(١) (الخاصية الرابعة) استحباب الغسل فى ذلك اليوم وعند جماعة يجب ودليل وجوبه أقوى من دليل وجوب الوتر . ومن الوضوء من مس النساء ، ومن القهقهة ، ومن الرعاف ، ومن الحجامة ، ومن القىء ، ومن وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى التشهد(٢)

---

(١) فى بعض النسخ بحسب قربهم من الامام يوم الجمعة .

(٢) يعنى ان دليل هذه الاشياء أقل من دليل استحباب الغسل وقد حملت على الوجوب .

(الخاصية الخامسة) مس الطيب وهو فى هـذا اليوم أفضل منه فى سائر الأيام (الخاصية السادسة) استعمال السواك فى هذا اليوم مفضل على سائر الأيام (الخاصية السابعة) التكبير للصلاة (الخاصية الثامنة) الاشتغال بالصلاة والذكر والقراءة إلى أن يصعد الإمام إلى الخطبة (الخاصية التاسعة) الانصات للخطبة وهو واجب عند أكثر العلماء (الخاصية العاشرة) قراءة سورة الكهف لقوله ﷺ : من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضىء إلى يوم القيامة وغفر له مابين الجمعتين (الخاصية الحادية عشرة) عدم كراهية صلاة النافلة فى وقت الزوال كما هى فى سائر الأيام مكروهة ، وهذا مذهب أكثر العلماء لما روى أبو قتادة أن النبى ﷺ كان يكره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة ، وقال « إن جهنم تسجر(١) إلا يوم الجمعة » ورد فى الحديث الصحيح استحباب الصلاة فى يوم الجمعة إلى وقت الخطبة ، وروى الشافعى بأسانيد متنوعة « نهى النبى ﷺ عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة » وللعلماء فى هذه المسئلة ثلاثة أقوال : (أحدها) أن وقت الزوال ليس بوقت كراهة مطلقا فى حال من الأحوال ولا فى يوم من الأيام وهذا مذهب الإمام مالك (الثانى) أنه وقت كراهة فى الجمعة وغيرها وهـذا مذهب الإمام أبى حنيفة . وأحد قولى الامام أحمد (الثالث) أنه وقت كراهة فى جميع الأيام غير يوم الجمعة فانه ليس بوقت كراهة وهذا مذهب الإمام الشافعى ، وجميع المحققين (الخاصية الثانية عشرة) استحباب قراءة سورة الجمعة والمنافقين فى الصلاة أو سورة سبح والغاشية لمواظبة النبى ﷺ على ذلك والاقتصار على بعض سورة الجمعة والمنافقين ليس بمستحب بل

---

(١) أى توقد فعلى من يؤمن بذلك ان يتقى الله فى جميع حالاته لاسيما فى يوم الجمعة .

هو خلاف السنة ، وجهابذة الأئمة يداومون على ذلك (الخاصية الثالثة عشر) أنها عيد الأمة يكرر فى كل أسبوع ، وروى ابن ماجه فى مسنده عن أبى لبابة يرفعه أن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، فيه خمس خلال : خلق الله عز وجل آدم فيه ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفى آدم ، وفيه ساعة لايسأل الله العبد فيها شيئا إلا أعطاه مالم يكن حراما ، وفيه تقوم الساعة . مامن ملك مقرب ولاسماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا شجر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة (الخاصية الرابعة عشر) استحباب لبس أحسن ثوب تصل القدرة إليه وأجوده ، ثبت فى مسند الإمام أحمد « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان له ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتى المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينهما » وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر فى يوم الجمعة : « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » (الخاصية الخامسة عشر) استحباب تجمير المسجد باحراق العود واستعمال الطيب أمر أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه بتجمير المسجد (١) فى كل جمعة (الخاصية السادسة عشر) تحريم إنشاء السفر فى يوم الجمعة بعد دخول الوقت على من لزمته الجمعة وهذا مذهب جماهير العلماء ، وعند أبى حنيفة يجوز ، لكن نقل السروجى فى شرح الهداية عن أبى حنيفة كراهة ذلك ، وأما مذهب الشافعى فيحرم من قبل الزوال أيضاً لما روى الدارقطنى أن النبى ﷺ قال : « من

---

(١) أى تبخيره ولم نر احدا يبخر المساجد يوم الجمعة فى عصرنا هذا ولا ممن يدعى التمسك بالسنة ، والمسجد خاص بهم ولاأدرى ماجوابهم اللهم إلا تقليدا لسكوت كبيرهم على ذلك .

سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة ان لا يصحب فى سفره » وقال حسان بن عطية : إذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لا يعان على حاجة ولا يصاحب فى سفره (الخاصية السابعة عشر) هى أن من مشى إلى صلاة الجمعة كتب له بكل خطوة ثواب صيام سنة . فى مسند الإمام أحمد ، ومسند عبد الرازق «من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر(١) ودنا من الإمام وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير (الخاصية الثامنة عشر) هى أن هذا اليوم مكفر للسيآت ، روى سلمان أن رسول الله ﷺ قال : أتدرى مايوم الجمعة ؟ قلت : هو اليوم الذى جمع الله فيه أباكم قال : لكنى أدرى مايوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتى الجمعة فينصت حتى يقضى الإمام الصلاة إلا كان كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة » وورد فى هذا المعنى أحاديث كثيرة (الخاصية التاسعة عشر) هى أن جهنم تضرم فى كل يوم عند منتصف النهار إلا فى يوم الجمعة لأنه أفضل الأيام ، والعبادات والطاعات فيه أزيد من سائر الأيام والمعاصى فيه أقل وكثير من أهل الفجور المتغولين (٢) الآثام يجتنبون المعاصى فى يوم الجمعة وليلتها بالكلية ، وهذا كأنه معنى الحديث الذى يشير إلى أن جهنم لا تضرم فى هذا اليوم (الخاصية العشرون) هى أن فى هذا اليوم ساعة إجابة وكل عبد سأل فيها حاجة قبل ، وثبت فى الصحيحين « أن فى الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه ، وقال بيده يقللها » .

وللعلماء فى هذه الساعة خلاف على قولين (قال) بعضهم : ليست ببباقية بل ارتفعت فى زمان الرسول ﷺ (القول الثانى) وهو الصحيح إنها

(١) فى الصحاح قالوا بكر أسرع وابتكر أدرك الخطبة من أولها وهو من الباكورة

(٢) لعله « المتوغلين » فوقع بها تحريف ، وقد تقيدنا برسم النسخ التى بأيدينا .

باقية ، وفى تعين وقتها خلاف هل هى فى وقت معين من يوم الجمعة أم ليس لها وقت معين من يوم الجمعة ؟ والذين قالوا بالتعيين اختلفوا فى بيانه على أحد عشر قولا (القول الأول) مروى عن أبى هريرة إنها بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر إلى المغرب (الثانى) القول عند الزوال ، وذا يروى عن الحسن البصرى . وأبى العالية (القول الثالث) إذا شرع المؤذن فى أذان الجمعة ، وذا مروى عن عائشة رضى الله عنها (القول الرابع) هى ساعة جلوس الإمام على المنبر إلى أن يفرغ من خطبته (القول الخامس) فى زمان صلاة الجمعة (القول السادس) هى ما بين زوال الشمس إلى وقت صلاة الجمعة (القول السابع) هى ما بين صيرورة ظل الزوال شبرا إلى أن يصير ذراعا (القول الثامن) من وقت العصر إلى غروب الشمس (القول التاسع) آخر ساعة من النهار ، وذا قول أكثر الصحابة ، والتابعين (القول العاشر) من حين خروج الإمام إلى أن يفرغ من الصلاة (القول الحادى عشر) فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة وأرجح الأقوال قولان (القول الأول) من حين يجلس الإمام على المنبر إلى أن تتم الصلاة ، ودليل ذا فى الحديث الصحيح هى ما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن تقضى الصلاة (القول الثانى) أنها بعد العصر وذا أرجح الأقوال ودليله الحديث الصحيح أن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه وهى بعد العصر » وفى سنن أبى داود ، والنسائى من رواية جابر أن النبى ﷺ « قال : يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه فالتمسوها فى آخر ساعة بعد العصر . وفى سنن سعيد بن منصور أن جماعة من الصحابة اجتمعوا وبحثوا فى هذه الساعة ثم قاموا ولم يخالف منهم أحد فى أنها آخر ساعة من يوم الجمعة ،

وفى سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال : قلت ـ ورسول الله ﷺ جالس ـ إنا لنجد فى كتاب الله ساعة فى يوم الجمعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلى ويسأل الله فيها شيئاً إلا قضى له حاجته ، قال عبد الله : فأشار إلى رسول الله ﷺ أو بعض ساعة فقلت : صدقت يارسول الله أو بعض ساعة قلت : أية ساعة هى ؟ قال: آخر ساعة من ساعات النهار ، قلت: إنها ليست ساعة صلاة قال : بل إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه(١) إلا الصلاة فهو فى الصلاة » وفى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة قال : قيل للنبى ﷺ : « لأى شىء سمى يوم الجمعة ؟ قال : لأن فيها طبعت (٢) طينة أبيك آدم ، وفيها الصعقة والبعث ، وفيها البطشة ، وفى آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له »(٣) (الخاصية الحادية والعشرون) هى أن للصدقة فى هذا اليوم مزية على الصدقة فى سائر الأيام (الخاصية الثانية والعشرون) هى أن صلاة الجمعة مقرونة بالخطبة مشروطة بشرائط ليست لغيرها مثل اشتراط الإقامة والاستيطان ، والجهر بالقراءة وغير ذلك . (الخاصية الثالثة والعشرون) هى أن يوم الجمعة يوم يستحب فيه التفرغ للعبادة ومزيته على سائر الأيام كمزية شهر رمضان على سائر الشهور ، وهو مخصوص بعبادات واجبة ومستحبة وكما أن لأهل كل ملة يوماً متخصصاً للعبادة والتخلى عن الأشغال الدنيوية ، كذلك تعين يوم الجمعة لهذه الأمة المعصومة ، وساعة الإجابة فى هذا اليوم كليلة القدر فى شهر رمضان ، ومن هذه الجهة قال العلماء : من حصل له فى يوم الجمعة السلامة من الآثام سلم فى الأسبوع ، ومن سلم فى شهر رمضان من الآثام سلم فى بقية

---

(١) فى نسخة « لا تحبسه إلا الصلاة » . (٢) أى جمعت .
(٣) لأنها قد جمعت فضائل كثيرة .

العام ، ومن حصل له حج بيت الله الحرام وسلم من المخالفات سلم فى جميع العمر فيوم الجمعة ميزان الأسبوع ، وشهر رمضان ميزان السنة ، وحج بيت الله ميزان العمر . (الخاصية الرابعة والعشرون) لما كان يوم الجمعة فى الأسبوع كيوم العيد فى السنة ، والعيد يشتمل على الصلاة والقربان والجمعة تشتمل على الصلاة جعل الحق جل شأنه التبكير إلى المسجد بدل القربان وقائما مقامه ، وفى الحديث الصحيح « من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة » وفى هذه الساعات اختلاف حملها بعض العلماء على الساعات الفلكية وقال باستحباب التبكير بعد طلوع الشمس وذا مذهب الشافعى وأكثر العلماء ، وحملها البعض على الساعات العرفية وهى أجزاء لطيفة من بعد الزوال وذا مذهب الإمام مالك وطائفة من أهل المدينة (الخاصية الخامسة والعشرون) أنه يوم تجلى الحق جل شأنه على عبيده فى الجنة (الخاصية السادسة والعشرون) هى أن الله أقسم بهذا اليوم من بين سائر الأيام ، قال الله تعالى : « وشاهد ومشهود » قال ﷺ : اليوم الموعود : يوم القيامة ، واليوم المشهود : هو يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ماطلعت الشمس ولا غربت على أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلا استجاب له أو يستعيذه من شر إلا أعاذه منه . (الخاصية السابعة والعشرون) هى أن السموات والأرضين والجبال والبحار ، والخلائق كلها غير بنى آدم والشياطين يخافون من يوم الجمعة . قال كعب الأحبار : ألا أحدثكم عن يوم الجمعة إذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والأرض والجبال والبحور والخلائق كلها إلا ابن آدم والشياطين . (الخاصية الثامنة والعشرون) إنه يوم ادخره

الحق سبحانه لهذه الأمة المرحومة ، فضلت عنه جميع الأمم . قال ﷺ : «يوم ادخره الله لنا » وقال : « ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة هدانا الله له وأضل الناس عنه . فالناس لنا فيه تبع» الحديث (الخاصية التاسعة والعشرون) هى أن هذا اليوم خيرة الله من الأيام كما اختار رمضان من الشهور . وليلة القدر من الليالى ، ومكة من القرى . قال كعب : إن الله عز وجل اختار الشهور فاختار شهر رمضان ، واختار الأيام فاختار(١) يوم الجمعة ، واختار الليالى فاختار ليلة القدر (الخاصية الثلاثون) هى أن أرواح المؤمنين فى يوم الجمعة تقرب من قبورهم ، ويعرفون من يزورهم فيه فضل معرفة على سائر الأيام . (الخاصية الحادية والثلاثون) كراهة صوم هذا اليوم على انفراده عند أكثر العلماء . قال محمد بن عباد : سألت جابراً أنهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم ورب هذه البنية ، وفى الصحيحين قال ﷺ : « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو يوماً بعده » اللفظ للبخارى ، ولمسلم : « لا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم » وعن جويرية بنت الحارث أن النبى ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهى صائمة فقال : «أصمت أمس؟ قالت لا . قال : تريدين أن تصومى غداً ؟ قالت لا . قال : فافطرى » وقال ﷺ : لا تصوموا يوم الجمعة وحده ، وقال : يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده (الخاصية الثانية والثلاثون) اختصاص هذا اليوم باجتماع المؤمنين للموعظة والتذكير(٢) .

---

(١) فى بعض النسخ « واختار » بالواو

(٢) للامام جلال الدين السيوطى رسالة فى فضائل وخصائص الجمعة سماها نور اللمعة فى خصائص الجمعة وقد نشرتها إدارة الطباعة المنيرية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١

﴿ فصل فى الخطبة النبوية فى يوم الجمعة ﴾

كان ﷺ إذا خطب رفع صوته إلى غاية تحمر فيها عيناه المباركتان ، وكثيراً ما كان يقول فى خطبته : « بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى » وبعد ذلك يقول : « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلىّ وعلىّ » رواه مسلم ، وفى لفظ كانت خطبة النبى ﷺ : يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول : من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وخير الحديث كتاب الله وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار(١) : وفى بعض الأخبار كان يقول : الحمد لله نحمد الله ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لايضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا ، وكثيرا ماكان يقرأ سورة ق على المنبر ، قالت أم هشام بنت الحارث : ماحفظت سورة ق إلا من رسول الله ﷺ مما يخطب بها على المنبر ، وحفظ من خطبته ﷺ من رواية على بن جدعان وفيها ضعف « يأيها الناس توبوا إلى الله عز وجل قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة فى مقامى

---

(١) قوله « وكل ضلالة فى النار » ليست موجودة فى نسخ صحيح مسلم .

هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من وجد إليها سبيلا ، فمن تركها فى حياتى أو بعدى جحودا بها واستخفافا ، وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا وضوء له ، ألا ولا حج له ، ألا ولا بر له حتى يتوب فإن تاب تاب الله عليه ، ألا ولا تؤمن امرأة رجلا ، ألا ولا يؤمن أعرابى مهاجراً ، ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنا ، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه » وكان يقصر الخطبة ويطول الصلاة وقال : إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، وكان يبين فى الخطبة قواعد الإسلام ويعلم مهمات الدين ، وكان إذا عرضت له حاجة أو سأله سائل قطع خطبته وقضى الحاجة أو أجاب السائل ثم أتمها ، وكان إذا رأى فى الجماعة فقيراً أو ذا حاجة أمر بالتصدق وحرض على ذلك ، وكان إذا ذكر الله تعالى أشار بالسبابة ، وكان إذا اجتمعت الجماعة خرج للخطبة وحده ولم يكن بين يديه صاحب ولا خادم ولم يكن من عادته لبس الطرحة ولا الطيلسان ولا الثوب الأسود المعتاد ، وكان إذا دخل المسجد سلم على الحاضرين لديه وإذا صعد المنبر أدار وجهه إلى الجماعة وسلم ثانيا ثم قعد وإذ ذاك يشرع بلال فى الأذان وعند فراغه يقوم فيخطب قائما من غير فاصلة بين الأذان والخطبة ، ولم يكن يأخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وذا قبل اتخاذ المنبر ؛ وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ أنه اعتمد على العصا ، ولا على القوس ولا على غير ذلك ، وكان يجلس بين الخطبتين لحظة ، وإذا فرغ من الخطبة أقام بلال الصلاة ، وكان فى أثناء الخطبة يأمر الناس بالتقرب والإنصات ويقول : إن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ، وكان يقول : من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل

الحمار يحمل أسفارا والذى يقول : أنصت ليس له جمعة ، وقال : يحضر الجمعة ثلاثة نفر . رجل حضرها ويلغو فهو حظه منها . ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى له كفارة إلى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك أن الله عز وجل يقول : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ذكره أبو داود ، وكان إذا فرغ بلال من الأذان شرع ﷺ فى الخطبة ولم يقم أحد لصلاة السنة ، وبعض العلماء قالوا بسنة الجمعة بالقياس على الظهر وإثبات السنة بالقياس غير جائز(١) والعلماء الذين صنفوا فى السنن واعتنوا بضبط سنن الصلاة لم يرووا فى سنة الجمعة قبل الصلاة شيئا . وأما بعد صلاة الجمعة فكان إذا رجع إلى المنزل صلى أربعا وإن صلى فى المسجد صلى ركعتين وقال : من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل بعدها أربعا .

﴿ فصل فى صلاة العيد ﴾

كان من عادة النبى ﷺ أن يصلى صلاة العيد فى المصلى وهو مكان فى ظاهر المدينة ، وصلى العيد مرة فى المسجد لسبب المطر ، وكان يلبس فى يوم الجمعة أجمل ثيابه ، وكان له حلة فاخرة برسم العيدين . والجمعة وفى بعض الأحيان كان يلبس بردا مخططا بخطوط خضر أو بخطوط حمر ، وكان يفطر فى يوم العيد ، عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى على تميرات عددهن وتر ، ولم يكن يأكل طعاما إلا بعد المراجعة ، وكان يغتسل للعيد ، وورد فى هذا الباب حديثان وكلاهما ضعيف لكن صح عن ابن عمر أنه كان يغتسل لكل

---

(١) أقول : ماذا يقول المنتسبون إلى الفقه والدين فى هذا العصر من قولهم هذا سنة وهذا سنة ؟ وليس لذلك أصل فى الدين ، وإنما هو سنة الفقهاء فأوهموا الناس أنها سنن الهدى وليس هذا من شأن العلماء ولا من الورع بل هو تلبيس إبليس نسأل الله الهداية .

عيد، وشدة مبالغته فى متابعة السنة تقتضى أن الحديث فى هذا الباب صحيح وكان يسير إلى المصلى ماشيا وتحمل بين يديه العنزة (١) فإذا بلغ المصلى نصبت تجاهه لأن المصلى لم يكن له إذ ذاك جدار ولا محراب وكان يؤخر صلاة الفطر ويعجل صلاة الأضحى، وعبد الله بن عمر الذى كان لا يهمل متابعة السنة فى دقيقة كان يسير من بيته إلى المصلى بعد طلوع الشمس وكان يكبر فى جميع طريق المصلى وكان النبى ﷺ إذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من وقته بلا أذان ولا إقامة ولا الصلاة جامعة، والسنة أن لا يكون شىء من هذا. وكان يكبر فى الأولى سبع تكبيرات متتابعات يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة خفيفة. ولم يرد بين التكبيرتين ذكر ولا تسبيح معين، وكان يقرأ فى الأولى سورة ق والقرآن المجيد، وفى الثانية اقتربت الساعة، وفى بعض الأحيان كان يقتصر على سبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية ولم يصح غير هذا، وكان إذا رفع رأسه من السجود إلى الركعة الثانية شرع فى التكبير فكبر خمسا ثم شرع فى القراءة. ويروى فى بعض الأحاديث أنه والى بين القراءتين فكبر فى الأولى ثم قرأ وركع فلما قام فى الثانية قرأ وجعل التكبير بعد القراءة لكن هذا الخبر غير صحيح لأنه من رواية محمد بن معاوية وهو مجروح باتفاق أكابر علماء الحديث، وعن عمر بن عوف أن رسول الله ﷺ «كبر فى العيدين فى الأولى سبعا قبل القراءة وفى الآخرة خمسا قبل القراءة» سأل الترمذى البخارى عن هذا الحديث؟ فقال: ليس فى الباب شىء أصح من هذا وبه أقول، وكان إذا فرغ من الصلاة قام وخطب قائما ولم يك ثم منبر، لكن ورد فى الحديث الصحيح «فنزل نبى الله» وهذا يدل على أنه كان يخطب على تل

(١) هى عصا قدر نصف الرمح توضع أمام المصلى.

أو صُفة أو مكان عال يقوم مقام المنبر . وروى فى بعض الأحاديث على راحلته . وفى الصحيحين عن جابر قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، ولفظ تصدقوا فأكثر من تصدق النساء بالقرط والخاتم والشيء ، فان كان له حاجة أو يريد أن يبعث بعثاً يذكره لهم وإلا انصرف ، وكان يفتتح جميع الخطب بحمد الله ، ولم يرد فى حديث أنه كان يفتتح خطبة العيد بالتكبير . وفى سنن ابن ماجه مروى عن سعد مؤذن النبى ﷺ أن النبى ﷺ كان يكثر التكبير بين أضعاف الخطبة ، وفى لفظ يكثر التكبير فى خطبة العيدين وهذا لايدل على أن الافتتاح كان بالتكبير والله أعلم ، وكان يذهب إلى صلاة العيدين من طريق ويأتى من طريق أخرى وقالوا : السر فى ذلك أن يسلم على أهل الطريقين أو لتشمل بركته الطريقين أو ليظهر شعار الإسلام فى الطريقين أو ليغتم أهل النفاق بمشاهدة عزة الإسلام ورفعة أعلامه أو لتشهد بطاعته البقاع المختلفة والمواضع المتفرقة أو لمجموع ذلك أو لأسرار أخر تقصر عنها عقول أكثر الخلق .

﴿ فصل فى عباداته ﷺ فى حال الاستسقاء ﴾

ثبت فى ذلك ستة أوجه : (الوجه الأول) أنه كان يوم الجمعة فى أثناء الخطبة يستمطر ويقول : « اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا » (الوجه الثانى) أنه كان يعد الصحابة بالخروج فى يوم معين إلى المصلى ويخرج فى ذلك اليوم بعد طلوع الشمس بهيئة الخاشع المتواضع مبتذلا فإذا وصل إلى المصلى صعد إلى المنبر وقرأ الخطبة والمحفوظ منها « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل

ما يريد اللهم أنت الله الذى لا إله إلا أنت تفعل ماتريد اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوتا وبلاغا إلى حين » ثم رفع يديه وأخذ فى التضرع والابتهال والدعاء وبالغ فى الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم استقبل القبلة واستدبر الحاضرين وقلب رداءه المبارك حتى صار طرف اليمين على الجانب الشمال وطرف الشمال على الجانب اليمين وماكان من الرداء داخلا صار خارجا وماكان خارجا صار داخلا ، وكان الرداء أسود اللون وأخذ فى الدعاء كذلك ثم نزل وشرع فى الصلاة فصلى ركعتين بغير أذان ولا إقامة جهر فيهما بالقراءة وقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة سبح اسم ربك الأعلى . وفى الثانية هل أتاك حديث الغاشية (الوجه الثالث) أنه صعد منبر المدينة فى المسجد واستسقى فى غير يوم الجمعة ولم يرد فى الاستسقاء صلاة بل مجرد خطبة ودعاء (الوجه الرابع) أنه استسقى فى مسجد المدينة قاعدا من غير قيام ولاصعود على المنبر وحفظ من دعاء ذلك اليوم اللهم اسقنا غيثا مغيثاً مريعاً طبقا عاجلا غير رائث نافعاً غير ضار (الوجه الخامس) أنه استسقى مرة خارج المسجد النبوى بالقرب من الزوراء بمكان يعرف بأحجار الزيت هو قريب من باب من أبواب المسجد يقال له : باب السلام ، إذا خرج شخص من باب السلام وعطف على الجانب الأيمن وسار نحو رمية حجر بلغ إلى المكان المعروف بأحجار الزيت (الوجه السادس) كان فى بعض الغزوات قد سبق المشركون ونزلوا على الماء واستولى العطش على المسلمين فعرضوا حالهم على الرسول ﷺ وقال المنافقون : لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ هذا الخبر النبى ﷺ فقال : هكذا قالوا : فلا تيأسوا فلعل الله جل ثناؤه أن يسقيكم ثم رفع يديه ودعا الله فظهرت سحابة فى الوقت أظلمت الدنيا

ثم أمطرت إلى أن اختنقت الأودية العظيمة بالسيول ، والمحفوظ من ذلك الدعاء فى الاستسقاء هذه الكلمات : اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئاً مريعاً نافعاً غير ضار عاجلا غير رائث ، وفى كل وقت استسقى ﷺ أجيب وجاء المطر واستسقى مرة فقام رجل من الصحابة يعرف بأبى لبابة وقال : يارسول الله التمر فى المربد ونخشى أن يتلف ، فقال ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب مربده (١) بإزاره فأمطرت فاجتمعوا إلى أبى لبابة فقالوا : إنها لن تقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ ففعل فاستهلت السماء ، وكانوا إذا كثر المطر وأفرط طلبوا الصحو من رسول الله ﷺ ، وكان يقول فى الاستصحاء : اللهم على الآكام (٢) والجبال والظراب (٣) وبطون الأودية ومنابت الشجر ، وكان عند ابتداء المطر يميط ثوبه (٤) عن بعض بدنه ليصيبه المطر ويقول : « لأنه حديث عهد بربه » وكان إذا سال وادى العقيق وغيره يقول : « اخرجوا بنا إلى هذا الذى جعله الله طهورا فنتطهر منه ونحمد الله تعالى عليه » وكان إذا رأى الريح والسحاب ظهرت الكراهة فى وجهه المبارك وكان يتردد فاذا جاء المطر انبسط وزالت الكراهة . وثبت أنه قال فى بعض أدعيته : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً غدقا مجللا عاما طبقا سحا دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك مالا نشكوه إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض اللهم ارفع عنا الجهد

---

(١) المربد موضع يجفف فيه التمر ، وثعلبه ثقبه الذى يسيل فيه ماء المطر (٢) الآكام بالكسر جمع اكمة وهى الرابية [٣] هى الجبال الصغار واحدها ظرب [٤] أى يزيله وينحيه

والجوع والعرى واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً ، وكان إذا دعا فى الاستسقاء رفع يديه نحو السماء ، وقال ﷺ : استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث ، وقال ﷺ : « تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء فى أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رؤية الكعبة .

﴿ فصل فى عبادات السفر ﴾

أسفار رسول الله ﷺ لم تكن تخلو من أحد أربعة أنواع (إما) سفر الهجرة من مكة إلى المدينة ، أوسفر عمرة ، أوسفر حج ، أو سفر جهاد ، وهذا كان الغالب ، وكان إذا عزم على سفر ضرب القرعة بين أمهات المؤمنين فمن ظهرت قرعتها سافر بها ، وأما فى سفر الحج فانه سافر بالمجموع ، وكان يسافر أول النهار ، ويحب أن يسافر فى يوم الخميس ، وكان إذا جهز جيشاً إلى الجهاد أمرهم بالمسير فى أول النهار وأمر جميع المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يجعلوا أحدهم أميراً . ونهى عن الوحدة فى السفر . وقال : الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب ولم يرد سفرا إلا قال حين ينهض من جلوسه : « اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت ، اللهم اكفنى ما أهمنى وما لم أهتم له . اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنوبى ووجهنى للخير أينما توجهت » وكان إذا وضع رجله المباركة فى الركاب قال : بسم الله ، وإذا استوى على ظهر المركب قال : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله الحمد لله الحمد لله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحانك أنى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا

هذا واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل . اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال ، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، وكان ﷺ هو وأصحابه إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا ، وكان ﷺ إذا أشرف على بلدة أو قرية يريد دخولها قال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين . أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » ، وفى بعض الأحيان كان يقول : « اللهم إنى أسألك من خير هذه القرية وخير ماجمعت فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها . اللهم ارزقنا جناها ، وأعذنا من وباها ، وحببنا إلى أهلها وحبب صالحى أهلها إلينا » ، وكان ﷺ يقصر الصلاة الرباعية فى جميع أسفاره ولم يثبت أنه أتمها فى وقت من الأوقات ، والحديث المروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقصر فى السفر ويتم ، ويفطر ويصوم لم يبلغ الصحة ، وكان من العادة النبوية أن يقتصر فى السفر على صلاة الفرض ، ولم يحفظ أنه فى السفر صلى شيئاً من السنن لا قبل الفرض ولا بعده إلا ركعتى الفجر والوتر ، وكان يصلى صلاة التهجد على ظهر المركوب ، وعن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت يومىء إيماء » يعنى صلاة الليل إلا الفرائض ويوتر على راحلته ، وثبت عن رسول الله ﷺ فى حال قصر الصلاة أنه ما كان يدع صلاة الليل لكن ثبت عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلون السنة ، كان أصحاب رسول الله ﷺ يسافرون فيتطوعون قبل المكتوبة

وبعدها ، وأما ابن عمر فكان لا يصلى السنة ولا يترك صلاة الليل كما كانت عادة النبي ﷺ فلو صلاها أحد جازت صلاته وكانت تطوعا مطلقا لا راتبة ، ونقل عن البراء بن عازب قال : سافرت مع النبي ﷺ ثمانية عشر سفراً فلم أره يترك ركعتين عند زيغ الشمس قبل الظهر ، قال الترمذى : حديث غريب ، وسألت عنه محمداً - يعنى البخارى - فلم يعرفه إلا من حديث الليث بن سعد ، ورآه حسناً ، وكان من عادته ﷺ إذا صلى السنة على راحلته أن يتوجه حيثما توجهت . وإن توجهت لغير القبلة ، وكان يومىء فى الركوع والسجود ، وثبت فى سنن أحمد وسنن أبى داود أنه كان يوجه راحلته إلى القبلة حال تكبيرة الافتتاح ثم يتمم إلى حيثما توجهت الراحلة ، وروى الترمذى فى حديث مستقيم الإسناد أنه صلى الفرض مرة على ظهر مركبه واقتدت به الصحابة ركباناً . ولفظه : « انتهى النبي ﷺ إلى مضيق هو وأصحابه وهو على راحلته والسماء من فوقهم والبلة (١) من أسفلهم فحضرت الصلاة فأمر المؤذن فأذن وأقام ، ثم تقدم رسول الله ﷺ على راحلته فصلى بهم يومىء فجعل السجود أخفض من الركوع » وكان من عادته ﷺ إذا وقع الرحيل قبل الزوال أن يؤخر الظهر إلى وقت العصر فإذا نزل جمع بين الظهر والعصر ، وإن دخل وقت الظهر قبل الرحيل صلى الظهر ثم ركب ، وكذا فى المغرب والعشاء إن كان فى وقت المغرب والعشاء سائراً أخر الصلاة إلى وقت العشاء ليصليهما معاً ، وفى بعض الأوقات جمع بين الظهر والعصر فى وقت الظهر ثم ركب ، وكذا فى المغرب والعشاء ، ولم يكن يعتاد الجمع فى السفر فيما علمت ، لكن إذا كان السير حثيثاً جمع ، وأما الجمع فى حالة النزول

---

(١) البلة بالكسر النداوة ، وبفتحها نور العضاه قبل أن ينعقد ، والعضاه كل شجر عظيم له شوك ، والظاهر هنا الثانى ، والله أعلم .

والقرار فلم يرد ولم يعين للقصر والجمع مسافة ، ولم يرد فى هذا الباب شىء صحيح بل رخص فى مطلق السفر ، وكذا التيمم لم يرد فيه سفر محدود .

﴿ فصل فى عادة الحضرة النبوية ﷺ حال قراءة القرآن ﴾
﴿ واستماعه وكمال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه ﴾

كان له ﷺ فى كل يوم وظيفة معينة يتلوها لا يتركها أبداً إلا لضرورة وكان يقرأ مرتلا مفسراً مبيناً حرفا حرفا ويقف عند آخر كل آية ويتم المد فى حروف المد كالمد فى الرحمن الرحيم فإنه كان يتم المد فى كل ، وكان يقول فى أول القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وفى بعض الأوقات يقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وكان يحب سماع القرآن من الغير ، وأمر عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما أن يقرأ عليه القرآن فلما أخذ فى القراءة استمع له ﷺ وأخذ فى الخشوع والتضرع والبكاء حتى جرى ماء عينيه) وكان يقرأ القرآن على كل حال قائماً وقاعداً ونائماً متوضئاً وغير متوضىء ولم يكن يمنعه شىء من قراءة القرآن غير الجنابة ، وكان يتغنى بالقرآن فى بعض الأوقات ، ويرجع فى ذلك كما يفعله من الحفاظ من كان حسن الصوت ، وكذا قراءة سورة الفتح فى يوم فتح مكة وكان ﷺ يقول : « زينوا القرآن بالأصوات الحسنة » وقال : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » قيل لراوى الحديث : فإن كان شخص لا يحسن ذلك ؟ قال . يبذل طاقته فيما استطاع من تحسين القراءة ، وينبغى أن يعلم أن التطريب والتغنى على نوعين : نوع تقتضيه الطبيعة وتسمح به من غير تكلف وهو لا يحتاج إلى تمرين وتعليم بل لو خلى شخص وطبعه لصدر منه ذلك التطريب والتلحين ، وهذا النوع جائز بالإجماع ، ولو أعانته الطبيعة على زيادة تحسين وتزيين كما قال أبو موسى الأشعرى لسيدنا رسول الله ﷺ : لو علمت أنك

تسمع لحبرته لك تحبيراً يعنى لو كنت أعلم أنك تستمع قراءتى لأتممت التزيين والتحسين (النوع الثانى) هو ما لا يحصل من سماحة الطبع بل يحتاج فيه إلى التعليم والتمرين والتكلف كأصوات المطربين إذا عمدوا إلى الإيقاع بأنواع الألحان وقرأوا بأصوات وإيقاعات مخصوصة ، وهذا النوع مكروه عند جماعات السلف وقد منعوا من القراءة به (١) .

﴿ فصل فى العادات النبوية فى تفقد المريض ﴾

كان ﷺ يعود كل من مرض من أصحابه وكان إذا دخل على المريض قرب منه ، وقعد عند رأسه وسأله عن حاله ، وقال : كيف تجدك ، وكثيراً ما كان يقول : ما الذى تريد وما الذى تشتهيه طبيعتك فان اشتهى شيئاً لم يضره أمر له به ، وكان يجعل يده اليمنى على المريض ويقول : « اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ، امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء ولا كاشف له إلا أنت » وكان يدعو للمريض ثلاث مرات ، ولما عاد سعداً قال « اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً » وكان إذا دخل على مريض يعوده يقول لا بأس طهور إن شاء الله ، وفى بعض الأحيان يقول : كفارة وطهور ، وكان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه أو كانت قرحة أو جرح وضع النبى ﷺ السبابة على الأرض ثم رفعها وقال : «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما ـ يعنى جمع نفسه ونفخ ـ يقرأ قل هو الله

[١] وهذا النوع واقع الآن فى قرائنا ، فان أحدهم يتكلف ليطرب الناس ، فيخرج الحروف عن مجاريها الطبيعية ، ويتغنى ويهز نفسه ، كأنه فى غناء وطرب ولهو وصخب ، وفى المجلس العلماء والقضاة والمحامون والمدرسون ، وهم على ذلك ساكتون ، بل ربما حثوه على الزيادة من ذلك وهم لهوى أنفسهم يتبعون . وبشرعهم يعبثون ، ولموافقة العوام يعملون نسأل الله السلامة فى ديننا والعافية فى دنيانا .

أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات قالت : فلما اشتكى كان يأمرنى أن أفعل ذلك به فكنت آخذ بيديه وأمسح بهما لبركتهما ، وفى رواية أخرى كان النبى ﷺ يقرأ وينفث وعائشة رضى الله عنها تأخذ بيديه وتمسح بهما بدنه كان غاية الضعف ، والوجع كان يمنع من تحريكهما ، ولم يجعل للعيادة يوما معيناً بل كان يعود فى جميع الأوقات من الليل والنهار وقال : « عائد المريض فى مخرفة الجنة«١» » وفى رواية أخرى « لم يزل فى خرفة الجنة وما من مسلم يعود مسلماً مريضاً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة» وكان ﷺ يعود من رمد العين . وكان يخدمه ﷺ شاب من اليهود فلما مرض عاده ولما مرض عمه أبو طالب عاده مع أنه كان مشركا ، وكان عرض عليهما الإسلام فلم يقبل أبو طالب وأسلم اليهودى«٢» .

﴿ فصل فى العادة النبوية فى أحوال الميت وأداء حقوقه ﴾

كانت عادته ﷺ مشتملة على الإحسان العظيم إلى الميت ومعاملته بأمور تنفعه فى القبر وفى القيامة ، وعلى الإحسان لأقاربه وأهل بيته ، وعلى تعليم الأحياء مايؤدون به حق العبودية فى معاملة الميت ، وأول الإحسان إلى الميت أنه كان يأمر بتجهيزه نحو آخرته على أحسن الأحوال وأفضل الصفات ثم يقف ﷺ وجميع أصحابه صفاً يستغفرون للميت ويطلبون له الرحمة من حضرة ذى العزة ثم يسيرون معه إلى مدفنه ويقوم هو وأصحابه على قبره يدعون له ويسألون له التثبيت والرحمة عند أشد ما يكون محتاجاً إليها ثم

«١» أى بستان من بساتين الجنة وجناينها . «٢» اسمعوا يارؤساء العلم والدين والدنيا إلى فعل نبيكم صلى الله عليه وسلم وما كان يفعله مع الأمة واقتدوا به .

لايزال يتعهد قبره ويخصه بالدعاء الذى يستوجب الروح والراحة والمغفرة والرحمة ، وكان يعوده قبل موته ويذكره بالآخرة ويأمره بالتوبة والوصية ، ويأمر من حضر مريضاً مشرفا أن يلقنه الشهادة ليكون آخر كلامه كلمة التوحيد ، وكان يمنع من عادات أمم الضلال الذين لايؤمنون بالبعث والنشر بحال ، وينهى عن لطم الخدود وشق الجيوب وحلق الرأس وأمثال ذلك ، ويردع عليه ردعا بليغاً ، ويأمر بالحمد والاسترجاع والرضا ، ولاينهى عن جرى الدمع وحزن القلب ، ومع أنه كان أرضى الخلق لقضاء الحق وأشكرهم وأصبرهم ، أجرى الدمع وبكى لما توفى ولده إبراهيم وعمره سنتان وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » وكان من كمال عاداته النبوية أن يأمر بتجهيز الميت وتطهيره وتنظيفه ودفنه بسرعة وأن يكفن فى ثياب بيض ، وكانت الصحابة عدة إذا احتضر شخص وأشرف على الموت دعوا حضرة الرسالة فحضر ﷺ هناك إلى أن يتوفى ويجهزه ويصلى عليه ويشيعه إلى القبر ، فلما رأت الصحابة ما فى ذلك من المشقة اقتصروا على أن يعلموه بعد وفاة الشخص ليحضر التجهيز والصلاة والدفن ، ثم رأوا أن هذا لايخلو من مشقة فكانوا يجهزون الميت ويحملونه إليه ﷺ ليصلى عليه حيناً بالمسجد وحيناً خارجه وكلاهما يجوز . وفى الحديث المروى عن أبى هريرة « أن النبى ﷺ قال : من صلى على جنازة فى المسجد فلا شىء له » غلط ، وصوابه ما رواه الخطيب البغدادى وقال : هو فى الأصل فلا شىء عليه ، وقال بعض أئمة الحديث : هذا الحديث ضعيف لأنه من أفراد صالح مولى التوءمة ، وقد صلى على أبى بكر وعمر فى المسجد بحضرة جميع المهاجرين والأنصار ولم يصدر من أحد إنكار ، وكان يأمر أن يغسل الميت ثلاثاً أوخمساً أو أكثر على حسب

ما يقتضيه رأى الغاسل ، وأن يجعل فى الغسلة الآخرة شيئاً من الكافور ، وكانوا لا يغسلون الشهيد وينزعوا عنه السلاح والملبوس ، ويستعملون شيئاً من الطيب ، وإذا قصر الكفن غطوا رأسه وجعلوا على رجليه شيئاً من الأذخر(١) ، وكان من العادات إذا أحضر واميتاً سأل ﷺ هل عليه دين ؟ فان لم يكن عليه دين صلى عليه وإلا أمر أصحابه فصلوا عليه ، ولما كثرت الفتوحات ، وظهرت الغنائم صلى ﷺ على المديون وقضى دينه ، وكان إذا شرع فى الصلاة قرأ الفاتحة بعد التكبيرة الأولى والمحفوظ من الدعاء الذى كان يقرأ فى الصلاة على الميت هذا : « اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » ، وحيناً كان يقول : « اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام والسنة ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا(١) بعده ، وفى بعض الأوقات كان يقول : « اللهم إن فلان بن فلان فى ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم» وحيناً كان يقول: « اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام وأنت قبضت روحها تعلم سرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها » ، وكان يكبر فى بعض الأحيان أربعاً وفى بعضها خمساً وفى بعضها ستاً . والذين يمنعون

---

(١) هو المرعى المهيأ للرعى ، قيل : هو من المرعى للدواب كالفاكهة للانسان (٢) فى نسخة « ولا تفتنا بعده » .

من الزيادة على أربع يقولون : ثبت أن آخر صلاة صلاها الرسول ﷺ كان أربعا ، وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الملائكة لما صلوا على آدم كبروا أربعاً وقالوا : هذه سنتكم يابنى آدم ؟ وكان يخرج من الصلاة بتسليمتين ، وقد يقتصر على واحدة(١) ، وكان يرفع يديه فى كل تكبيرة ، وحيثما فاتته صلاة الجنازة على شخص صلى على قبره فصلى مرة على قبر بعد يوم وليلة ، وأخرى بعد ثلاثة أيام . وأخرى بعد شهر ، وحديث الصلاة على القبر صح من طرق ستة ، وكان يصلى على الطفل الميت ويقول : صلوا على أطفالكم فانهم من أفراطكم ، وكان لايصلى على من أهلك نفسه ولا على من كان يخون فى الغنائم ويصلى على من قتل بحد شرعى ، ثبت أنه صلى على الجهنية التى رجمها فقال عمر : تصلى على من زنى ؟ فقال : لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل الجنة لكفتهم ، وأى توبة أفضل من توبة من وضع نفسه فى طريق الحق ؟ وكان إذا صلى على الميت سار معه إلى المدفن ماشياً ، وقال : عجلوا فى الذهاب ، وكان لايجلس حتى توضع الجنازة عن رقاب الرجال ، وقال : إذا اتبعتم الجنازة فلا تجلسوا حتى توضع ، وكان لا يصلى على كل غائب ، لكن صح أنه صلى على النجاشى وقد توفى بالحبشة وأمر الصحابة بذلك ، وقال : توفى أخ لكم فصلوا عليه ، وصلى على معاوية الليثى صلاة الغائب ، واختلف الفقهاء فى هذا فقال الشافعى وأحمد : الصلاة على الغائب سنة مطلقا ، وأبو حنيفة ومالك يمنعان مطلقا ، وبعض المحققين يقول : إن كان قد مات فى بلد لم يصل عليه صلينا وإن صلى عليه فقد سقط الفرض فلا حاجة ، وكانت العادة أن لايدفن الميت وقت طلوع الشمس ولا وقت غروبها ولا وقت استوائها ، وكانوا لايرفعون القبر ولا يبنون

« ١ » قيل : هذا ثابت من فعل ابن عمر رضى الله عنه ولم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

عليه بآجر ، ولا نورة ، ولاحجر ، ولا لبن ، ولا غير ذلك ، وكانوا لا يجعلون على هذا القبر عمارة ولا قبة ، وهذا كله بدعة ومكروه ومخالف للطريقة النبوية(١) ، وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن لا يدع تمثالا إلا طمسه ولاقبراً مشرفا إلا سواه ، ونهى أن يتخذ على القبر مسجد أو يشعل عليه سراج ، ولعن فاعل ذلك ، ونهى عن الصلاة عند المقابر ، وعن الصلاة على القبر ، ونهى عن إهانة القبور ، وعن أن تداس أو يتكأ عليها أو يجلس عليها ، ومن العادات النبوية زيارة القبور والدعاء والاستغفار ومثل هذه الزيارة تستحب ، وقال : « إذا رأيتم المقابر فقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية) ، وكان يقرأ وقت الزيارة من نوع الدعاء الذى كان يقرؤه في صلاة الميت وقد ذكرناه فيما تقدم ، وكانت العادة أن يعزى أهل الميت ويأمرهم بالصبر ولم تكن العادة أن يجتمعوا للميت ويقرأ له القرآن ويختموه عند قبره ولا فى مكان آخر ، وهذا المجموع بدعة ومكروه ، ولم يكن من عادة أهل الميت أن يرسلوا للناس طعاماً ، بل كان يأمر الناس أن يرسلوا لأهل الميت طعاما لأنهم من المصيبة فى شغل كاف(٢) .

---

(١) فما شاهدناه فى عصرنا الحاضر أعنى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف رجل من باعة الكتب العوام المثرين اجتهد فى عمل مدفن له قبل موته فى مصر وصرف عليه أموالا طائلة وبنى عليه قبة عظيمة جداً وكتب عليها هذا قبر العارف بالله فلان . . . فلم يكتف بما كان عليه فى حياته ؟ بل أضاف إلى ذلك بعد موته مايوقع العامة ومن يجيء بعد هذا العصر فى الاعتقاد المخالف للواقع فيتخذه وثنا كما كانت تفعله الجاهلية فى غابر الأزمان ومن العجيب أن مثل هذا يفعل وعلماء المسلمين ساكتون فانا لله وإنا إليه راجعون . «٢» وهذه المنكرات كثرت فى هذا العصر لا سيما فى مصر وادت إلى ارتكاب أمور مضرة بالدين والدنيا ولامنكر لها ولا معيب ويحضر هذه المجتمعات جلة من علماء الدين من مفت وقاض ومدرس إذا كان الميت من أرباب الدنيا فكلما ازداد الميت ثروة ازدادت المنكرات وتنوعت فهل فى قومى من مجيب وسامع ومطيع يهزه الدين وتحركه الانسانية إلى إنكار ذلك؟ لكن القوم فى رقود .

﴿ فصل ﴾ كان إذا دخل وقت الصلاة فى حال القتال ، والعدو إلى جانب القبلة تقدم ﷺ واصطفت الأصحاب عقبه ، وشرعوا فى الصلاة ، وركعوا بجملتهم ورفعوا الرؤوس من الركوع بجملتهم ثم أخذوا فى السجود بعد هذا سجد معه أهل الصف الأول واستقام أهل الصف الثانى تجاه العدو حتى إذا فرغ النبى ﷺ وأهل الصف الأول من الركعة الأولى وقاموا إلى الركعة الثانية ، هناك يسجد أهل الصف الثانى ، ثم يقومون ويتقدمون إلى مكان أهل الصف الأول ، ويتأخر أهل الصف الأول إلى مكان أهل الصف الثانى سجدتا الركعة الثانية ، ليحصل لكلتا الطائفتين فضيلة الصف الأول ، وليحصل لأهل الصف الثانى مع النبى ﷺ - كما حصل لأهل الصف الأول - سجدتا الركعة الأولى فيتساويان فى الفضيلة ، وذا غاية العدل ، فإذا جلس فى التشهد سجد أهل الصف المؤخر ثم لحقوه فى التشهد وسلم المجموع بالاتفاق . (وأما) إذا لم يكن العدو فى جهة القبلة جعل الناس طائفتين : طائفة تجاه العدو وطائفة معه ، وصلوا مع النبى ﷺ ركعة ثم صاروا إلى مكان تلك الطائفة فأدركوا الركعة الثانية مع الرسول ﷺ ثم سلم هو ، وقضى كل من الطائفتين ركعة بعد سلام الرسول ﷺ وفى بعض الأحيان كان يصلى بالطائفة الأولى ركعتين فإذا تشهد خرج المأمومون من الصلاة وتوقف الرسول ﷺ فى التشهد إلى أن تأتى الطائفة الأخرى فيصلى بهم ركعتين ويسلموا جميعاً ، فيكون قد صلى ﷺ أربعا وهم ركعتين ، وحينا كان يصلى بكل طائفة ركعتين مستقبلا ويسلم ، وحيناً كان يصلى بكل طائفة ركعة ، والطائفة الأولى يخرجون من الصلاة بعد تمام ركعة وتأتى الطائفة الأخرى فيصلون مع الرسول ﷺ ركعة ويخرجون معه من الصلاة ، فتكون كل طائفة قد صلت ركعة وصلى الرسول ﷺ ركعتين ،

وهذه الوجوه كلها جائزة ، وبعض علماء الحديث روى هـذه الصلاة على خمسة عشر وجها لـكن أصح الوجوه هذا الذى بيناه ، وبالله التوفيق .

﴿ فصل ﴾ كان من العادة النبوية فى الزكاة مراعاة الفقراء مع مراعاة أصحاب الأموال والنظر فى مصلحة الجانبين بأقصى الغاية وأوجب الزكاة فى أصناف أربعة من المال دورانها بين الخلق أكثر واحتياج الناس إليها أوفر : (الصنف الأول) الزروع والثمار (الصنف الثانى) بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم (الصنف الثالث) الذهب والفضة اللذان بهما قوام معاش العالم (الصنف الرابع) أموال التجارة من أى صنف ، وأمر أن تؤدى فى السنة مرة . وفى الزرع والثمار يوم حصاده على الفور وذا غاية العدل ، وبحسب سعى الشخص فى تحصيل المال وسهولته ومشقته تفاوت الواجب فيما بين صلى الله عليه وآله وسلم ، لاجرم أوجب الخمس فى مال يحصل من غير مشقة وتكلف كما إذا وجد كنز ولم يعتبر السنة فى ذلك بل حال مايجده يجب عليه إخراج الخمس ، وما لابد فى تحصيله من مشقة وكلفة ما أوجب فيه نصف ذلك كالزرع والثمار الحاصلة من ماء المطر . وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج فى تحصيله إلى زيادة تكلف من دولاب أو بئر أو شراء ماء . وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج إلى عمل وتعب دائم كارتكاب مشقة الأسفار وركوب البحار والترقب والانتظار وما أشبه ذلك ، وأيضا عين فى كل نوع من المـال نصابا بحسب مصلحة الحال . ففى الفضة مائتا درهم وفى الذهب عشرون مثقالا وفى الغلات والثمار ثمانمائة مدشرعى ، وذلك وقر خمس من الإبل العراب ، وفى الغنم أربعون ، وفى البقر ثلاثون ، وفى الإبل خمس ، ولما لم يحتمل هذا النصاب المواساة من جنسه عين شاة فى كل خمس من الإبل أما إذا بلغ خمساً وعشرين احتمل أن يؤدى من جنسه لاجرم يكون

مخيراً بين خمس شياه وبعير ومن علم أنه من أهل الزكاة أعطاه منها وإن طلب شخص من الزكاة شيئاً ولم يعلم حاله أعطاه أما إذا علم غناه أخبره أن لاحظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب . وكانت العادة أنهم إذا أخذوا الزكاة من مدينة أوقرية صرفوها على فقراء ذلك المكان فإن فضل شيء أتوا به إلى حضرة الرسول ﷺ فيصرفه لفقراء المدينة ولم يكن من العادة النبوية أخذ الزكاة من الخيل ، والرقيق ، والبغال ، والحمير ، والبقول ، والبطيخ ، والخيار والعسل والفواكه التى لاتدخل المكيال ولاتصح للادخار إلا الرطب والعنب فانه كان يأخذ الزكاة منهما لايفرق بين الرطب واليابس ومن أتى بزكاته إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ دعا له وقال : اللهم بارك فيه وفى إبله ، وكان ينهى المتصدق أن يشترى صدقته وكان يدوغ إبل الصدقة بيده المباركة ، وفى الغالب كان يدوغ على الأذن ، وربما اقترض لمصالح الإسلام وأحال على مال الصدقة ، وفى أوقات الضرورة كان يطلب زكاة سنتين تقدمة .

﴿ فصل فى زكاة الفطر ﴾

كان ﷺ يرسل مناديا ينادى فى الأسواق والمحلات والأزقة من مكة : ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة ذكر أو أنثى حر أو عبد صغير أو كبير ، مدّان من قمح أو سواه صاعا من طعام . وثبت فى سنن النسائى أنه لما أفضت نوبة الخلافة إلى أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال : أما إذا وسع الله عليكم فأوسعوا اجعلوا صاعا من بر وغيره ، وفى لفظ أبى داود فلما قدم على رضى الله عنه رأى رخص السعر فقال : قد أوسع الله عليكم فلو جعلتموه صاعا من كل شيء . ومن العادة النبوية أن تؤدى زكاة الفطر قبل صلاة العيد وكان يقول : من أداها قبل صلاة الفطر فهى صدقة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات ، وفى

الصحيحين عن ابن عمر أنه قال : « أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » وظاهر هذه الأحاديث أنها بعد الصلاة لاتجزى، وكان يخص المساكين بهذه الصدقة ولا يقسمها على الأصناف الثمانية ، ولم يرد بذلك أمر نصا ، وبه قال بعض العلماء ، ويجوز الصرف للأصناف الثمانية . وأما صدقة التطوع فانه كان يحبها حباً شديداً وكان يسر بأدائها أشد من سرور الفقير بأخذها ، وكان لايستكثر مايصرفه فى طريق الحق بل يحسبه قليلا وماسأله أحد شيئاً حاضرا إلا أجابه ولم يعده كثيراً قل أو جل ، وكان يعطى عطاء من لايخاف الفقر ولا يبالى بالعدم ، وإذا رأى محتاجا آثره بطعامه وشرابه ، وكان يتنوع فى العطاء والصدقة فحينا يهب وحينا يتصدق وحينا يهدى وحينا يشترى شيئاً ويدفع ثمنه ثم يهبه لبائعه وحينا كان يقترض ويؤدى أكثر من المبلغ وحينا كان يشترى شيئاً ويؤدى أكثر من الثمن وحينا كان يقبل الهدية وينعم بأضعافها وكان الغرض إيصال أنواع الإحسان إلى الخلق مهما أمكن وكان يأمر الناس بالصدقة ويحرض عليها وكان يدعو إلى السماحة والسخاوة بحاله ومقاله بحيث أن البخيل الشحيح إذا رآه أثر فيه وتخلق بالكرم والبذل وكل من خالطه وصاحبه لم يكد يملك نفسه حتى يغلبه الإحسان والبذل ، ولهذا لم يزل منشرح القلب طيب النفس منبسط الخاطر ﷺ .

فصل فى أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله ﷺ الذى أنزلت فيه سورة ـ ألم نشرح لك صدرك ـ للامتنان بتلك النعمة

ينبغى أن يعلم أن أجل أسباب انشراح الصدر هو التوحيد . وبحسب كماله وتمامه وقوته وزيادته يزيد انشراح الصدر قال الله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) وقال الله تعالى : (فمن يرد الله

أن يهديه بشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء) فلا جرم أن يكون التوحيد ، والهداية من أعظم أسباب انشراح الصدر ، والشرك والضلالة من أعظم أسباب ضيق الصدر والقلب ، ومن جملة أسباب انشراح الصدر نور يجعله البارى تعالى فى قلب العبد ضياء وذلك نور الإيمان ، فمتى ماوقع فى قلب العبد دخله الفرح والسرور والانشراح وسعة القلب وظهر فيه ، وإذا فقد ذلك النور وقع فى ضيق القلب وابتلى بالشدة والمشقة ، وقال ﷺ : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا : وما علامة ذلك يارسول الله ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله » وينبغى أن يعلم أن نصيب الشخص من انشراح الصدر وسعة القلب بحسب نصيبه من كثرة النور ومن هذه الجهة للنور المحسوس أيضاً من فرح الخاطر وشرح الصدر حظ وافر ، والظلمة المحسوسة بعكس ذلك ، ومن جملة أسباب ذلك أيضاً العلم فان العلم يجعل كل زاوية من زوايا القلب أوسع وأشرح من السماء والأرض وكلما زاد علم الشخص زاد انشراح صدره ، وليس المراد من هذا كل علم بل العلم الموروث من الأنبياء ، فان الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، أشار إلى ذلك العلم .

وأهل ذلك العلم أوسع قلباً وأطيب عيشاً وأحسن خلقاً من سائر الخلق ومن هذا العلم تتولد الإنابة ومحبة الحق وللمحبة فى شرح الصدر مدخل عظيم وكلما نمت المحبة وقويت زاد شرح الصدر وكمل ، وأعظم أسباب ضيق الصدر وأقوى موجباته الإعراض عن الحق وتعلق القلب بغير ذلك الجناب والغفلة عن ذكر الحق ومحبة غيره ، ومن أحب غير الحق عذب به وحبس معه ، ولم يك فى العالم أسوأ حظا منه ، ولا أمر عيشة ولا أكثر هما ، لأن

المحبة محبتان ﴿ إحداهما ﴾ سرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح ودواء الهموم وهى محبة الحق سبحانه وتعالى بكل قلب ، والأخرى عذاب الروح وهم النفس وحبس القلب وضيق الصدر ومادة كل بلاء وهى محبة غير الحق ، وأيضاً جملة أسباب شرح الصدر دوام ذكر الحق فى كل حال ، وأيضاً الإحسان إلى خلق الله مهما أمكن من جار ومال وغير ذلك ، وأيضاً الشجاعة ، وأيضاً تطهير القلب من الصفات المذمومة ، والرسول ﷺ كان صاحب الكمال فى مجموع هذه الخصال ، ومن جعل اتباعه قصده يكون أكمل الخلق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

﴿ باب صيام النبى ﷺ ﴾

كان أجود الناس وأجود ما يكون فى رمضان ، وكان يستغرق أوقاته بالذكر والصلاة والاعتكاف والتلاوة ، ويخص هذا الشهر العظيم بأنواع العبادات ، وكان يواصل فى بعض لياليه وينهى غيره عن الوصال ، فقالوا : أتواصل وتنهانا يا رسول الله ؟ قال : « لست كهيئتكم إنى أبيت عند ربى » ، وفى لفظ : « أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » وللعلماء فى ذا الطعام أقوال : (أحدها) أنه طعام وشراب محسوس فإن هذا حقيقة اللفظ ، وليس فى الظاهر ما يوجب العدول عن الحقيقة فتعين الحمل على الحقيقة (الثانى) أن المراد غذاء روحانى يحصل من المعارف ، ولذة المناجاة ، وفيضان اللطائف الإلهية الواردة على قلبه الكريم وتوابعها من نعيم الأرواح ومسرة النفس والروح والقلب ونور البصر ، ويحصل بذلك من القوة والمسرة ما يستغنى به عن الغذاء الجسمانى :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضىء به ... ومن حديثك فى أعقابها حادى

إذا اشتكت من كلال السير واعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

وهذا القول الثانى هو المختار لأنه يتصور الوصال لو حمل على حقيقة الطعام والشراب بل يبطل الصيام ، وكان من العادة أن لا يشرع فى صيام رمضان إلا بعد رؤية الهلال على التحقيق أو بشهادة الواحد العدل كما صام مرة بشهادة ابن عمر ، ومرة بشهادة أعرابى ، واكتفى بمجرد إخبارهما ، ولم يكلفهما لفظ الشهادة ، فإن لم ير ولم يشهد به أتم شعبان ثلاثين يوما ثم صام وأمر الناس أن يصوموا بشهادة شخص واحد ، ويفطروا بشهادة شخصين ، وكان يعجل الفطر ويواظب على السحور ويؤخره ، وأمر الأمة بالسحور وتأخيره ، وأمر أن يفطر الصائم بثلاث رطبات ، فإن لم يجد فثلاث تمرات ، فإن لم يجد فالماء ، وهذا غاية الشفقة على الأمة ، لأن الطبيعة أوان خلو المعدة تقبل على الطعام أتم إقبال ، فإذا كان الحلو أول واصل إلى المعدة ينتفع البدن بقبوله غاية الانتفاع على الخصوص القوة الباصرة ، فإن انتفاعها بالحلو يكون أزيد من انتفاع سائر القوى ، ولما كان التمر حلو الحجاز وطبائعهم قد نشأت عليه كان انتفاعهم به أزيد من انتفاعهم بغيره من أنواع الحلواء (١) من جهة الطب (وأما) من جهة الشرع وأسرار ذلك فالحق جل شانه جعل تمر المدينة تريا قا لكل السموم ، ودواءاً لكل الهموم ببركة سيد العالم صلوات الله عليه وسلامه ، ومن ثم قال : « إن فى عجوة العالية شفاء من كل داء وأنها ترياق أول البكرة » وقال فى موضع آخر : « من تصبح بسبع تمرات مما بين لابتيها لن يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » وليس يظهر للأطباء الرسميين فى هذا المقام غير التحير ودوران الرأس ، وسر ذلك يعلمه أطباء القلوب ، وفى وقت الإفطار كان يقول هذا الدعاء : « اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا

(١) الحلواء الذى يؤكل يمد ويقصر ، وفى بعض النسخ « الحلوات » .

فتقبل منا إنك أنت السميع العليم » وفى إسناده مقال . وثبت فى سنن أبى داود أنه كان يقول : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » وجاء فى بعض الروايات أنه كان يقول : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر » وكان ينهى الصائم عن الرفث وعن الجهل ، وقال : إن قاتله أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم ، وللعلماء فى هذه المسئلة ثلاثة أقوال (قال) بعضهم : السنة أن يقول فى جوابه هذا اللفظ بلسانه وذا أظهر الأقوال (وقال) بعضهم : يقول بقلبه ويذكر نفسه أنه صائم لئلا يشتغل بالجواب (وقال) بعضهم : إن كان صومه فرضا يقول بلسانه وإن كان سنة يقول بقلبه ليكون أبعد عن الرياء .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا سافر فى رمضان أفطر فى بعض الأحيان ، وصام فى بعضها ، وخير الناس فى الصوم والإفطار ، وكان إذا اقترب من العدو وأمر بالإفطار وإن وقع مثل هذا فى الحضر ، وإن كان فى إفطار العسكر تقوية على العدو حل الإفطار ، وكان من العادة النبوية فى ليالى رمضان أنه إن احتاج إلى الغسل اغتسل فى الليل ، وفى بعض الليالى كان يؤخر ويغتسل بعد الصبح ، وكان يقبل أمهات المؤمنين فى أيام رمضان ، والحديث الذى رواه ابن ماجه سُئِلَ النبى ﷺ عن رجل قبل امرأته وهما صائمان ؟ فقال : « قد أفطر » إسناده ليس بثابت ولم يبلغ درجة الصحة ، ومن أكل الطعام أو شرب الماء ناسيا لم يأمره بالقضاء ، وكان يقول : إن الله هو الذى أطعمه وسقاه ، وكان يعد هذا الأكل والشرب بمنزلة أكل النائم وشربه ، وكان يحتجم فى رمضان ويستاك وكان لا يبالغ فى المضمضة والاستنشاق ، ولم يصح فى النهى عن السواك والاكتحال حديث ، وورد فى هذا الباب حديثان :

« اكتحل رسول الله ﷺ وهو صائم » والآخر قال فى الكحل : « ليتقه الصائم » وهذان الحديثان ضعيفان لا يصلحان للاحتجاج .

﴿ فصل فى صيام النافلة ﴾

كان رسول الله ﷺ يصوم نافلة حتى يظنوا أنه لا يفطر ويفطر حتى يظنوا أنه لا يصوم نافلة بعدها ، وكان لا يدع شهراً خالياً من الصيام وما يفعله العوام من صيام الأشهر الثلاث لم يرد فيه شىء ، ونهى عن صيام رجب ، وقال فى ستة شوال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر » وكان يصوم عاشوراء ألبتة ، ولصيام عاشوراء ثلاث مراتب (أفضلها) وأكملها أن يصوم ثلاثة أيام العاشر ويوم قبله ويوم بعده (المرتبة الثانية) أن يصوم التاسع والعاشر (المرتبة الثالثة) أن يصوم العاشر على انفراده ، وأما صوم التاسع على انفراده فإنه لا يجزى عن السنة وأما يوم عرفة فإن كان فى الحج أفطر ليتقوى على الدعاء والاجتهاد ولأن الإفطار فى السفر أفضل ، وأيضاً فإنه كان يوم الجمعة وإفراد صوم الجمعة مكروه ، وأيضاً فإن يوم عرفة لأهل الموقف عيد فإنهم كانوا يجتمعون فيه كما يجتمع غيرهم فى مواطن الأعياد ، وورد فى الحديث النبوى « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام » وكان فى بعض الأوقات يصوم يوم السبت والأحد ، وغرضه مخالفة اليهود والنصارى ، وفى حديث أم سلمة حيث قالوا : أى الأيام كان رسول الله ﷺ أكثرنا صياما ؟ قالت : يوم السبت والأحد ، ويقول : إنهما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم ، ولم يكن من العادة النبوية دوام الصيام ، بل نهى عن صوم الدهر ، وقال فى حق الصائم : « لا صام ولا أفطر » كان فى غالب الأيام إذا دخل بيته سأل هل عندكم ما يؤكل ؟ فإن قالوا : لا قال : فإنى صائم ونوى الصيام ، وكان فى بعض

الأوقات ينوى صوم التطوع ولا يتم الصيام ، بل يفطر ، وقال : « من نزل على قوم فلا يصوم من تطوعا إلا بإذنهم » لكن طعنوا فى إسناد هذا الحديث ، وكان يكره تخصيص يوم الجمعة بصوم ، ويقول : « إنه يوم عيد فلا تصوموه إلا أن يتقدمه يوم أو يعقبه يوم فلا يكره إذاً » وقد بين سر هذا فى باب الجمعة .

﴿ فصل ﴾ لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر والانقطاع عن الغير إلى الحق ، والإقبال على العبادات ، وموجب البعد عن الخلق ، وواسطة لزوال التفرقة والهموم المغايرة ، وهذه المقاصد فى حالة الصيام أكمل وأفضل(١) ، لاجرم أنه ﷺ بين للأنام تشريع الاعتكاف فى أفضل أيام الصيام ، وهى العشر الأواخر من شهر رمضان ، ولم يرد أنه اعتكف بغير صيام أبداً ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لا اعتكاف إلا بصوم ، واعتكف فى جميع الرمضانات فى العشر الأواخر ، ولم يفته إلا رمضان واحد قضى اعتكافه فى شوال ، واعتكف مرة فى العشر الأول ، ومرة فى العشر الأوسط ، ومرة فى العشر الأخير ، ولما علم أن ليلة القدر فى ذا العشر واظب اعتكافه إلى آخر الحال ، وكان إذا قصد الاعتكاف صلى الصبح ودخل معتكفه وهو خيمة كانت تنصب له فى المسجد ليختلى فيها ، وكان لا يأتى منزله إلا لقضاء الحاجة وكان فى بعض الأحيان يخرج رأسه من المسجد إلى حجرة عائشة

---

(١) الاعتكاف من السنن المؤكدة التى واظب عليها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المسجد ولا نرى لها أثراً الآن فى الوجود حتى ولا عند من يدعى أنهم المؤمنون المتبعون الامام المعصوم تطوف المساجد كلها لا تجد واحداً يعتكف ويظهر معالم الدين فى شهر رمضان ، فهل هيئة العمامة وتحسينها آكد من الاعتكاف فى شهر رمضان حتى تفعل ويترك ، ولكن القوم لشهوات أنفسهم يميلون ، ولما هو علامة عليهم يعملون ، وبكبيرهم يقتدون ، ولسنة رسوله وهديه يتركون ، فأنى يفلحون ، ومتى ينتبهون ، أسأل الله إيقاظ المسلمين ، وتركهم تقليد الآباء الجاهلين ، والمشايخ العاطلين .

رضى الله عنها لترجل له رأسه وتغسله ومن أراد من أمهات المؤمنين زيارته ﷺ في حال الاعتكاف جاءت إليه وحين قيامها للرجوع كان يقوم معها ويعانقها ويقبلها ؛ وهذا المجموع كان في الليل، وكان لا يباشر في مدة الاعتكاف وكان إذا أراد الاعتكاف يوضع له سرير في معتكفه ، ويفرش له عليه وكان إذا دخل منزله لقضاء الحاجة لا يشتغل بأحد ، وكان يمر في بعض الأحيان على المريض من أهل بيته ، فلا يقف عنده ولا يسأل عن حاله ، وكان يعتكف في كل عام عشرة أيام ، وفي العام الأخير اعتكف عشرين يوما وكان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة وفي العام الأخير عرضه مرتين ، وبالله تعالى التوفيق .

﴿ باب حج النبي . عمره ﷺ ﴾

جماهير العلماء على أنه حج بعد الهجرة حجة ، وتلك حجة الوداع ، ولا خلاف أنها كانت في السنة العاشرة من الهجرة ؛ وأما قبل الهجرة فثبت في جامع الترمذي أنه حج حجتين ، ونقل صاحب المحلى أنه زاد على ثلاث وأربع لكن لم يحفظ العدد ، ولما فرض الحج في العام التاسع اشتغل بتجهيز أسباب السفر في الفور ، وأما قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة) الآية ، فإنها نزلت في العام السادس ، وذا لا يدل على فريضة الحج والعمرة ، بل هو أمر بإتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيه .

﴿ فصل في سياق حج الرسول ﷺ ﴾

لما عزم ﷺ على الحج أعلم أصحابه بذلك ، فاستعدوا للسفر بأجمعهم ، ووصل الخبر إلى القرى والضياع القريبة من المدينة ، فتجهز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة ، وفي حال المسير إلى مكة تلاحق الناس من كل الأطراف ، حتى تجاوزوا الحصر والعد : وسافر في يوم الخميس أو السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة بعد أن صلى الظهر في مسجد المدينة ، وكان خطب

قبل ذلك ، وعلم الناس شرائط الحج وأركانه وآدابه ، وكان ذلك فى يوم الجمعة ، وذا يؤيد أن السفر كان فى يوم السبت ، لكن ورد فى الحديث الصحيح أنه «كان يحب إنشاء السفر فى يوم الخميس» وثبت فى صحيح البخارى «ما كان رسول الله ﷺ يخرج فى سفر إذا خرج إلا فى يوم الخميس» وبعد أن صلى الظهر رجل رأسه ودهنه ، وشد إزاره ، وسار بين الصلاتين حتى نزل بذى الحليفة ، وقصر صلاة العصر هناك ، وبات بها ، وصلى المغرب والعشاء ، والصبح والظهر ، فتم له بها خمس صلوات ، واستصحب معه أمهات المؤمنين كلهن ، وطاف عليهن فى تلك الليلة ، واغتسل لصلاة الصبح ، ثم اغتسل بعد الظهر أيضاً للإحرام ، واستعمل الخطمى والأشنان ، وقدمت إليه عائشة رضى الله عنها طيباً مركباً من أجزاء طيبة الرائحة ، وفيه مسك فطيب منه بدنه ورأسه حتى كان يرى وبيص المسك فى مفرقه المبارك ولحيته الشريفة بعد الإحرام ، ثم بعد ذلك لبس رداء إحرامه ، وصلى الظهر قصراً وأحرم فى المكان الذى صلى فيه ، ولم ينقل أنه صلى قبل الإحرام صلاة خاصة لأجل الإحرام غير صلاة فرض الظهر ، وقبل الإحرام قلد البدنة بنعلين ، وشق سنامها من الجانب الأيمن ، ومسح الدم ؛ واختلف فى إحرامه وكيفية تلبيته ، فأكثر الأحاديث الصحيحة مصرحة بأنه أحرم بحج وعمرة ، وقال : «أتانى آت من ربى عز وجل ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة» والأحاديث الصريحة فى هذا المعنى تزيد على عشرين ، وأيضاً وردت أحاديث كثيرة شهدت بأن إحرامه كان بإفراد الحج ، وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أهل بحج مفرداً ، وثبت فى الصحيحين : «خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا الحج» وعند مسلم عن ابن عمر : «أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفرداً» وورد فى التمتع أحاديث صحيحة وطريق التوفيق بين تلك الأحاديث هو أن الإحرام كان بالحج أولا ، ثم

أدخل العمرة فى الحج ، فصار قارناً ، وقال : « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » والذى قال بالتمتع مراده التمتع اللغوى : وهو الانتفاع والالتذاذ ولا شك أن الانتفاع والالتذاذ حاصل فى القرآن ، لأنه يكتفى عن نسكين بنسك واحد ، ولا يحتاج إلى إفراد عمل لكل واحد من الحج والعمرة (وأما) أصحابه رضى الله عنهم ، فقد كانوا على ثلاثة أقسام (قسم) أحرموا بالحج والعمرة أو بمجرد الحج ومعهم هدى وبقوا على إحرامهم (وقسم) ثان لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج فأمر الرسول ﷺ بأن يجعلوا الحج عمرة يعنى يقلبون الإحرام بالحج إلى الإحرام بالعمرة ، ويتممون أفعال العمرة قبل يوم عرفة ، ثم يحرمون بالحج من مكة ، ويمضون إلى عرفة (وقسم ثالث) هم جماعة لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج ، فأمرهم الرسول ﷺ أن يقلبوا الإحرام إلى العمرة ، وهذا هو فسخ الحج بالعمرة .

﴿ فصل ﴾ وقع السهو لخمس من الطوائف فى صفة حج رسول الله ﷺ (الطائفة الأولى) هم القائلون بأنه حج مفرداً ولم يعتمر إذ ذاك (الطائفة الثانية) هم القائلون بأنه تمتع بالعمرة ثم أحل ثم أحرم بالحج (الطائفة الثالثة) هم القائلون بأنه تمتع ولم يحل من إحرامه لأنه ساق الهدى (الطائفة الرابعة) هم القائلون بأنه كان قارنا قرانا جمع فيه بين طوافين وسعيين (الطائفة الخامسة) هم القائلون بأنه كان مفرداً ثم بعد ذلك أحرم بالعمرة من التنعيم ﴿ وأما ﴾ إحرام الرسول ﷺ فوقع فيه سهو لخمس طوائف أيضاً (الطائفة الأولى) هم القائلون بأنه لبى بعمرة مجردة واستمر على ذلك (الطائفة الثانية) هم القائلون بأنه لبى بالحج مفرداً واستمر عليه (الطائفة الثالثة) هم القائلون بأنه لبى بعمرة ثم أدخل عليها الحج (الطائفة الرابعة) هم القائلون بأنه لبى بالحج مفرداً ثم بعد ذلك أدخل عليه العمرة وهذا من

خصائصه (الطائفة الخامسة) هم القائلون بأن إحرامه كان مطلقاً ولم يعين نسكا ثم بعد ذلك جاء الوحى بالتعيين ، ولما صلى الظهر أحرم ولبى ثم ركب ناقته ولما انبعثت ناقته لبى أيضاً ثم لما صعد على طرق البيداء لبى أيضاً وكان حينا يقول لبيك بحجة وعمرة ، وحينا يقول لبيك بحجة ، وكان يقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، وكان يرفع صوته ليسمع جميع الصحابة ويقول : ارفعوا أصواتكم ، وكان راكبا على بعير ، عليه رحل وليس عليه شقدف ولا محارة ولا محمل ولا هودج ولا محفة وداوم يلبى على هذه القاعدة ، والصحابة يزيدون وينقصون فى التلبية ولم ينكر عليهم الرسول ﷺ وجمع شعر رأسه ﷺ فى مدة الاحرام ولبده بالخطمى والغسل ـ بكسر الغين المعجمة ـ وهو عبارة عن دواء يجتمع به الشعر ، ولما وصل إلى منزل الروحاء رأى حمار وحش مجروحا فقال : دعوه فسيأتى الذى جرحه عن قريب ، فأتى على الفور وقال : يارسول الله إفعلوا بصيدى ماشئتم فأمر أبا بكر فقسمه على الرفاق ، ثم لما وصل إلى منزل إثابة ـ وهو منزل بين الروية والعرج ـ رأى ظبيا نائما فى ظل شجرة فأمر شخصا أن يكون بالقرب منه لئلا يتعرض له أحد من المحرمين ، ولما بلغ العرج تخلف غلام لأبى بكر كان معه جمل هو زاملة الرسول وأبى بكر فانتظروه زمانا ولما وصل لم يروا الجمـــل معه ، فقال أبو بكر : أين البعير ؟ قال : فقدته ، فقام إليه أبو بكر وضربه على سبيل التأديب وهو يقول : جعلناك على بعير واحد فضيعته والرسول ﷺ يتبسم ويقول : أنظر إلى هذا المحرم مايصنع ولم يزد على هذا ، ولما بلغ الأبواء جاء إليه صعب بن جثامة بحمار وحش هدية ، فلم يقبله منه ولما رأى الكراهة فى وجهه قال : لم نرد هديتك لكنا محرمون ، ولما بلغ وادى

عفان قال : يا أبا بكر أتعلم أى واد هذا ؟ فقال : وادى عفان ، قال : لقد مر بهذا الوادى هود . وصالح عليهما السلام على جملين أحمرين خطامهما من ليف ، وعليهما إزاران من صوف ، ورداءان من صوف هما عباءتان وهما يلبيان بالحج ، ولما بلغ سرف حاضت عائشة فحزنت وبكت فقال : لما تبكين ؟ لعلك حضت قالت : نعم ؟ قال لاتهتمين هذا شيء كتبه الله على بنات آدم ، وليس فى حجك نقص أعملى كل مايعمله الحاج لكن لاتطوفى بالبيت وكانت عائشة قد أحرمت بالعمرة فقط ، فقال رسول الله ﷺ : اغتسلى وأحرمى بالحج ففعلت ، ولما رأت الطهر طافت وسعت (١) فقال رسول الله ﷺ : قد أحللت من الحج والعمرة فقالت : إنى لأجد فى نفسى دغدغة لأنى ماطفت العمرة إلا بعد الوقوف فأمر أخاها عبد الرحمن أن يمضى بها لتحرم من التنعيم وتأتى بعمرة . وللعلماء فى هذه العمرة أقوال (قال) بعضهم : هى عمرة زيادة أمر بها لتطييب خاطر عائشة رضى الله عنها وجبر قلبها والافطوافها وسعيها كاف عن حجها وعمرتها وهى كانت متمتعة وأدخلت الحج على العمرة ، فصارت قارنة وذا أصح الأقوال والأحاديث لاتدل على غيره . (وقال) بعض العلماء : لما حاضت أمرها برفض العمرة الأولى التى كانت أحرمت بها وهذا قول الإمام أبى حنيفة وأصحابه . ولما وصل الرسول ﷺ سرف قال : من لم يسق الهدى وأراد أن يجعل نسكه عمرة فليفعل ومن ساق الهدى فليمض على نسكه . ولما وصل مكة قال على طريق الجزم والوجوب : من لم يسق الهدى فليجعل نسكه عمرة وليحل

---

(١) الأحاديث الصحيحة تدل على أنها جعلت إحرامها بالحج عمرة لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا لما تعذرت عليها العمرة قال لها صلى الله عليه وسلم : كونى على إحرامك عسى الله أن يرزقكيها .

من إحرامه ومن ساق الهدى فليقم على إحرامه ، وقال : لولا أنى سقت الهدى لأحللت ، ولما وصل إلى ذى طوى قبل دخوله مكة نزل ثم بات ليلة الأحد الخامس(١) من ذى الحجة وصلى الصبح هناك واغتسل ودخل مكة بعد طلوع الشمس بهنيئة من طريق الحجون (٢) ، ولما وصل إلى باب بنى شيبة وشاهد الكعبة أخذ يدعو بهذا الدعاء « اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة » وفى بعض الروايات أنه لما نظر إلى الكعبة رفع يديه وكبر وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه واعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا » ولما دخل المسجد ، قصد نحو الكعبة ولم يصل تحية المسجد ولما حاذى الحجر الأسود استلمه ولم يرفع يديه ولم يكبر كما يفعله الجهال ثم أخذ فى الطواف وجعل الكعبة على جانبه الأيسر ولم يرد شىء من الأدعية فى مكان بعينه بإسناد صحيح إلا الدعاء بين الركن اليمانى والحجر الأسود فإنه قال هناك : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ورمل فى ثلاثة أشواط ، والرمل أن يسرع فى مشيته ويقارب بين خطواته كما يفعله المصارعون ، وأخرج رداءه من تحت أبطه الأيمن وجعله على كتفه الأيسر وسار فى بقية الطواف على هينة ، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه بمحجن كان فى يده ثم قبل رأس ذلك المحجن ، والمحجن عصا قصيرة فى رأسها أعوجاج ، وكان إذا حاذى الركن اليمانى ، أشار إليه بالاستلام ولم يثبت أنه إذ ذاك قبل يده أو قبل المحجن ، وأما الحجر الأسود فانه قبله ووضع وجهه المبارك عليه . وفى

---

(١) لعله الرابع فقد صح أنه دخل لأربع خلون من ذى الحجة ، وأن الوقوف كان يوم الجمعة انظر صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٥ (٢) هو جبل مشرف بمكة ، وقيل موضع بمكة .

بعض الأحيان كان يضع يده عليه ثم يقبلها ، وكان يقول فى حال الاستلام « بسم الله والله أكبر » وكلما حاذى الحجر الأسود قال : « الله أكبر » وكان فى بعض الأحيان يضع جبهته عليه ساجداً ثم يقبله كل هذا ثابت فى الصحيح ، وكان إذا فرغ من الطواف قام خلف المقام وتلا قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ثم صلى ركعتى الطواف والمقام إذ ذاك كان موضوعا قريبا من الكعبة ، وقرأ فى الركعة الأولى الفاتحة . وقل يا أيها الكافرون . وفى الثانية الفاتحة . وقل هو الله أحد ، ثم بعد الصلاة توجه إلى الحجر الأسود وجاء فاستلمه ثم خرج من أوسط أبواب الصفا وهى خمسة ثم قصد الصعود ولما قرب منه تلا قوله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال « أبدأ بما بدأ الله به » وفى رواية النسائى « أبدؤا » على صيغة الأمر ثم صعد على الصفا قدر ما يتمكن معه من مشاهدة الكعبة ثم استقبلها وكبر الله وقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا وقال : « اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا كربا إلا كشفته ولا حاجة إلا قضيتها ثم هلل ثلاثا ثم دعا بما أحب ثم هبط .

وروت صفية بنت شيبة أنه كان يقول بين الصفا والمروة : « رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم » ، وكان يسعى ماشياً يسير من الصفا إلى المروة ، ومن المروة إلى الصفا . فلما اشتد الزحام ركب ناقته وتمم سعيه راكباً وأما طواف القدوم فانه كان فيه ماشياً كما ذكرنا لما روى جابر أنه رمل فى الأشواط الثلاثة الأول وذا لا يتصور للراكب ، وأما طواف الركن فانه

أتى به راكباً لعذر وكان يختم السعى بالمروة ، وكلما وصل إليها قرأ الأذكار والدعوات التى قرأها على الصفا ، ولما تمم السعى قال للصحابة : ألا من لم يسق الهدى فليجعلها عمرة ، وفرض عليهم التحلل التام من وطء وطيب ولبس مخيط ثم أقاموا على ذلك إلى يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أنى سقت الهدى لاحللت» وأما ماورد فى بعض الروايات من أنه صلى الله عليه وآله وسلم أحل فانه لم يثبت بل هو غلط ، وهنا دعا فقال : اللهم ارحم المحلقين ثلاث مرات ، والمقصرين قالها مرة ، وسأل سراقة بن مالك رسول الله ﷺ عن الفسخ والإحلال أخاص هو فى هذا العام أم حكم دائم ؟ فقال : بل حكم دائم إلى الأبد ، وأبو بكر ، وعمر ، وعلى ، وطلحة ، والزبير لم يحلوا من إحرامهم لما ساقوه من الهدى وأمهات المؤمنين أحللن ، وكذا فاطمة رضى الله عنها فانها لم يكن معها هدى ، وفى هذه المدة حيث أقام قصر الصلاة بمنزله ظاهر مكة ، ولما مضت أربعة أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وتضحى النهار من يوم الخميس توجه بجميع الناس إلى منى ، وأحرم إذ ذاك بالحج من كان قد أحل كل واحد من منزله ، ولما وصل ﷺ إلى منى نزل وصلى الظهر والعصر وبات بمنى ، وكانت ليلة الجمعة ، ولما ارتفعت الشمس سار من منى على طريق ضب إلى عرفة ، وكان بعض الصحابة يكبر وبعضهم يلبى ، ولم ينكر ﷺ على أحد ولما بلغ إلى نمرة ـ وهو موضع قريب من عرفات ـ وجد قبته قد ضربت هناك ، فنزل وأقام حتى زالت الشمس ، ثم أمرهم بشد رحل ناقته وركبها ، وخطب خطبة بين فيها قواعد الإسلام بأسرها ، واقتلع أساس الشرك والجاهلية بالكلية ، وذكر ما كان محرماً فى جميع الملل ، وجعل أوضاع الجاهلية بأسرها ، وكل ربا كان فيها تحت قدمه ، ووصى أمته بملاطفة النساء

وأمرهم بالتمسك بكتاب الله ، وأخبرهم أنهم لن يضلوا ما داموا به متمسكين ثم سألهم ماذا تقولون ، وبماذا تشهدون ؟ قالوا : نشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ؛ فرفع ﷺ أصبعه نحو السماء ، وقال : « اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد » ؛ ثم قال: ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ثم نزل وأمر بلالا بالأذان والإقامة ، وصلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، وصلى معه أهل مكة كما صلى ، ثم بعد ذلك ركب وسار إلى عرفات ، ولما قرب من الصخرات الكبار استقبل القبلة ووقف على راحلته ، وأخذ فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى أن غربت الشمس . ثم سار وقال: عرفات كلها موقف لايخص مكان دون مكان ، وكان فى حالة الدعاء قد رفع يديه نحو صدره كالسائل المسكين ، ومن جملة ما حفظ عنه من دعوات ذلك الموقف « اللهم لك الحمد كالذى نقول ، وخير مما نقول ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، وإليك مآبى ، ولك رب تراثى ، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر . اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح . اللهم أنك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ولايخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى . أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ، ورغم أنفه لك . اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقياً ، وكن بى رؤوفا رحيما ياخير المسئولين ، وياخير المعطين ، هذا الدعاء ثابت فى معجم الطبرانى ، وروى الإمام أحمد فى مسنده أن أكثر دعاء النبى ﷺ فى يوم عرفة « لاإله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير » ، وفى سنن البيهقى أن النبى ﷺ قال :

أكثر دعائى ودعاء الأنبياء فى يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى سمعى نوراً وفى بصرى نوراً اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر . اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر ، ونزل من الآيات فى عرفات (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) ، وفى ذلك اليوم سقط رجل عن راحلته بعرفات فأمر النبى ﷺ أن يغسل بالماء والسدر ، وأن يدرج فى ثوبى إحرامه ، وأن لا يطيب ولا يغطى رأسه ولا وجهه ، وقال: إنه يبعث ملبياً ولما أفاض بعد تمام الغروب كان أسامة بن زيد رديفه ، وكان ﷺ يجذب زمام الراحلة إليه بحيث إنه كان رأسها يحك الرجل وكان يقول : أيها الناس إتئدوا مهلا مهلا ليس الخير فى السوق ولا التقوى فى العجلة ، وكان يرجع فى طريق المأزمين يقصد ما قصده فى الخروج إلى مصلى العيد من طريق ، والرجوع من أخرى ، وفى أثناء ذلك ربما أرخى زمام راحلته ليكون السير بين السريع والبطىء ، وإذا وصل إلى مكان وسيع حركها بسرعة ، وإذا بلغ نشزاً من الأرض أرخى لها لتسير الهوينا ، وكان يلبى فى طريقه ، ومال إلى بعض الشعاب ، ونقض وضوءه ثم توضأ وضوءاً خفيفاً ، فقال أسامة : الصلاة يارسول الله ، فقال ﷺ الصلاة أمامك ، ثم ركب حتى أتى المزدلفة فتوضأ وضوءاً كاملا ، ثم أمر بالأذان والإقامة وصلى المغرب قبل أن تحل الرحال . بل قبل أن تناخ الجمال ، ولما حلوا رحالهم أقيمت الصلاة وصلى العشاء أيضاً بغير أذان ، ولم يصل بين هذين الفرضين صلاة أصلا ثم بات بالمزدلفة إلى أن تنفس الصبح ولم يحى تلك الليلة ولم يصح شىء من الأحاديث

فى إحياء ليلة العيد ، ورخص لضعفاء قومه أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر ولا يرمون إلا بعد الطلوع ؛ وأما قول عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل أم سلمة فى ليلة النحر فرمت الجمار قبل الفجر ثم مضت فطافت طواف الركن ثم رجعت إلى منى ففى إسناده مقالات ، وأنكره الأساطين من المحدثين ، وأرسل جمعاً من النساء فرموا الجمار فى الليل لخوف الزحام ، وللناس فى هذه المسألة ثلاثة أقاويل يجوز عند الشافعى وأحمد ، رمى جمرة العقبة بعد نصف الليل لكل ، وأبو حنيفة يقول : لا يجوز إلا بعد طلوع الفجر ، وقال جماعة : لا يجوز للقادر إلا بعد طلوع الشمس بخلاف المعذور فانه يجوز له ذلك ، ولما طلع الفجر صلى الصبح لأول وقتها لا قبل الوقت كما يظنه البعض ، ثم ركب وجاء إلى المشعر الحرام وهو تل فى وسط المزدلفة عليه عمارة محدثة ، وأما قول بعض مشايخ الحديث والفقهاء : هو جبل صغير على يسار الحاج ، وهذا المقام المشهور ليس بالمشعر فسهو منهم ، والصحيح أن المشعر الحرام هذا المعروف المعمور ، ثم وقف ﷺ فى المشعر الحرام واستقبل القبلة ، واشتغل بالدعاء والتضرع والابتهال ، والتكبير ، والتهليل إلى قريب طلوع الشمس ، ثم دفع وقد أردف الفضل بن العباس ، وأسامة يمشى بين قريش ، وفى هذا الطريق أمر الفضل بن العباس أن يلقط له حصى الجمار . فالتقط سبعاً أخذها ﷺ على كفه المبارك ، وجلا عنها الغبار ، وقال : أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين ، وفى هذه الطريق اعترضته امرأة جميلة من خثعم وقالت : إن أبى شيخ كبير لا يستمسك على البعير فأمرها بالحج عنه فلاحظها رديفه الفضل بن العباس فجعل ﷺ يده وقاية لئلا يتلاحظا ، واعترضته أيضاً امرأة وأخبرت أن أمها فى غاية العجز ، وأنها إن ربطت على البعير

فربما هلكت فقال رسول الله ﷺ : لو كان على أمك دين كنت تقضيه عنها أم لا ؟ فقالت : نعم كنت أقضيه قال : فدين الله أولى بالقضاء . ولما بلغ بطن محسر ـ وهو واد فى أول منى ـ ساق راحلته سوقا شديداً وأسرع الخروج منه ، وهكذا جرت العادة النبوية فى جميع المواطن التى أنزل الله فيها البلاء على أعدائه ، وفى بطن محسر جرى على أصحاب الفيل ما هو فى القرآن ، وسمى محسراً لأن الفيل حسر فيه عن الحركة ، وعجز عن السير نحو مكة ، وبطن محسر برزخ بين منى والمزدلفة ، وليس منهما كما أن عرنة ونمرة برزخ بين عرفة والمشعر الحرام ، وكذلك لم يزل يحرك راحلته فى الطريق الوسطى إلى أن هبط فى الوادى الذى تجاه جمرة العقبة ، فقام ـ والكعبة على يساره ومنى على يمينه ورمى الجمار سبعاً ـ وهو راكب واحدة بعد واحدة فى محل الجمرات يكبر مع كل واحدة وبعد رمى الجمار قطع التلبية وفى ركابه أسامة بن زيد وبلال أحدهما آخذ بزمام الراحلة ، والآخر يظله بمظلة ليقيه حر الشمس ، ثم رجع إلى منزله بالقرب من مسجد الخيف ، وخطب خطبة بليغة بلغ صوته إلى جميع أهل الخيام فى خيامهم ، وهذا من جملة المعجزات النبوية أعلم فيها بحرمة يوم النحر ، وفضله عند الله سبحانه وتعالى ، وأمرهم بتعلم مناسك الحج ، وقال لعلى : لا أحج بعد عامى هذا وأمر بالسمع والطاعة للأمراء الداعين إلى كتاب الله ، وأنزل الأنصار والمهاجرين منازلهم ، وقال : لا ترجعوا بعدى يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ومن جنى جناية فعلى نفسه ، وقال : اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم ، وودع الناس وقال : ليبلغ الشاهد منكم الغائب . ثم سار إلى المنحر ـ وهو موضع مشهور فى وسط سوق منى ـ ونحر ثلاثاً وستين بدنة بيده ، وهن قيام معقولات . وهذا عدد سنى عمره

المبارك ، وأمر أمير المؤمنين علياً بنحر تمام المائة ، فنحر سبعاً وثلاثين ، وأمره أن يتصدق بجلالها وجلودها ، وأن لايعطى أجرة الجزار منها ، بل من ماله ﷺ (وأما) حديث أنس أنه نحر سبعاً فتوهم بعضهم أنه معارض لهذا الحديث ، وجوابه أن أنساً شاهد سبعاً ، ثم غاب ، وجابر شاهد تمام ثلاث وستين ، وقال بعضهم : نحر سبعاً بيده المباركة إلى تمام ثلاث وستين كان طرف الحربة بيد النبي ﷺ وطرفها الآخر بيد على ، وبعد ثلاث وستين نحر أمير المؤمنين سبعاً وثلاثين على انفراده ، ولما فرغ من النحر أعلم أن منى كلها منحر ، وأن فجاج مكة كلها سبل ، وأن المنحر والنحر لايختص ببعض الأماكن ، وأمر بطلب الحلاق فحلق رأسه ، ولما وقف الحلاق ـ وهو معمر بن عبد الله بن نضلة على رأس رسول الله ﷺ وأخذ الموسى بيده ـ قال له : يا معمر أمكنك رسول الله ﷺ من شحمة أذنيه ، وفى يدك الموسى؟ فقال معمر : نعم وإن ذلك لمن نعم الله على ومنه ، قال: أجل ، ثم أشار إلى الحلاق أن يبدأ بالجانب الأيمن فلما فرغ منه قسم الشعر على من حضر فى ذلك الجانب ، ثم أشار إليه أن يحلق الجانب الأيسر ، فأعطى جميع ذلك لأبى طلحة ، وكان قد أخذ نصيبا من الجانب الأيمن قبل كل أحد ، ولما فرغ من الحلق ـ وكان قد أصاب كل أحد شعرة أو شعرتين ـ قلم أظفاره وقسم ذلك أيضا على الناس ، وحلق أكثر الصحابة ، وقصر أقلهم ؛ ثم بعد ذلك سار إلى مكة قبل الزوال فطاف ، وهذا الطواف يسمى طواف الإفاضة وطواف الزيارة ، وطواف الصدر ، وما ورد فى بعض الأحاديث من أنه ﷺ أخر طواف الزيارة إلى الليل ، فمشايخ الحديث يقولون : هو غلط ، ولما فرغ من الطواف جاء إلى بئر زمزم فوجدهم ينزعون الماء ، فقال : لولا أنى أخشى أنكم تغلبون لنزعت معكم ، وأعنتكم على السقاية ، فعرضوا عليه

دلواً ، فتناولها منهم وشرب قائما ، وشربه قائما : إما لبيان جواز ذلك ، وإما للضرورة والحاجة ، وقد كان نبي الله فى هذا الطواف راكبا راحلته وسبب الركوب قال بعضهم : كثرة الازدحام أو ليكون مشرفا على الناس ليراه الحاضرون ، فيتعلموا الطواف وآدابه ، وقال بعضهم : كان فى رجله المباركة عارض يؤذيه ، فركب ضرورة ورجع من حينه إلى منى ، وصلى الظهر بها كذا فى الصحيحين ، وفى صحيح مسلم أنه صلى الظهر بمكة ، وأكثر العلماء يرجحون أنه صلى الظهر بمكة ، لأن هذا الحديث رواه صحابيان جابر وعائشة ، وذاك رواه ابن عمر (الثانى) أن عائشة أخص وأعلم بأحواله ، وبعضهم يرجح حديث ابن عمر لأنه متفق عليه ، وليس فيه اضطراب ، ورجال إسناده أعظم وأجل ، ولما رجع إلى منى بات بها وأقام فى اليوم الثانى إلى أن زالت الشمس فسار على قدميه قبل أداء صلاة الظهر نحو الجمرة الأولى ، وهى التى تلى مسجد الخيف ورمى سبعا يكبر مع كل ، ولما فرغ من الرمى تقدم قليلا إلى السهل ، واستقبل القبلة ، ودعا قدر سورة البقرة ، ولما فرغ من الدعاء أتى الجمرة الوسطى ، ورمى كما فعل فى الأولى ، وأخذ على الطريق اليسرى ، ومشى خطوات نحو وسط الوادى ، ودعا قدر ما دعا فى الأولى ، وسار نحو جمرة العقبة واستقبلها ، وجعل الكعبة على يساره ، ومنى على يمينه ، ورمى ورجع من حينه ، ولم يشتغل بالدعاء ، ولهذا وجهان : (أحدهما) أنه كان زحام عظيم ، ولم يتيسر الوقوف (الثانى) أن دعاء هذه العبادة كان قد أتى به فى صلب العبادات ، والدعاء فى صلب العبادة أفضل منه فى غير العبادة ، وكذا دعاء الصلاة غالبا كان فى آخر التشهد قبل السلام ، ولم يتعجل فى النفر بل أقام ثلاثا ، وبعض الرابع السبت والأحد والاثنين ، وبعد الزوال من يوم

الثلاثاء رمى وسار إلى المحصب - وهو موضع خارج مكة يقال له الأبطح أيضاً - فنزل به حيث كان أبو رافع المقدم على أحماله قد نزل ثمة ، وضرب الخيمة بحسب الاتفاق لاعن أمر فنزل ﷺ وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء هناك ونام قليلا ، فلما استيقظ ركب وسار إلى مكة وطاف للوداع ولم يرمل ، وفى هذه الليلة رغبت عائشة فى العمرة فأجازها ليلا ، وأرسل معها عبد الرحمن إلى التنعيم - وهو خارج عن الحرم - فأحرمت وجاءت إلى مكة وتممت عمرتها قبل مضى الليل ، ورجعت إلى المحصب فقال رسول الله ﷺ فرغتم ؟ فقالوا : نعم ، فأمر بالرحيل فرحلوا بأجمعهم وطاف رسول الله ﷺ طواف الوداع ، ثم توجه إلى المدينة . واختلف العلماء فى التحصيب (قال) بعضهم : أمر اتفاقى ، ولم يكن من السنن ولا من الآداب (وقال) بعضهم هو من سنن الحج وتمام المناسك لأن النبى ﷺ قال : إنا نازلون غداً بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر ، والمراد بخيف بنى كنانة المحصب لأن قريشاً وبنى كنانة تعاهدوا وتحالفوا هناك على أن لا يخالطوا بنى هاشم ، ولا يناكحوهم ، ولا يواصلوهم حتى يسلموا لهم رسول الله ﷺ فقصد ﷺ أن يظهر شعائر الإسلام حيث أظهروا شعائر الكفر ، والله أعلم .

﴿ فصل فى دخول الكعبة والوقوف بالملتزم فى طواف الوداع ﴾

قال جماعة من العلماء والفقهاء : لما حج رسول الله ﷺ دخل الكعبة ودخول الكعبة من سنن الحج ، والأحاديث والآثار دالة على أن دخول الكعبة لم يكن فى هذه السنة بل فى عام فتح مكة ، وفى الصحيحين قال ابن عمر دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقة لأسامة حتى أناخ بفناء الكعبة فدعا عثمان بن طلحة بالمفتاح فجاء ، ودخل النبى ﷺ وأسامة ، وبلال ، وعثمان بن طلحة ، فأجافوا عليه الباب ملياً ، ثم فتحوه فبادرت الناس ، قال

ابن عمر : فوجدت بلالا على الباب فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ ؟ قال: بين العمودين المقدمين قال : ونسيت أن أسأله كم صلى ؟ وهذا الحديث صريح فى أن دخول البيت كان عام فتح مكة ، وقال : إنى دخلت البيت وددت أنى لم أكن دخلت إنى أخاف أن أكون قد أتعبت أمتى من بعدى وسألت عائشة دخول البيت فقال ﷺ : صلى فى الحجر ركعتين فكأنما صليت فى الكعبة (وأما) الوقوف فى الملتزم ففى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمر أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ قائماً بين الركن والباب ، واضعاً صدره على جدار الكعبة باسطاً ذراعيه وكفيه ، وهذا يحتمل أن يكون عام الفتح ، يحتمل أن يكون عام الحج ، وكأنه كان فى العامين ، لأن مجاهداً والإمام الشافعى وجماعة من العلماء قالوا بأنه يستحب بعد طواف الوداع أن يقف الملتزم ويدعو لأنه ما وقف به أحد ودعا إلا استجيب له ، ولما صلى رسول الله ﷺ الصبح تجاه الكعبة قرأ فى الصلاة سورة ق والطور ثم توجه إلى المدينة ، ولما وصل إلى منزل الروحاء ليلة الجمعة رأى جمعاً فسلم عليهم وسألهم عن شأنهم . فقالوا : نحن مسلمون . فمن أنت ؟ قال : أنا رسول الله فجاءت امرأة وقدمت طفلا وقالت : أيصح حج هذا الطفل ؟ قال : نعم وتثابين أيضاً ، ولما بلغ إلى ذى الحليفة نزل بها وبات فلما أصبح سار ، ولما شاهد المدينة كبر ثلاثاً ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخل المدينة .

﴿ فصل ﴾ اعلم أن الذبائح التى تحصل بها القربة ثلاثة أنواع (أحدها) الهدى (الثانى) الأضحية (الثالث) العقيقة ، والنبى ﷺ كان يرسل للهدى الغنم والإبل ، وكان يهدى عن أمهات المؤمنين البقر ، ولما حج ساق الهدى معه

ولما اعتمر أيضاً ساق معه الهدى ، وكان إذا قام فى بعض الأعوام أرسل الهدى مع من يذهب إلى مكة ، ولم يكن فى حالة إرسال الهدى يحرم عليه شىء ، وكان من عادته إذا أهدى غنما أن يقلدها ، وإذا أهدى إبلا قلدها وأشعرها ، وقد تقدم بيان ذلك ، وكان إذا أرسل الهدى على يد أحد أمره إذا أشرف شىء على الهلاك أن يذبحه ويصبغ نعله بدمه ويضرب به صفحته ولا يأكل منه هو ولا من فى تلك الصحبة وإن حضر أجانب قسم المذبوح بينهم ، وكان يهدى البدنة والبقرة عن سبعة ، وكان يبيح ركوب الهدى وقت الحاجة ما لم يجد غيره ، وينحر الإبل قائمة معقولة اليسار ، ويقول عند النحر « بسم الله والله أكبر » وكان إذا ذبح الغنم جعل قدمه المبارك على صفحتها وأباح لأمته أن يأكلوا من هديهم ويتزودوا ، وكان يقسم الهدى حيناً ، وحيناً يقول : من له حاجة فليقطع لنفسه ، واستدل بعضهم بهذا على جواز الانتهاب فى النثار ، وما ساق من الهدى فى العمرة نحره عند المروة إليه ، وما ساق فى الحج نحره فى منى ، ولم ينحر أبداً إلا بعد صلاة العيد ، ولم ينحر قبل يوم العيد أبداً ، وهذه الأمور مرتبة هكذا فى يوم العيد رمى جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف .

﴿ فصل فى قربان رسول الله ﷺ ﴾

لم يترك الأضحية قط ضحى بكبشين من الضأن ذبحهما بعد صلاة العيد وقال : من ذبح قبل صلاة العيد فليعد فانها ليست بقربة وإنما هى شاة لحم حصلها لأهله وقال : يجزى من الضأن ما كان لسنة ومن غيره ما كان لسنتين فصاعداً ومجموع يوم العيد وثلاثة أيام التشريق أيام ذبح . ومن السنة النبوية أن من قصد الأضحية فى يوم العيد أن لا يأخذ من شعره إذا هل هلال ذى الحجة ولا من ظفره وأن يكون كالمحرم وأن يختار لأضحيته السمين

سالم من العيوب لا العوراء ولا العمياء ولا معضوبة الأذن ولا مقطوعتها .
كان من العادة النبوية أن يذبح الضحايا فى المصلى قال جابر : حضرت رسول الله ﷺ لما فرغ من الصلاة خطب ولما فرغ من الخطبة ونزل عن المنبر جاءوا بكبش فذبحه ﷺ بيده وقال : « بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » وثبت فى سنن أبى داود أنه ضحى بكبشين أقرنين أملحين موجوءين فلما وجههما قال : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ثم ذبح » وأمر الناس بالإحسان فى الذبح وقال : « إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » ومن الإحسان أن لا يذبح بحضور البعض وأن لا يشرع فى السلخ إلا بعد كمال الموت .

﴿ فصل فى السنة النبوية فى العقيقة ﴾

العقيقة اسم أول شعر نبت على رأس الطفل لأنه يعق اللحم والجلد أى يشقهما ويخرج ، وكان الرسول ﷺ يكره هذا الاسم سئل عن العتيرة قال : لا أحب العقوق فقالوا : نجعل نسكا عن الولد ؟ فقال : من أحب أن يؤدى نسكا عن الولد ، فعن الغلام شاتان وعن الجارية شاة ، وورد فى الحديث الصحيح « أن الغلام رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى » قال الإمام أحمد : معنى الحديث أن الولد محبوس عن أن يشفع لوالديه ما لم يؤديا عنه العقيقة . وقال بعضهم : هو ممنوع ومحبوس عن الخيرات والزيادات ما لم يؤدوا عنه العقيقة ، ووقع فى بعض الروايات

بدل ـ ويسمى ـ ويدمى ، وقال قتادة : تفسيره إن الشاة إذا ذبحت أخذ قليل من صوفها وجعل فى الدم السائل من المذبوح ثم وضع على رأس الطفل ليسيل من الدم على رأسه مثل الخيط ثم يغسل ويحلق رأسه (والصواب) أن هذا تحريف من بعض الرواة لأن النبى ﷺ عق عن الحسن والحسين بشاتين ولم يفعل ذلك وهذا الفعل بعوائد الجاهلية أشبه والله أعلم . وصح أنه ﷺ عق عن الحسن بشاة . وعن الحسين بشاة وأمر فاطمة بحلق رأسه وأن تتصدق بوزن شعره فضة ، ولما وزن كان قدر درهم ولكن حديث : عن الغلام شاتان أقوى وأصح لأنه يروية جماعة من أكابر الصحابة ، وأيضاً الفعل يدل على الجواز والقول أقوى من الفعل وأتم لأن الفعل يحتمل الاختصاص ، وأيضاً الفعل يدل على الجواز والقول على الاستحباب ، وأيضاً قصة ذبح العقيقة عن الحسن والحسين متقدمة على حديث أم ذر لأنها عام أحد والعام الذى بعده ، وحديث أم ذر عام الحديبية ، وأيضاً الحق جل شأنه فضل الذكر على الأنثى فى الميراث وفى جميع الأمور وذا يقتضى الفرق فى هذا الباب أيضاً ، وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ ذبح العقيقة عن نفسه بعد النبوة ولكن فى إسناده ضعف ، وقال أبو رافع : رأيت النبى ﷺ أذن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة ، وأما تسمية المولود فالسنة أن يكون فى اليوم السابع ، وأما الختان فابن عباس رضى الله عنهما يقول : كانت الصحابة يختنون أولادهم بعد البلوغ ، وقال مكحول: ختن إبراهيم ﷺ ابنه إسحاق عليه السلام فى اليوم السابع ، وإسماعيل عليه السلام فى السنة الثالثة عشر فبقيت السنة فى ولد إسماعيل أن يختتنوا فى الثالثة عشر ، وكان من العادة النبوية أن يسمى الولد باسم حسن ، وقال : إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله ، وعبد الرحمن ،

وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة ، وقال إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، وقال : لا تسمين غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولانجيحاً ، ولا أفلح ، فإنك تقول: أثم هو؟ فلا يكون، فيقول: لا، إنما هن أربع فلا تزيدن عليها، وكان إذا سمع اسما مستكرهاً غيره باسم حسن، غير اسم عاصية ، وقال : إنما أنت جميلة ، وبرة سماها جويرية ، وقال لشخص ما اسمك؟ فقال : أصرم فقال : بل أنت زرعة ، وقال آخر : حزن ، قال أنت سهل ، وسمى حرباً سلماً ، وسمى المضطجع المنبعث ، وبنو الرتبة بنو الرشدة ، وشعب الضلال سماه شعب الهدى ، وغير أسماء كثيرة غير ما ذكرنا ، وأمر الأمة بتحسين الأسماء ، وفى هذا تنبيه على أن الأفعال ينبغى أن تكون مناسبة للأسماء لأن الأسماء قوالب الأفعال ودالة عليها . لا جرم اقتضت الحكمة الربانية أن يكون بينهما ارتباط وتناسب ، وأن لا يكون بينهما تعلق بوجه من الوجوه ، لأن الحكمة تأبى ذلك ، والواقع المشاهد غير ذلك وتأثير الأسماء فى المسميات والمسميات فى الأسماء ظاهر وبائن ، وإلى هذا المعنى أشار القائل :

وقل إن أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت فى لقبه

وكان رسول الله ﷺ يأخذ تعبير الرؤيا من معانى الأسماء كما فعل مرة فى منام رآه قال : رأيت فى منامى كأنى فى دار عقبة بن رافع وأتينا برطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا فى الدنيا ، والعاقبة لنا فى الآخرة ، وأن ديننا قد طاب يعنى أن الذى اختاره الله لهم قد أرطب وطاب ، ومرة أخرى أشار أن تحلب شاة ، فقام شخص ليحلبها . قال : ما اسمك ؟ قال : مرة . قال اقعد ، فقام آخر فقال: ما اسمك ؟ قال: حرب . قال: اقعد . فقام آخر فقال: ما اسمك ؟ فقال : يعيش. قال : احلب ، وكذا الطرق والمنازل المكروهة

الأسماء كان يتجنب عبورها والنزول بها لسبب ارتباط بين الأسماء ومسمياتها ، وكان إياس بن معاوية إذا رأى شخصاً قال ينبغى أن يكون اسمه كذا ، وقلما يخطىء فى ذلك . ولما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم أشرف الخلق وأكملهم ، وأخلاقهم وأعمالهم أشرف الأخلاق والأعمال ، وأسماؤهم أشرف الأسماء ، فلهذا الوجه أمر ﷺ بالتسمى بأسمائهم ، وفى سنن النسائى « تسموا بأسماء الأنبياء » ، وأما الكنية ففيها نوع إكرام وقد كنى رسول الله ﷺ صهيباً أبا يحيى ، وأمير المؤمنين علياً أبا تراب مع كنيته الأولى أبو الحسن وكانت أحب كناه إليه ، وكنى صنو أنس الطفل أباعميرة ولم يثبت فى المنع عن التكنى شىء إلا حديث «تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » وللعلماء فى هذه المسألة أقوال : (فبعضهم) يقول : لا يجوز أن يتكنى أحد بأبى القاسم مطلقاً ، سواء كان اسمه محمداً أو غير محمد ، وهذا القول منقول عن الشافعى (القول الثانى) : أنه لا يجوز الجمع بين اسمه ﷺ وكنيته كما ورد فى حديث الترمذى « من تسمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى » وهذا الحديث مقيد ومفسر لذلك الحديث (القول الثالث) : أن الجمع بين الاسم والكنية جائز ، وهذا مذهب مالك واستدلاله بحديث أمير المؤمنين على حيث قال : « يا رسول الله إن ولد لى من بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم قال على : وكانت رخصة لى » صححه الترمذى ، وحديث عائشة قالت : « جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إنى قد ولدت غلاما فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم فذكر لى أنك تكره ذلك . فقال : ما الذى أحل اسمى وحرم كنيتى ، أوما الذى حرم كنيتى وأحل اسمى؟» وهذه الطائفة تقول : أحاديث المنع منسوخة بهذين الحديثين (القول الرابع) أن التكنى بأبى القاسم كان

ممنوعا فى حياة رسول الله ﷺ ، وأما بعد وفاته فجائز لأن سبب المنع أن شخصاً بالبقيع نادى شخصاً ، وقال : يا أبا القاسم فالتفت رسول الله ﷺ فقال المنادى : يا رسول الله أنادى غيرك فقال : « تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » فيكون مخصوصاً بزمانه ﷺ ، وحديث على يشير إلى هذا المعنى ، وقال بعض العلماء ممن لا يعرج على قوله : ثبت النهى عن التكنى بكنية رسول الله ﷺ فلا يجوز التكنى بكنيته ، وكذا التسمى باسمه ، فلا ينبغى أن يجوز ، والصواب من هذه المقالات أن التسمى باسمه جائز ، بل مستحب لقوله : « تسموا باسمى » والتكنى بكنيته ممنوع ، والمنع كان فى حياته أقوى وأشد ، والجمع بين اسمه وكنيته ممنوع ، والجواب عن حديث عائشة رضى الله عنها أنه غريب فلا يعارض الصحيح ، وفى حديث على نظر ومع ذلك ثبت أنه قال : رخصة لى وذا دلالة بقاء المنع ، والله تعالى أعلم .

﴿ فصل ﴾ ونهى رسول الله ﷺ أن يسمى العنب كرما ، لأن الكرم قلب المؤمن ، وفى هذا النهى وجهان : (أحدهما) أن النهى عن تخصيص العنب بهذا الاسم (الوجه الثانى) المنع عن تسمية العنب كرما ، لأن تسمية الشجرة التى هى أصل أم الخبائث بالكرم والخير يؤدى إلى مدح المحرمات وتهييج النفوس إلى ذلك والله أعلم ، ومنع ﷺ أن تسمى العشاء العتمة ، وقال : لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا وإنها العشاء وأنهم يسمونها العتمة ، وورد فى حديث آخر : « لو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » قال بعضهم : المنع منسوخ بالجواز (وقال) بعضهم : الجواز منسوخ بالمنع ، والصواب أنه ليس بين الحديثين تعارض ، بل لم ينه أن يطلق اسم العتمة بالكلية ، بل نهى أن يهجر اسم العشاء ، ويكتفى بالعتمة ولو سماها بالعشاء تارة ، وبالعتمة تارة جاز ، والله أعلم

﴿ باب أذكار النبي ﷺ ﴾

قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه يعنى فى جميع أوقاته ، وكان لا يعوقه شيء عن ذكر الحق سبحانه لأن جميع كلامه كان فى ذكر الله ، والأمر والنهى والتشريع للأمة ، وكله ذكر وبيان الأسماء والصفات ، وأحكام الله تعالى ، والوعد والوعيد ، وكل هذا ذكر ، والثناء والدعاء والتمجيد ، والتحميد والتسبيح ، والسؤال والترهيب والترغيب بالكلية ذكر الحق سبحانه ، وحال سكوته أيضاً كان قلبه وضميره فى الذكر فتكون أنفاسه مشتملة على الذكر ، وحالة قيامه وقعوده ورقوده ، وذهابه وإيابه ، وجميع حالاته لا ينفك فيها عن ذكر الله ، وكان إذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » وروت عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله ﷺ كان إذا هب من الليل كبر عشراً وحمد عشراً ، وقال : سبحان الله وبحمده عشراً ، وقال : سبحان الملك القدوس عشراً ، واستغفر الله عشراً ، وهلل عشراً ، ثم قال : اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة عشراً ، ثم يفتتح الصلاة ، وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ قال : لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدنى علماً ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » وهذان الخبران ثبتا فى سنن أبى داود ، وروى البخارى فى صحيحه أن النبي ﷺ قال : « من تعار من الليل ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ، وقال ابن عباس : بت ليلة فى بيت خالتى ميمونة « فرأيت رسول الله ﷺ

لما استيقظ من النوم نظر إلى السماء وقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) إلى آخر السورة ، ثم قال : اللهم أنت نور السموات والأرض ومن فيهن فلك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، فلك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهى لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، وروت عائشة رضى الله عنها « أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ من نومه قال : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » وكان فى بعض الأحيان يفتتح الصلاة بهذا الدعاء ، وكان إذا فرغ من صلاة الوتر قال : « سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس » وكان فى الثالثة يرفع صوته ، وكان إذا أراد الخروج من بيته يقول : « بسم الله توكلت على الله اللهم إنى أعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أجهل أو يجهل على » ، وقال ﷺ : من قال يعنى إذا خرج من بيته : « بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له : كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان » ، وقال ابن عباس : لما بت فى بيت خالتى ميمونة سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من حجرته يريد صلاة الصبح فى المسجد يقول : « اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى لسانى نوراً واجعل فى سمعى نوراً واجعل فى بصرى نوراً واجعل من

خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً اللهم اعطني نوراً » قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «مامن عبد خرج من بيته يريد الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إلا قيض الله له سبعين ألف ملك يسألون له الرحمة وأقبل الله بوجهه الكريم عليه حتى يفرغ من صلاته » . وفي سنن أبي داود من قال عند دخول المسجد : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم إلا قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم » ، وقال ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك » وكان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال اللهم صل على محمد وسلم ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وكان إذا صلى الصبح جلس في مصلاه إلى طلوع الشمس ، ثم صلى ركعتين . وورد في فضل ذلك أحاديث كثيرة تزيد على عشرة ، وقال . هذا عمل يعدل حجة وعمرة تامة تامة ، وكان يقول عند الصباح « اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده ، وأعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، وكان يقول عند المساء « أمسينا وأمسى الملك لله » إلى آخره .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يارسول الله علمني كلمات أقولها

فى الصباح والمساء ، قال : قل : « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم » قل هذا عند الصباح والمساء ووقت النوم ، وقال : مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : « بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شىء » وقال : من قال حين يمسى وإذا أصبح : « رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً كان حقا على الله أن يرضيه » ، وقال : من قال حين يصبح أو يمسى : « اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك أنت الله لاإله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار » وقال : من قال حين يصبح : « اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته » ولم يكن ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح « اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده » وكان إذا صار المساء يقول : أمسينا وأمسى الملك لله إلى آخره . وقال لبعض بناته قولى :

حين تصبحين : سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فان من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح . وقال لبعض الصحابة : ألا أعلمك كلمات أن قلتهن أبدل الله همك وأدى دينك ؟ قال : بلى يارسول الله قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . قال الراوى: ففعلت فأبدل الله تعالى همى وغمى فرجا وقضى دينى ، وقال : من قال عند الصباح والمساء . اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك كفاه الله هموم الدنيا والآخرة . وجاء شخص إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنى تصيبنى آفات كثيرة فقال ﷺ قل عند كل صباح : بسم الله على نفسى وأهلى فانك لاتصاب . وقال لفاطمة رضى الله عنها : ما الذى يمنعك أن تسمعى ماأوصيك به تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت : ياحى ياقيوم بك أستغيث فأصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . وقال : من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى « حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » سبعاً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة . وقال ﷺ : من قال فى أول النهار : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ماشاء الله ومالم يشأ لم يكن لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها فى أول الليل لم تصبه مصيبة حتى يصبح »

وقال ﷺ : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر إلا أنت » من قالها فى أول النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » وقال : ومن قال حين يصبح وحين يمسى : « سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال : مثل ما قال أو زاد عليه » وقال : من قال : « إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل ﷺ وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان فى حرز من الشيطان حتى يمسى وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح ، ومن قالها فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » وثبت فى مسند الإمام أحمد « أن النبى ﷺ علم زيد بن ثابت هذا الدعاء وامره بالمواظبة على ذلك كل صباح ، لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير كله فى يديك ومنك وإليك اللهم ما قلت من قول او حلفت من حلف أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدى ذلك كله ماشئت كان ومالم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شىء قدير اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فصلى من لعنت أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فانى على عهدك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً

أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد ان محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة حق آتية لا ريب فيها وانك تبعث من فى القبور وإنك أن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعورة وخطيئة وإنى لا أثق إلا برحمتك فاغفرلى ذنوبى كلها إنه لايغفر الذنوب إلا أنت وتب على إنك أنت التواب الرحيم » وكان يقول عند الصباح : « اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو أصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لاتشمت بى عدوى ولاتسؤ بى صديقى ولاتجعل مصيبتى فى دينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى ولامبلغ علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه سبحان الله وبحمده لاحول ولاقوة إلا بالله ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وحملة عرشك(١) وجميع خلقك انك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك

(١) يلاحظ أن كلمة « حملة عرشك » مكررة فى جميع النسخ التى بايدينا .

فلك الحمد ولك الشكر أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، وكان يقول : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، وأعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وأعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك وفجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم إنى أعوذ بك من شر ماعلمت ومن شر مالم أعلم اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى وشر لسانى وشر قلبى وشر عينى اللهم إنى أعوذ بك ومن التردى ومن الغرق والحرق والهدم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبراً وأعوذ بك من أن أموت لديغاً أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى أعوذ بوجه الله العظيم الذى لا شىء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها ومالم أعلم من شر ماخلق وذرأ وبرأ اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى ، اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رب أعنى ولا تعن على

وانصرنى ولا تنصر على وامكر لى ولاتمكر على واهدنى ويسرلى الهدى وانصرنى على من بغى على رب اجعلنى لك شاكراً لك ذاكراً لك رهابا لك مطواعا لك مخبتاً اليك أواها منيباً رب تقبل توبتي وأجب دعوتى واغسل حوبتى وثبت حجتى وسدد لسانى وأيد قلبى واسلل سخيمة صدرى اللهم مارزقتنى مماأحب فاجعله قوة لى فيما تحب اللهم مازويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا ولاتسلط علينا من لايرحمنا اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الفقر والغنى وأسألك نعيما لاينفد وقرة عين لاتنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولافتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهديين اللهم اجعلنى أعظم شكرك وأكثر ذكرك وأتبع نصحك وأحفظ وصيتك اللهم إنى أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى واجعل علانيتى صالحة اللهم إنى أسألك من صالح ما تؤتى الناس من الأهل والمال والولد غير الضال والمضل اللهم اهدنى وسددنى اللهم رب السموات

السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنا الدين واغننا من الفقر يا أرحم الراحمين اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك أنت تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ». ومهما أمكن ينبغي أن يصلي على النبي ﷺ ، وكيفيات الصلاة المنقولة عن حضرته ﷺ كثيرة ذكرناها في كتاب الصلاة والبشر (أحدها) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد السلام عليك ورحمة الله وبركاته (الكيفية الثانية) اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم صل علينا معهم اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك علينا معهم صلوات الله وصلوات المؤمنين على محمد النبي الأمي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وجميع ما عد من الكيفيات ثمان وأربعون المروي منها عن سيدنا رسول الله ﷺ ست وثلاثون والباقي من الصحابة والتابعين . وللعلماء خلاف في أيها أفضل ، قال الشيخ محيي الدين النواوي في كتاب الأذكار : أفضلها أن يقول : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزاجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ،

لأنها جامعة للعبارات التى وردت فى الأحاديث الصحاح (وقال) الإمام إبراهيم المروزى : أفضلها اللهم صل على محمد وعل آل محمد كلما ذكره الذاكرون ، وكلما سها عنه الغافلون .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا لبس ثوبا جديداً قرأ هذا الدعاء « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له » وقال : « من لبس ثوبا جديداً فقال : الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه » وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : سمعت الرسول ﷺ يقول : « من لبس ثوباً جديداً فقال : الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ، ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله وفى سبيل الله حياً وميتاً » وكان من عادته ﷺ أنه إذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ، ورأى ﷺ على أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ثوبا فقال : أجديد هذا أم غسيل ؟ فقال : بل غسيل ، فقال : البس جديداً وعش حميداً ومت شهيداً .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا رجع إلى بيته قال : « الحمد لله الذى كفانى وآوانى والحمد لله الذى أطعمنى وسقانى والحمد لله الذى من على أسألك أن تجيرنى من النار » وقال : إذا ولج الرجل بيته فليقل « اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهل بيته » وقال أنس بن مالك : قال لى رسول الله ﷺ : « يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » وقال ﷺ : « ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا فى سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال

من أجر أو غنيمة ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله سبحانه وتعالى » ، وكان ﷺ يقول إذا دخل الرجل بيته وذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال : الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يقول عند دخول الخلاء : اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث ويأمر بقوله ، وفى حديث آخر « لا ينبغى أن يحجز أحدكم إذا أراد دخول الخلاء أن يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » ومر رجل به ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه ، وقال : إن الله يبغض العبد لذا ـ يعنى الكلام فى الخلاء وحالة البول ـ وكان ﷺ يقول : لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا بغائط ، وروى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، وأما حديث الرخصة الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة أنها قالت : ذكر عند رسول الله ﷺ ، إن جماعة كرهوا استقبال القبلة حالة البول فقال منكراً لذلك : أو قد فعلوا ؟ فليجعلوا القبلة تجاه أدبارهم ، فالبخارى إمام أهل الحديث يطعن فيه ولم يثبته أحد من الأئمة الكبار وكلام أحمد لا يقتضى إثباته وتحسينه وأيضاً هو منقطع ومرسل وبعض رواته ضعيف ، وكان إذا خرج من الخلاء قال : الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى ، وأما أذكار الوضوء فقد ذكرناها فى أول الكتاب .

﴿ فصل فى أذكار الأذان ﴾

شرع لنا ﷺ خمسة أشياء (أحدها) أن السامع يقول مثل ما يقول

المؤذن إلا فى لفظ حى على الصلاة حى على الفلاح فانه يبدل ذلك بلاحول ولاقوة إلا بالله ، والحديث الذى ورد فى الجمع بين الحوقلة والحيعلة لم يصح وكذا ما ورد فى الاقتصار على الحيعلة (الثانى) أن يقول رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا ، وهذا القول يوجب المغفرة (الثالث) أن يصلى على الرسول ﷺ بعد إجابة المؤذن (الرابع) أن يدعو بهذا الدعاء: اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد (الخامس) أن يدعو لنفسه بما فيه صلاح آخرته ودنياه ، وفى بعض الروايات فى مسند الإمام أحمد « من قال بعد أذان المؤذن اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عنى رضا لا تسخط بعده ثم دعا استجيب له » وقالت أم سلمة: «علمنى رسول الله ﷺ أن أقول وقت أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك فاغفر لى » ، وقال أبو أمامة : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الأذان قال « اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى توفنى عليها ، وأحينى عليها ، واجعلنى من صالح أهلها عملا يوم القيامة » وكان ﷺ يقول : لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة ، قالوا : فماذا نقول يارسول الله ؟ قال: سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة .

﴿ فصل ﴾ فى عشر ذى الحجة كان ﷺ يكثر الدعاء فيه ويأمر بالتهليل والتكبير والتحميد ، وجاء فى بعض الروايات أنه ﷺ يكبر دبر كل صلاة من الفرائض من صبح عرفة إلى عصر أيام التشريق ، ويقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، وهذا الحديث وإن لم يبلغ إسناده درجة الصحة ، لكن عمل أهل الإسلام عليه ، ونقل عن

الإمام الشافعى أنه لو زاد على هذا فقال الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لاإله إلاالله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . لا إله إلا الله والله أكبر يكون حسناً .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله ، وفى بعض الأحيان كان يقول « الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله ، وفى سنن أبى داود أن قتادة بلغه أن نبى الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك آمنت بالذى خلقك آمنت بالذى خلقك الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ، وفى إسناده ضعيف .

﴿ فصل ﴾ كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً سمى الله ، وكان يأمر بذلك ، وقال « إذا أكل أحدكم فليذكر الله تعالى ، فإن نسى أن يذكر اسم الله فى أوله فليقل بسم الله فى أوله وآخره » وعند المحققين من أهل الحديث أن التسمية فى أول الطعام واجبة لأن أحاديث الأمر صحيحة سالمة من المعارضة . (أما) إن كان فى جماعة فهل تجزى تسمية أحدهم أم لا ؟ (قال) جماعة من العلماء : تجزى ، وحديث حذيفة لايوافق قولهم ، لأنه قال: « حضرنا مع النبى ﷺ طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها فى الطعام فأخذ بيدها ثم جاء أعرابى فأخذ بيده وقال ﷺ إن الشيطان يستحل الطعام أن لايذكر اسم الله عليه ، جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به فأخذت بيده ، والذى نفسى بيده إن يده لفى يدى مع يديهما ثم ذكر اسم الله وأكل» وثبت فى سنن الترمذى من حديث

عائشة أنها قالت : أكل النبي ﷺ الطعام مع ستة من الصحابة فدخل أعرابي بغتة ، وأكل الطعام فى لقمتين فقال ﷺ : لو أن هذا الأعرابى قال : بسم الله لكفاكم هذا الطعام » ومحقق أن النبى ﷺ كان قد سمى الله وكذلك أصحابه ، فلو أن تسمية الواحد تكفى عن الباقى لما احتيج إلى تسمية الأعرابى ، وورد فى حديث ضعيف « من نسى أن يسمى على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد إذا فرغ » وكان إذا فرغ من الطعام يقول « الحمد لله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » وأحياناً كان يقول « الحمد لله الذى كفانا وآوانا » وكان ﷺ يقول : من أكل أو شرب فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ماتقدم من ذنبه » وأحياناً كان يقول : « اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت » وكان يقول فى بعض الأحيان : « الحمد لله الذى منّ علينا وهدانا والذى أشبعنا وآوانا وكل الإحسان آتانا » وثبت فى حديث آخر أنه ﷺ قال « إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، وكان ﷺ إذا شرب الماء شربه على ثلاثة أنفاس ، يقول فى أول كل نفس : بسم الله ، وفى آخره الحمد لله ، ونهى أن يتنفس فى الإناء .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ فى بعض الأحيان إذا دخل البيت يقول : هل عندكم طعام فإن أحضروا شيئاً وكان موافقا لمزاجه أكل وإلا ترك وماعاب طعاما قط ، إن اشتهى أكل وإلا تركه ، وكان يمدح الطعام فى بعض الأحيان كقوله : نعم الإدام الخل وغير ذلك ، وإن لم يحضروا شيئاً ينوى الصيام ويقول : إنى اليوم صائم ، وكان يتكلم على الطعام ، ويكرر عرض الطعام على الضيفان كما هو عادة الكرام كما ورد فى حديث أبى هريرة وقصة شرب

اللبن ، وقوله ﷺ : اشرب فشرب ، فقال : اشرب فشرب فقال : اشرب فشرب ، ولم يزل يكرر حتى قال : لا والذى بعثك بالحق نبياً لا أجد له مسلكا ، وكان ﷺ إذا أكل طعام قوم دعا لهم فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم وارحمهم ، وفى بعض الأحيان كان يقول « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » وصنع أبو الهيثم بن التيهان طعاما فدعا النبى ﷺ وأصحابه فلما فرغوا قال : أثيبوا أخاكم ، قالوا يارسول الله وما إثابته قال إن الرجل إذا دخل بيته وأكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له فذلك إثابته ، وكان ﷺ يقول : إذا أكلتم طعاما فأذيبوه بذكر الله عز وجل والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا به قلوبكم ، وأخذ ﷺ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة فقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا على الله ، وثبت أنه قال « فر من المجذوم كما تفر من الأسد » والتطبيق بينهما ظاهر ، وكان يأمر بالأكل باليمين ، وينهى عن الأكل بالشمال لأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله ، وشكوا إليه فقالوا : إنا نأكل ولا نشبع قال : فلعلكم تفرقون ؟ قالوا نعم . قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه .

فصل فى السلام والآداب النبوية فى هذا الباب

ثبت فى الصحيح أنه ﷺ قال « أفضل الإسلام وخيره إطعام الطعام وأن تقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف » وفى الصحيح أيضاً « لما خلق الله آدم قال له : اذهب فسلم على أولئك القوم ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع مايحيونك فانها تحيتك وزينتك فقال: السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله » ، وكان النبى ﷺ دائماً يأمر بإفشاء السلام ، ويقول : أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا

السلام بينكم تحابوا ، وقال : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وفى صحيح البخارى قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار » وهذا الكلام يتضمن جميع أصول الخيرات وفروعها ، لأن الإنصاف يوجب أداء حقوق الخالق والمخلوق على الوجه الأكمل ، وبذل السلام لجميع الناس يتضمن أن لاينكر أحد على أحد ، وإنفاق المال عن قلة وفقر يقتضى كمال الوثوق بالله ، وأنت إذا جمعتها علمت أنها جامعة فروع الإيمان وأصوله ، وكان ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وأيضاً كان يسلم على العجائز والمساكين ، وكان يقول : « يسلم الكبير على الصغير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى ، والقليل على الكثير ، فإن تساووا فى هذه الصفات فالبادىء أفضل ، وقال : أقرب الخلق إلى الله وأولاهم به الذى يبدأ بالسلام » وكان من العادة النبوية أنه ﷺ إذا دخل سلم ، وإذا رجع سلم وقال : إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة ، وقال فى موطن آخر : « إذا لقى أحدكم صاحبه فليسلم عليه فإن حال بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً » ، وكان ﷺ إذا دخل المسجد ابتدأ بتحية المسجد فصلى ركعتين ثم سلم على الحاضرين ، لأن حق الله فى مثل هذه الصورة مقدم على حق العباد ، وكان إذا جاء إلى البيت بليل سلم سلاماً يسمعه المستيقظون ، ولا ينتبه منه الراقدون ، وقال : السلام قبل الكلام ، ولا تدعوا أحداً إلى طعام حتى يسلم . وإن كان فى إسناد هذا الحديث ضعف فعمل أهل الإسلام عليه ، وفى حديث آخر « السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال فلا تجيبوه » وفى بعض الروايات إنه كان لايأذن بالدخول لمن لا يسلم ، وقال « لا تأذنوا

لمن لم يبدأ بالسلام ، وقال كلدة بن حنبل أرسلنى صفوان بن أمية إلى رسول الله ﷺ بهدية لبن وجداية(١) وضغابيس(٢) فولجت عليهم قبل السلام والاستئذان . فقال : ارجع ثم قل السلام عليكم وادخل، وكان إذا أتى باب قوم لا يقوم تجاه الباب بل يتيامن أو يتياسر فيقول السلام عليكم ويبدأ من لقيه بالسلام ، وكان يتحمل السلام إلى غيره ، ويبلغه كما تحمل سلام الله سبحانه وتعالى إلى خديجة ، حيث قال له جبريل عليه السلام ها خديجة قد جاءتك بطعام فقل لها : الرب يسلم عليك ويبشرك ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، وقال مرة أخرى لعائشة : هذا جبريل حاضر يبلغك السلام فقالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس فقال ﷺ عشر . ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه ، فجلس ، فقال عشرون . ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فقال ثلاثون . وفى بعض الروايات جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فرد وقال : أربعون هكذا تكون الفضائل ، وفى إسناده ضعف ، وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام ، وإن بدأه أحد رد عليه مثل ذلك أو أفضل على الفور من غير تأخير إلا أن يمنع من ذلك عذر كالصلاة أو قضاء الحاجة وكان يجيب السلام بحيث يسمع المسلم ، ولا يكتفى بالإيماء والإشارة إلا أن يكون فى الصلاة ، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أنه كان إذا سلم عليه أحد وهو فى الصلاة أشار إليه بأصبعه المباركة جواب السلام ، وليس

---

(١) هى من أولاد الظباء مابلغ ستة أشهر أو سبعة ذكراً كان أو أنثى بمنزلة الجدى من المعز . (٢) هى صغار القثاء وأحدها ضغبوس ، وقيل هى نبت ينبت فى أصول الثمام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل اهـ نهاية .

لهذه الأحاديث معارض إلا حديث مجهول وهو من أشار فى صلاته إشارة تفهم عنه فليعد صلاته ، وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ، وكان يبتدىء السلام بقوله السلام عليكم ورحمة الله ، وكان يكره فى الابتداء أن يقال : عليكم السلام ، قال أبو جرى الهجيمى : أتيت رسول الله ﷺ وقلت عليك السلام يا رسول الله . فقال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى ، يعنى إن عادة الشعراء وغيرهم أن يحيوا الموتى بهذه الصيغة ، فينبغى أن يتحرز من أن يخاطب بها الأحياء ، وكان يقول فى جواب السلام : وعليك السلام بالواو ، وقال بعض الفقهاء لو أجاب أحد بغير واو لا يكون مجيباً ولا يسقط الفرض عنه لأنه مخالف للسنة ، وعند أكثر العلماء يسقط واستدلوا بنص التنزيل (قالوا سلاما قال سلام) ونهى ﷺ أن يبتدأ بالسلام على أهل الكتاب . روى أبو هريرة لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقه ، وللعلماء فى هذه المسألة قولان (الجماهير) يمنعون من ابتدائهم بالسلام ، (وبعضهم) يجوز ، وفى وجوب رد السلام عليهم قولان (الجمهور) على وجوبه (وبعضهم) يقول : لا يجب كما لا يجب رد سلام أهل البدعة ، وثبت فى الصحيح أنه ﷺ مر على أخلاط من الناس منهم المسلمون والمشركون وعبدة الأوثان فسلم عليهم (وأما) الحديث الذى فى سنن أبى داود « يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم » فأحد رواته سعيد الخزاعى ، وقد ضعفه جماعة ، وكان من عادته ﷺ إذا بلغه شخص سلام غيره أن يرد على المبلغ والمبلغ عنه كما ثبت فى السنن « أن رجلا قال إن أبى يقرئك السلام ، فقال فى جوابه عليك وعلى أبيك السلام » وكان من عادته ﷺ أنه إذا ظهر من شخص منكر عظيم أن يعرض عنه ، وأن

يحرمه السلام ورد السلام ، ولما كان السلام الذى هو أعظم شعار أهل الإسلام فى هذه البلاد الهندية مهجوراً إلى الغاية ، وقام مقامه الانحناء ، والانثناء ، اللذان هما شعار أهل البدع ، صار التلفظ بالسلام عند أكثرهم يعد من سوء الأدب وعدم التميز ، فلزم ذمة أرباب الولاية وحكام منصب الرياسة لزوماً مؤكداً أن يسعوا فى إفشائه إلى النهاية ، وأن يبذلوا الجهد إلى أقصى الغاية ، وأن يتلطفوا فى إحياء هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين وأن يعدوا ذلك من أعظم القرب ، وأشرف الوسائل عند رب العالمين .

﴿ فصل فى الاستئذان ﴾

ثبت فى الصحيح أن السلام كان قبل الاستئذان فعلا وتعليما استأذن شخص على النبى ﷺ وهو فى بيت فقال : أألج؟ فقال ﷺ لخادمه : اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له : قل « السلام عليكم أأدخل فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبى ﷺ فدخل ، وقال ﷺ : إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ، وكان ﷺ يقول : لو أن شخصاً نظر فى بيت قوم جاز لهم قلع عينه ولا دية ولا قصاص ، وكان يكره للمستأذن إذا سئل من أنت يقول : أنا بل يذكر اسمه أو كنيته أو لقبه ، وفى حديث أبى هريرة المروى فى سنن أبى داود ورسول الرجل إلى الرجل إذنه ، وفى لفظ إذا دعى أحدكم إلى طعام ثم جاء مع الرسول ، فإن ذلك له إذن ، وكلما أراد ﷺ الاعتزال فى محل خلوة عين شخصاً للجلوس على الباب وأمر أن لايدع أحداً يدخل إلا بإذن .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا عطس وضع يده المباركة أو ثوبه على فيه وخفض صوته وقال : « التثاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان » وقال : « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله

كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله ، فإن التثاؤب إنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرد ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان » وفى صحيح البخارى أنه ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال رحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » وعطس رجلان عند رسول الله ﷺ « فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر ، فقال الذى لم يشمته : عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتنى ؟ فقال : هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله » وفى صحيح مسلم قال : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه » وقال : حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » وفى سنن أبى داود « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال ، وليقل أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، ويقول هو: يهديكم الله ويصلح بالكم » وظاهر الأحاديث يدل على أن التشميت فرض على كل من سمع حمد العاطس ، وأن تشميت الواحد لا يجزى عن الباقين ، وهذا قول جماعة من أكابر العلماء وهو ظاهر ، وهذا الشعار مهجور فى بلاد الهند إلى الغاية والنهاية ، ولا يأتى بها إلا خواص من الصلحاء ، ومن قصد متابعة السنة النبوية ، وأما عامة الخلق فإنهم لا يعرفون هذا المعروف ولا يعلمونه ، ونسأل الله السلامة ، وفى سنن أبى داود « عطس رجل من القوم عند رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم ، فقال رسول الله ﷺ : وعليك وعلى أمك ، ثم قال: إذا عطس أحدكم فليحمد الله ، وليقل له من عنده يرحمك الله ، وليرد ـ يعنى عليهم ـ يغفر الله لنا ولكم (وقوله) فى الجواب عليك وعلى أمك إشارتان (إحداهما) أن سلامك فى هذا المحل لغير موقع

كما لو سلم على أمك (الثانية) تذكيره أن هذا من أدب الأميين ومن أدب أناس حرموا تربية الرجال ونشأوا فى حجر الأمهات وتشريع الحمد فى وقت العطاس لأن العطسة نعمة وحصول منفعة إذ بها تخرج البخارات المحتقنة من الدماغ ، وبقاؤها يورث أمراضاً وأوجاعا ، وعطس شخص عند رسول الله ﷺ فقال له يرحمك الله ، ثم عطس أخرى ثانية ، فقال رسول الله ﷺ الرجل مزكوم ، وجاء فى حديث آخر شمت أخاك ثلاثاً ، فما زاد فهو زكام ، وفى لفظ « إذا عطس أحدكم ، فليشمته جليسه ، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا تشميت بعد ثلاث ، فإذا لم يحمد العاطس ينبغى للحاضرين أن يحمدوا تذكيراً له ، وقال بعض العلماء : يحمدوا تعزيراً له ، لأنه لو كان سنة كان النبى ﷺ أولى بفعلها .

﴿ فصل فى أذكار السفر ﴾

قال ﷺ : « إذا هم أحدكم الأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل « اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ويسمى حاجته » ، ولما كانت عادة أهل الجاهلية إذا قصدوا سفراً أو أمراً أن يستقسموا بالأزلام وأن يزجروا بالطير والعيافة والفأل والتطير وأمثال هذه الأمور التى هى شعار أهل الشرك والكفر عوض صاحب الشرع عن ذلك بالتوحيد والافتقار والعبودية والتوكل وسؤال الرشد والفلاح من

(١) هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا ، ولعل ذكر لفظ « ثانية » للتأكيد .

الواهب المطلق الذى أزمة الخيرات فى يد قدرته . وفى مسند الإمام أحمد من رواية سعد بن أبى وقاص « سعادة ابن آدم استخارة الحق والرضا بقضائه وشقاوة ابن آدم فى ترك الاستخارة وعدم الرضا بقضائه » وفى حديث أنس « أن النبى ﷺ ماعزم على سفر قط إلا قال عند إرادة القيام اللهم بك انتشرت وإليك وجهت وبك اعتصمت وعليك توكلت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى اللهم اكفنى ما أهمنى ومالا أهتم وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنوبى ووجهنى للخير أينما توجهت » والذى قاله بعض المحققين من المشايخ الكبار وكتبه : يستحب للشخص أن يجعل فى كل يوم وقتاً معيناً يصلى فيه صلاة الاستخارة ويقول : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك فانك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فى حق وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يمينى من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإن كنت تعـــلم أن جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يدى من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ، والاستخارة على هذه الكيفية ولو لم توجد فى الأحاديث لكن العمل بها موافق لحديث الاستخارة ومناسب لاتباع السنة .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا استوى على الراحلة قال : « الله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحان الله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى

ربنا لمنقلبون ، اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا » وإذا رجع من السفر قال « آيبون تائبون إن شاء الله عابدون ولربنا حامدون » ولفظ الدعاء فى مسند الإمام أحمد « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من الضنة(١) فى السفر والكآبة فى المنقلب اللهم اقبض لنا الأرض وهون علينا السفر » وإذا أراد الرجوع قال : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » وإذا دخل البلد قال : « توباً توباً لربنا أوباً لايغادر علينا حوبا » ولفظ الدعاء فى صحيح مسلم « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم أصحبنا فى سفرنا ، واخلفنا فى أهلنا اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم ومن سوء المنظر فى المال والأهل » وفى بعض الروايات أنه ﷺ وضع رجله فى الركاب وقال: بسم الله ، فلما استوى على الظهر قال الحمد لله الحمد لله الحمد لله الله أكبر الله اكبر الله أكبر سبحان الله سبحان الله سبحان الله لا إله إلا أنت سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت » . وكان ﷺ إذا ودع مسافراً قال : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وقال رجل من الصحابة . يارسول الله إنى أريد سفراً فزودنى ، فقال : زودك الله التقوى ، قال : زودنى ، قال : وغفر لك ذنبك ، قال : ذودنى ، قال : ويسر لك الخير حيثما كنت » . وقاله : رجل يارسول الله . إنى أريد أن أسافر فأوصنى ، قال : عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف(٢) فلما ولى الرجل ، قال اللهم ازو له الأرض وهون عليه

(١) الضنى : المرض ، وبابه صدى . (٢) الشرف : العلو ، والمكان العالى .

السفر ، وكان ﷺ إذا علا شرفا فى سفر كبر وإذا هبط سبح ، وفى بعض الأحيان كان يقول على الشرف : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال . ونهى عن السفر منفرداً . وعن استصحاب الكلب والجرس (١) وقال . « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » وكان إذا سافر فأقبل الليل فى بعض الأحيان يقول : « يا أرض : ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر ماخلق فيك وشر مادب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود (٢) وحية وعقرب ومن شر ساكنى البلد ومن شر والد وما ولد » . وقال . إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الإبل حقها أو قال : حظها من الأرض . وإذا سافرتم فى السنة فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها . وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل . وكان إذا دنا من العمران وأشرف على قرية أومدينة قال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين ، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر مافيها » وكان فى سفره إذا تنفس الصبح يقول : سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذاً بالله من النار يقولها ثلاثا بصوت رفيع ، ونهى أن يسافر بالقرآن إلى دار الحرب وبلاد الكفر ونهى النساء عن مطلق السفر ولو بريداً إلا بذى رحم محرم ، وإذا قضت حاجتها فلتسرع الأوبة إلى أهلها . وكان إذا علا شرفا قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر

(١) فى الحديث «لاتصحب الملائكة رفقة فيها جرس» (٢) الأسود : العظيم من الحيات .

عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ومنع بالقول والفعل أن يطرق الغائب أهله ليلا ، وكان يدخل بكرة أو وقت العصر ، وكان إذا رجع من السفر خرجوا لملاقاته معهم الأولاد والأطفال ، وكان يركبهم وراءه أو أمامه ، أركب عبد الله بن جعفر أمامه ، ثم جاءوا بالحسن بن على فأردفه ودخل المدينة على هذه الحالة ، وكان يعتنق القادمين فى بعض الأحيان ، وإن كان من أهله قبل وجهه ، وفى بعض الأحيان يقبل جبهته قالت عائشة: لما قدم جعفر وأصحابه تلقاه النبى ﷺ فقبل ما بين عينيه واعتنقه . وكان أصحاب رسول الله إذا قدموا من السفر تعانقوا . وكان ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين قبل دخول بيته .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يعلم أصحابه خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يا أيها الذين آمنو اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءاً ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ، قال شعبة : قلت لراوى الحديث : هذه خطبة نكاح أم غير نكاح ، فقال : هذه خطبة كل الحاجات . وقال ﷺ : « إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً ، فليأخذ بناصيتها قائلا بسم الله ، ثم يدعو ويقول : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ماجبلت عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلت عليه » وكان إذا رأى الإنسان تزوج قال « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » وقال « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا

الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ، فقضى بينهما بولد لم يضره شيء(١) أبداً » وقال : « من رأى مبتلى فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء » وقال : « ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد ، فقال : ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، فيرى آفة دون الموت » وقال : إذا رأيتم من الطيرة شيئاً تكرهونه فقولوا : اللهم لايأتى بالحسنات ولايدفع السيئات إلا أنت ، لا حول ولاقوة إلا بك ، أويقول اللهم لاطير إلا طيرك ولاخير إلا خيرك ولا رب غيرك ولاحول ولاقوة إلا بك ، فلا يصل إليه ضرر ، وإن رأى فى منامه مايكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ ـ والنفث فوق النفخ ودون البزق ـ فهو بينهما ، ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومن شر مارأى ، ولايحدث به فانها لن تضره(٢) ، وإن ابتلى بوسوسة الشيطان ، فليدفع ذلك بالتعوذ ، وإن غلبه الغضب فليتعوذ ، وإذا رأى مايسره يقول : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإن رأى ما يكرهه يقول ، الحمد لله على كل حال ، وإن تقرب إلى حضرته ﷺ أحد بما يسره من خدمة ، أو أمر محبوب دعا له بالخير كما أن ابن عباس هيأ ماء لوضوئه فقال ﷺ : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، ودعا لأبى قتادة ليلة لازم خدمة ركابه الشريف وكان يجعل نفسه دعامة له ﷺ عندما يغلبه النعاس فقال : حفظك الله بما حفظت به نبيه . وقال : من صنع اليه معروفا فقال لفاعله ، جزاك الله خيراً ، فقد أبلغ فى الثناء ، واستدان من عبد الله بن أبى ربيعة فلما وفاه دينه قال : بارك الله لك فى أهلك ومالك وقال « إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ،

(١) فى بعض النسخ «شيئا» (٢) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ، ولعله «فانه ان يضره».

فانها رأت شيطانا ، وإذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه ، وينبغى أن لايجلس مجلساً إلا ويذكر اسم الله فيه ، وكان إذا أراد القيام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، فسمعه بعض الصحابة ، فقال : يارسول الله سمعت كلاما لم أكن أسمعه قبل ، قال : هو كفارة لما وقع فى المجلس » وشكا خالد بن الوليد الأرق ، فقال له ﷺ : « إذا أخذت مضجعك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جاراً من شر خلقك كلهم أجمعين أن يفرط على أحد منهم ، أو أن يبغى، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله إلا أنت » وشكا شخص الفزع فى النوم فقال ﷺ : « قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، وعقابه ، وشر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضرون » ونهى أن يقال ماشاء الله وشاء فلان ، ومرة قال شخص : ماشاء الله وشئت ، فقال ﷺ : جعلتنى لله ندا . ومن هذا القبيل نحن فى كنف الله وكنفكم واعتمادنا على الله وعليكم . هذه الألفاظ وأمثالها منهى عنها يشم منها رائحة الشرك (١) ومن المنهيات التى منع منها ﷺ لاتسبوا الديك ولاتسبوا الريح ولايسب بعضكم بعضاً أيها المسلمون دعوا طريق الجاهلية كالنخوة ودعوة القبائل ولايتناجى اثنان دون ثالث ولا تباشر المرأة المرأة ، فتصفها لزوجها ، كأنه ينظر إليها(٢) لاتقل : اللهم اغفرلى إن شئت . لاتكثروا الحلف ، لاتحلفوا بغير الله ، لاتقولوا بوجه الله قسما ، لا تسموا المدينة يثرب ، لايسئل الرجل، فيم ضرب امرأته إلا عن ضرورة ، ونهى عن تسمية القوس الذى يظهر فى السماء قوس قزح .

---

(١) ماذا يقول التبوريون ؟ فهلا ياخذوا بقول هذا الامام ، ويتركون عبادات غير الله تعالى فى قضاء حاجاتهم ويلتجئون إلى الله وحده فيما إذا أصابهم أمر اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون سر الالهية . (٢) انظر تفسير سورة النور الطبعة المنيرية .

﴿ فصل فى ألفاظ ليس فى كراهتها خلاف ﴾

ملك الملوك ، قاضى القضاة ، سيد الناس ، سيد الكل ، عبدى عابدى ، عمر السلطان يكون طويلا ، أيامكم طويلة ، عش ألف سنة دائمة . ولا ينبغى أن يقول فى المسائل الاجتهادية ، أحل الله كذا ، أو حرم كذا ، بل يقول ذلك فيما ورد النص بتحريمه أو تحليله ولا يقال فى أدلة القرآن والحديث الظواهر اللفظية ، وكذا لا يقال فيها مجازات لأن هذه ألفاظ تزيل الحرمة من قلوب الجهلة لاسيما عند قوم يسمعون شبه الفلاسفة والمتكلمين ، بل البراهين العقلية والحجج القواطع نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ باب فى عموم أحواله ﷺ ومعاشه وهو مشتمل على فصول ﴾

﴿ فصل فى طعامه ﷺ ﴾

كان من كريم عادته إذا حضر طعاماً لا يرده ، ولا يتكلف فى طلب مفقود ، ومتى حضر طعام صالح من طيبات الأطعمة لابد أن يتناول منه ، وما عاب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وكان يكثر أكل الحلوى والعسل ويحب ذلك ، وكان يشرب فى كل يوم قدحا من ماء وعسل يتجرعه ويصبر حتى تغلب عليه شهوة الطعام ، ثم يأكل قليلا من خبز الشعير بالماء أو بإدام ويكتفى بذلك ، وثبت فى الصحيح أنه أكل لحم الإبل ، ولحم الغنم ، ولحم الدجاج ، ولحم الحبارى ، ولحم الأرنب ، ولحم السمك ، ولحم العنبر البحرى ، والرطب ، والتمر ، وشرب الحليب المحض وممزوجاً ، وأكل الخبز بالتمر ، والخبز بالخل ، والخبز بالشحم المسلى ، ونقيع التمر ، والرطب بالخيار وكبد الغنم مشوياً ، واللحم القديد ، والدباء مطبوخة ، والجبن والثريد والخبز بالزيت ، والتمر بالزبد ، والرطب بالبطيخ . ثبت أنه ﷺ تناول هذه الأشياء كلها ، وفى الجملة مهما حضر من الطيبات لم يرده ، وإن لم يجد شيئاً صبر حتى

أنه شد الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع ، وكان يمر عليه الهلالان والثلاثة لا يوقد فى بيته ناراً ، وإذا حضر الطعام وضعوه على السفرة ، وبسطوها على الأرض ، ولم يأكل على خوان مرتفع ، وكان يأكل بثلاثة أصابع ، وإذا فرغ لعق أصابعه . وكان لا يأكل متكئاً ، والاتكاء على ثلاثة أنواع (أحدها) أن يضع جنبه على الأرض . (الثانى) أن يقعد مربعاً . (الثالث) أن يعتمد بإحدى يديه على الأرض ، ويأكل بالأخرى ، وكلها مذمومة ، وكان إذا فرغ من الطعام قال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودع ، ولا مستغنى عنه ربنا » وفى بعض الأحيان يقول : « الحمد لله الذى أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العرى ، وهدى من الضلالة ، وبصر من العمى ، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين » ، وفى بعض الأحيان يقول : « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه » ولم يكن من العادة أن يغسل الأيدى بعد الطعام دائما ، وكان يشرب الماء قاعداً فى الغالب ، وكان يمنع من يشرب قائماً ويزجره وشرب قائماً مرة . قال بعضهم : إنما شرب قائماً لبيان الجواز ، وقال بعضهم بل لعذر ، لا جرم قال أكثر العلماء : لا ينبغى أن يشرب قائماً ، وإذا منع عذر من القعود جاز الشرب قائماً ، وكان إذا شرب الماء دفع الباقى لمن هو عن يمينه وإن كان الذى عن يساره أسن وأدرى .

فصل فى لباسه صلى الله عليه وسلم

كان غالب لباسه القطن ، وكذا أصحابه الأخيار ، وفى بعض الأحيان كان يلبس الصوف والكتان أو مهما حضر وتيسر اكتفى به جبة كان أو قباء أو قميصاً ، وكان يلبس السراويل والرداء ، والخفين ، والنعلين ، يلبس كل ذلك ، وكان يجعل للعمامة عذبة فى بعض الأحيان ، ويرخيها بين

كتفيه ، وقد يلبسها بغير عذبة ، وكان يتحنك فى بعض الأحيان(١) وكان إذا استجد ثوباً سماه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداء ، ثم يقول : اللهم أنت كسوتنيه ، أسألك خيره ، وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره ، وشر ما صنع له ، وإذا لبس ثوباً ابتدأ بالجانب الأيمن فى الكم ونحوه ، وكان فى بعض الأحيان يلبس ثوباً من شعر . قالت عائشة : خرج من البيت ، ولبس ثوباً من الشعر الأسود ، وقال قتادة : سألت أنساً عن أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ فقال : الحبرة ـ والحبرة برد يمنى ـ وكان فى بعض الأحيان يلبس ثوباً من كتان مصر . قالت عائشة : صنعت له ثوباً من صوف فلبسه وعرق فيه ، فشم رائحة الصوف فألقاه عنه فى الحال لأنه كان يكره الرائحة الكريهة إلى الغاية ، ويحب الريح الطيبة . قال ابن عباس : رأيت رسول الله ﷺ فى أحسن حلة ، وقال أبو رمثة : رأيت النبى ﷺ يخطب وقد لبس برداً أخضر ـ والبرد الأخضر هو برد فيه خطوط خضر لأنه أخضر خالص ـ ووسادته من أديم حشوها ليف ، وأكثر الناس قد صاروا فئتين (فئة) اختاروا البعد عن الملابس الجميلة ، واقتصروا على المرقعات والمحترات ، (وفئة) اختاروا أفخر الملابس ، وأشرف الثياب ، ولبسوا الناعم المزين ذا الشهرة ، وهاتان الفئتان مخالفتان لسنة النبى ﷺ لأنه قال: من لبس ثوب شهرة لبس يوم القيامة ثوب مذلة .

﴿ فصل ﴾ النبى ﷺ لبس السراويل ، ولبس العمامة بغير قلنسوة ، ومع القلنسوة ، والقلنسوة بغير العمامة ، وكان يجعل العذبة بين كتفيه

---

(١) ماذا يقول أصحاب العذبة فى التحنيك ، وهل أحاديثه أقل من أحاديث العذبة ؟ ومن الغريب أننا لا نجد أحداً منهم تحنك لا الرئيس ولا المرءوس فى عصرنا ، ولا ندرى ما جوابهم ؟ اللهم إلا أن يقولوا : العادة حكمت علينا وجرينا تبعاً لهوانا وكبيرنا .

فى أكثر الأحوال ، وجاء فى بعض الأحاديث « أنه ﷺ قال : رأيت رب العزة فى النوم فقال : يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : لا أدرى قال : فوضع يده بين كتفى فعلمت ما بين السماء والأرض فلما أصبح ﷺ جعل العذبة بين كتفيه(١) » وكان كم قميصه لا يجاوز رسغه ، وكان أحب الثياب إليه القميص ، ولبس حلة حمراء ، والحلة عبارة عن ثوبين ؛ والمراد بالأحمر هنا ما فيه خطوط حمر لا أنه أحمر خالص ، لأن الأحمر الخالص منهى عنه . لبس عبدالله بن عمرو بن العاص ثوباً أحمر فقال ﷺ : ما هذا ؟ قال : فعرفت ما كره ، فانطلقت فأحرقته . فلما جئت فى اليوم الثانى قال لى مافعلت بثوبك ؟ قلت : أحرقته قال : هلا كسوته بعض أهلك فانه لا بأس به للنساء ، وفى الصحيح قال عبد الله بن عمرو : رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال : إن هـذه من ثياب الكفار فلا تلبسها ، وفى الجملة ينبغى الاحتراز من لبس الثياب الحمر الخالصة . وكان ﷺ يلبس الثوب المعلم ، والثوب الساذج ، والثوب الأسود ، والفرو المعلم على أطرافه بالسندس ، والنعل ، والتاسومة ؛ كل هذا لبسه ولبس الخاتم ، والروايات مختلفة ، ففى بعضها أنه لبسه فى اليد اليمنى ، وفى بعضها فى اليد اليسرى ، وكان نقشه على هذه الهيئة :

وقال : لا ينقش أحدكم على نقش خاتمى هـذا ، ولبس الدرع من الزرد ، والخود والجوشن وضاعف بين درعين

(١) الحديث رواه الترمذى ، ورواه الامام أحمد فى مسنده من حديث معاذ بن جبل مطولا ولا أدرى مايقول أرباب الدول هل ينفون صفات الله تعالى ، ويخالفون طريق السلف ، ويتبعون جهم بن صفوان رئيس النفاة أم يثبتون له ذلك وينزهون ويكونون على مذهب =

فى بعض الأحيان ، وكان له جبة خسروانية مفرجة عليها سجف من الديباج مخيطة ، وأما الطيلسان فانه كان يلبسه حال الحر كما فى اليوم الذى أمر فيه بالهجرة ، فانه جاء فى نصف الليل إلى بيت أبى بكر وهو مطيلس ، وأما حديث أنس كان يكثر القناع - يعنى يلبس الطيلسان كثيراً - فحمله بعضهم على أوقات الضرورة ، وفى السفر ، وكان يلبس جبة ضيقة الكمين ، وكان يلبس الإزار والرداء فى بعض الأحيان ، طول الرداء ستة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع وشبر ، وطول الإزار أربعة أذرع وشبر وعرضه ذراعان وشبر والله تعالى أعلم .

﴿ فصل فى العادة النبوية فى معاشرة أزواجه الطاهرات ومباشرتهن ﴾

قال ﷺ : حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وبعض المصنفين يزيد لفظ ثلاث وذلك غلط ، وحيث لم يستقم أولوه بتأويلات كلها سهو فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا ، وأحب الأشياء إليه من أمور الدنيا النساء والطيب ، وفى كثير من الليالى كان يطوف على جميع نسائه التسع ، وأكرمه الله بقوة ثلاثين رجلا من الأقوياء لا جرم أبيح له ما شاء من النساء ، وكان يسوى بينهن فى المبيت والإواء ، والنفقة ، وجميع الأمور (وأما) فى المحبة فقال: اللهم هذا قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك - يعنى فى المحبة والمجامعة - وفى وجوب رعاية المساواة بينهن عليه قولان (أحدهما) وجوب القسم (الثانى) أنه كان يجوز له أن يعاشر هن بغير قسم وذا من خصائصه ، وطلق بعضهن وراجع وآلى مؤقتا ،

= أهل السنة والجماعة وخيار الأمة من صحابة وتابعين وارباب المذاهب ومن هو القدوة فى ذلك ويعقلون الحكمة فى سدل العذبة بين الكتفين؟ اللهم سحقاً سحقاً لمن لا يرى الحق حقاً فيتبعه ويرى الباطل باطلا فيتجنبه فهذا اجدى على الدين من التمسك بالمظاهر . واسلم عاقبة ، هدانا الله الطريق المستقيم .

بشهر، ولكن ماظاهر، وبعض الفقهاء قال ظاهر أيضاً ، وهو غلط واضح وسهو فاضح ، وسيرته معهن أحسن السير ، وقد قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » ، وكان يسوق بنات الأنصار إلى عائشة ليلاعبوها وإذا التمست أمراً ليس فيه محذور وافق وتابع ، وشربت من كوز فأخذه ﷺ ووضع شفته موضع شفتها ثم شرب ورفعت عظما فنهشت مما عليه من اللحم فأخذه ﷺ من يدها ، وأكل من موضع فمها ، وكان يتكىء عليها ويقرأ القرآن ، وكان يجعل رأسه فى حضنها ، ويتلو، وإن كانت حائضاً وفى حالة الحيض كان يأمرها بشد الإزار ثم يعانقها فوقه ، ويلصق سائر بشرته بها وكان يقبلها فى أيام الصيام ، ومن كمال لطفه وغاية مكارم أخلاقه مع أهل بيته أنه كان يمكنها من اللعب باللعب(١) كما هى عادة البنات واتكأت على كتفه لتنظر إلى الحبشة ورقصهم ، وفى السفر سابقها مرتين راجلا سبقته عائشة فى المرة الأولى وفى المرة الثانية كانت عائشة قد بدنت فسبقها ﷺ فقال : هذا بذاك ، وخرجا مرة من الحجرة معاً وتدافعا عند محل الباب حتى خرجا ، وكان إذا عزم على سفر أقرع بينهن ، فمن وقعت قرعتها ذهب بها ولم يقض للمقيمات عند العود ، وربما لاعب إحداهن ووضع يده عليها بحضور الجميع ، وكان يطوف على الحجرات كلها فى كل يوم بعد العصر يتفقد أحوال أهلها ، فإذا جن الليل بات فى حجرة صاحبة النوبة ، وقسم بين ثمانية من نسائه لأن سودة رضى الله عنها وهبت نوبتها لعائشة فكانت لعائشة ليلتان ، وللأخريات ليلة ليلة ، والذى وقع فى صحيح مسلم عن عطاء أنه قال : الزوجة التى لم يقسم لها هى صفية غلط صريح من عطاء ، وسبب هذا الوهم أن رسول الله ﷺ وجد(٢) على صفية فى بعض الأيام فاضطربت صفية

(١) هى اللعب المعروفة من قطن وغيرها مما يلعب به الأطفال (٢) الوجد : شدة الغضب .

وقالت لعائشة : إن استطعت أن ترضى رسول الله ﷺ عنى وهبتك نوبتى فقالت عائشة : بل ثم جاءت وقعدت إلى جنب رسول الله ﷺ فى يوم نوبة صفية فقال : أبعدى فإن اليوم ليس نوبتك . قالت عائشة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وحكت له فرضى ﷺ عن صفية ، وهذه الحالة إنما كانت فى يوم واحد ونوبة واحدة لا غير ، فلذا وهم بعض الرواة ، وحديث كان يقسم لثمان صحيح وكان من العادة النبوية أنه إذا واقع فى أول الليل اغتسل ثم نام فى بعض الأحيان ، وفى بعضها كان يتوضأ وينام ثم يغتسل فى آخر الليل ، والحديث المروى عن عائشة أنها قالت : ربما نام ولا يمس ماء غلط من بعض الرواة ، وربما طاف على جميعهن واغتسل فى الآخر غسلا واحداً وربما اغتسل عقيب كل مواقعة ، وكان إذا قدم من السفر لا يدخل البيت ليلا .

﴿ فصل فى نوم سيدنا رسول الله ﷺ ويقظته ﴾

كان النبى ﷺ ينام فى بعض الأحيان على الفراش ، وحينا على النطع وحينا على الحصير ، وحينا على الأرض مجردا وفراشه من أديم حشوه ليف عوض القطن ، وكان له مسح من شعر ينام عليه فى الليل ، وكانوا يثنونه له عند النوم فجعلوه فى بعض الليالى أربع طاقات فنهاهم وقال : اجعلوه مثنيا كما كنتم تفعلون أولا فإنه منعنى البارحة من صلاتى ، وفى الجملة كان ينام على الفراش أيضا ويلتحف ، وقال : إن جبريل لم يأتنى قط فى لحاف امرأة سوى لحاف عائشة ، وكانت وسادته من أديم حشوها ليف .

﴿ فصل فى الركوب ﴾

كان ﷺ فى بعض الأحيان يركب الفرس وفى بعضها يركب البغل والحمار ، وكان قد يركب الفرس عريانا بغير سرج وقد يسوق وفى الغالب كان يركب منفرداً ، وفى بعض الأحيان كان يردف على البعير أحداً ،

وربما أركب شخصا آخر بين يديه فيصيرون ثلاثة على بعير ، وربما أردف بعض أمهات المؤمنين ، وغالب مراكبه ﷺ الفرس والبعير ، وأما البغل فانه كان قليلا فى بر العرب أهدى له ﷺ بغلة من الاسكندرية ، وكان يركبها فقال بعض الصحابة : نحن أيضا نقفز الحمير على الخيل لتنتج البغال . فقال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون .

﴿ فصل ﴾ كان للنبى ﷺ قطيع من الغنم ، وكان لا يحب أن يزيد على مائة فان زاد شىء ذبح بدله ، وكان له جوار وغلمان ، وكان العتقاء من تلك الجملة ينيفون على الأرقاء ، وأكثر مواليه وعتقائه الغلمان لا الإماء ، وقال : « أيما امرىء أعتق امرءاً مسلماً كان فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه ، وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه » وهذا حديث صحيح ، ودليل على أن عتق الغلام يعدل عتق أمتين .

﴿ فصل ﴾ باع سيدنا رسول الله ﷺ واشترى لكن بعد نزول الوحى كان الشراء غالباً والبيع قليلا ، وأما بعد الهجرة فلم يحفظ البيع إلا فى ثلاث صور والشراء كثير وأجر ﷺ واستأجر والاستئجار أغلب ، وحفظ أنه قبل النبوة أجر نفسه لرعى الغنم ، وأجر نفسه لخديجة أيضاً ليتجر لها : وفى صحيح مسلم أنه أجر نفسه من خديجة مرتين ، وفى سفرتين كل سفرة بجمل ، وشارك النبى ﷺ ووكل وتوكل ، وكان التوكيل أكثر ، وأهدى له ﷺ ، وقبل الهدية ، وعوض عنها ، ووهب له ﷺ ، وقبل الهبة ، وحصل لسلمة بن الأكوع فى بعض الغزوات جارية حسناء فقال له ﷺ : هبها لى ، فأخذها ، وفادى بها جماعة من الأسرى بمكة وخلصهم من الأسر ، واقترض ﷺ برهن وبغير رهن ، واستعار واشترى بنقد ونسيئة ، وضمن عن الله عز وجل ضماناً خاصاً كما قال : « من ضمن لى ما بين لحييه وما بين

رجليه ضمنت له الجنة » ومثل هذا الضمان فى السنة كثير ، وضمن ضماناً عاما عمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء دينه . وكان ﷺ يشفع ويشفع إليه ، وشفع لمغيث عند امرأته بريرة ، فلم تقبل الشفاعة ؛ ولم يغضب عليها ، ولم يعاتبها ، وكان يكثر القسم بالله ، والثابت من ذلك يزيد على ثمانين موضعاً ، وأمر الله تعالى نبيه بالقسم فى ثلاثة مواضع : (الأول) قال الله تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق) ، (الثانى) قال الله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) . (الثالث) قال الله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل وبلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) وكان فى بعض الأحيان يستثنى فى يمينه ، وقد يكفر عنها فى بعض الأحيان ، وقال : إنى والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها ، إلا كفرت عن يمينى ، وأتيت الذى هو خير ، وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ويورى ولا يقول فى توريته إلا حقاً كما أنه كان إذا عزم على قصد جهة سأل عن جهة أخرى ومياهها ومراعيها ومنازلها ، وأمثال هذه التورية كان يفعلها فى الغزوات والجهاد كثيراً ، وكان ﷺ يستشير ويشير ، ويعود المرضى ، ويحضر الجنائز ، ويجيب الدعوة ، ويمضى مع الأرامل والمساكين والضعفاء لقضاء حوائجهم فيقضيها(١) ، وكان يسمع الشعر من الشعراء ، ويعطيهم الخلع ، لأن جميع ما قالوه وما يقولونه إلى يوم القيامة قطرة من بحر ، فعطاؤه لهم على قول حق

(١) وهذه الأعمال الحميدة عدمت فى هذا العصر حتى عند من ينتمى إلى السنة والتمسك بها ، فاذا مرض الفقير ، فلا يعوده أحد ، ولو كان ينتمى إليهم ، وكذلك من مات فلا يشيعه إلا الواحد والاثنان ، وكذلك فى بيع المرافق الحيوية مع أن هذه الخصال أهم شىء فى ربط القلوب والعلائق بين الأفراد ، وجمع كلمتهم ، وجعلهم عضواً واحداً ، فهلا الرئيس نبه على ذلك فى دروسه ومجالسه ، وجعل ديدنه ذلك ليؤثر فى العامة ، ويجمع قلوبهم ، ويوحد أمرهم اللهم أصلح الأمة وقوادها ، واهدهم إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة .

(وأما) مدح غيره ، فانه فى الغالب زور وبهتان ، وكذب صراح لا جرم قال : احثوا فى وجوه المداحين التراب .

﴿ فصل ﴾ سابق ﷺ على قدميه ، وصارع ، وخصف نعله بيده الكريمة ﷺ ، ورقع ثوبه ودلو بيته ، ونقى ثوبه من الهوام ، وكان يخدم أهل بيته بنفسه ﷺ ، وفى عمارة المسجد كان يعين العمال ، ويحمل اللبن ، وربما جاع حتى شد الحجر على بطنه ، وأضاف وأضيف ، واحتجم ﷺ ، وأمر أمته بالحجامة ، وثبت أنه احتجم على رأسه ، وعلى ظهر قدميه ، وفى الأخدعين والكاهل ، والأخدعان : عبارة عن عرقين فى جانبى العنق ، والكاهل : عبارة عن مقدم الظهر - يعنى بين الكتفين - وتداوى ﷺ وعند الضرورة أشار إلى الكى ، وأمر به لكن لم يكتو ؛ وكان يرقى المرضى ولم يسترق لنفسه ﷺ ، وأمر المرضى بالحمية والمعالجة ، وأما استعمال الأدوية المركبة المذكورة فى القراباذين ، والمعاجين ، والمركبات وأمثالها ، فلم تكن من عادته ، بل كان يتداوى بالمفردات ، وربما أضاف شيئاً لدفع سورة ذلك الدواء فى النادر ، وهذا كمال الحكمة وغاية معرفة الأطباء ، روى أبو خزامة عن أبيه قال : قلت « يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : هى من قدر الله » ومنع من التخمة ، وكثرة الأكل ، وقال : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يعالج الأمراض بثلاثة أنواع (أحدها) الأبادوية الطبيعية (الثانى) بالأدوية الإلهية (الثالث) بأدوية مركبة من هذين القسمين (أما) علاج الحمى فقال : الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ، وجاء أيضاً إذا

حم أحدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر ، وفى موضع آخر فى مسند الإمام أحمد كان رسول الله ﷺ إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل ، وثبت فى الترمذى « إذا أصابت أحدكم الحمى فانما الحمى قطعة من النار ، فليطفئها بالماء البارد ، ويستقبل نهراً جارياً فليستقبل جرية الماء بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس ، وليقل : بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك وينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فان برأ وإلا فخمساً ، وإن لم يبرأ فى خمس فسبع ، فانها لا تكاد تجاوز السبع بإذن الله » اتفق أهل الحديث أن هذا خطاب خاص لأهل الحجاز كخطاب لاتستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرقوا أو غربوا ، ولما كان أكثر الحميات العارضة لهم من نوع حمى يوم الناشئة من شدة حرارة الشمس أمر ﷺ أن تعالج بالماء البارد شربا واغتسالا .

﴿ فصل ﴾ استطلاق البطن حيث كان من كثرة المادة عولج بتقوية الإطلاق كما فى الصحيحين « أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : إن أخى يشتكى بطنه ، فقال : اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئا ـ وفى لفظ ـ فلم يزده إلا استطلاقا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: اسقه عسلا ، فقال له فى الثالثة أو الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك » وفى صحيح مسلم « إن أخى عرب بطنه ـ أى فسد هضمه ـ واعتلت معدته » وفى تكرار الأمر بشرب العسل نكتة لطيفة من حيث أن الدواء ينبغى أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال المرض ، حتى لو قصر عن ذلك لايزيل المرض بالكلية ، وإن زاد عن ذلك أسقط القوى ، وزاد المرض ، ولما لم يعط فى كل نوبة ما يقاوم المرض لاجرم كان الإطلاق يزداد وكان ﷺ يأمر باعادة شرب العسل وحيث وصل إلى حده قال ﷺ : « صدق الله

وكذب بطن أخيك » وكذب البطن عبارة عن كثرة المادة الفاسدة (واعلم) أن الطب النبوى لانسبة له من طب الأطباء ، لأن الطب النبوى متيقن النجح قطعاً ، لأنه صادر عن الوحى الإلهى ، ومشكاة النبوة ، وكمال العقل ، وأما طب الغير غالباً فانه مأخوذ من الحدس والظن والتجربة ، وهذا مثار الخطر ، ومن لاينتفع بالطب النبوى ، فينبغى أن يعلم يقينا أنه من نقص إيمانه ومن تلقاه بالقبول والصدق وحسن الاعتقاد انتفع به ألبتة ، كما أن القرآن الكريم ، شفاء لما فى الصدور والقلوب ، ومن لم يتلقه بالقبول والإخلاص زاد مرضه ووباله .

﴿ فصل فى علاج الطاعون والوباء ﴾

كان ﷺ يقول : « الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى إسرائيل وعلى من كان قبلكم ، فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا منها فراراً منه » وثبت فى حديث آخر « الطاعون شهادة لكل مسلم » وجاء فى حديث آخر « الطاعون وخز الجن » وجاء فى رواية أخرى « الطاعون دعوة نبى » وفى هذا الحديث الذى نهى فيه عن دخول بلد فيها وباء ، وعن الخروج منها إشارة إلى الاحتراز ، والاجتناب من الوباء ، لأن فى الدخول إلى محل الوباء تعرضاً للبلاء وإلقاء للنفس فى المهلكة ، وذا مخالف للشريعة ، ومناف للعقل .

وقد ثبت فى الحديث « أن من القرف التلف » والقرف مداناة المرض ومقاربة الوباء ففى هذا المحل أمر بالحذر والحمية ونهى عن التعرض لأسباب التلف ، وأما النهى عن الخروج من محل دخله الوباء ، فيظهر فيه معنيان : حمل النفس على التوكل والاعتماد على الخالق والصبر على القضاء والرضا به

(والمعنى الثانى) هو مايقوله الأطباء من أنه يجب على كل من أراد الاحتراز من الوباء تقليل الغذاء . وإخراج الفضلات من الرطوبات من البدن . والميل إلى التدبير اللطيف ، والاجتناب من الرياضة والحمام ، لئلا تنبعث الفضلات الرديئة الكامنة فى قعر البدن ، ويجب عليه اختيار السكون والراحة والطمأنينة ، ليسلم من هيجان الأخلاط ، ولاشك أن الخروج من أرض الوباء ، والسفر إلى أرض أخرى ، إنما يتيسر بحركة شديدة وضرر ذلك ظاهر .

﴿ فصل فى الاستسقاء ﴾

أمر ﷺ فى علاجه بشرب ألبان الإبل وأبوالها . ورد المدينة رهط من قبيلة عكل ، فلم يوافقهم ماء المدينة وهواؤها ، فاستسقوا ، فجاؤا إلى الرسول ﷺ وقالوا : إنا استوخمنا المدينة ، فعظمت بطوننا ، وارتهشت أعضاؤنا ، فقال : لو خرجتم إلى إبل الصدقة ، فشربتم من أبوالها وألبانها ففعلوا فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم . واستاقوا الإبل ، وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم ، فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وألقاهم فى الشمس حتى ماتوا ، والمحققون من الأطباء مطبقون على أن لبن اللقاح وبول الجمال من الأدوية المعتبرة فى هذا المرض والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى علاج الجراحات برماد من حصير محروق لما جرح وجهه المبارك فى يوم أحد ، كانت فاطمة رضى الله عنها تغسل ، وأمير المؤمنين على رضى الله عنه يصب الماء عليها وحيث لم ينقطع أخذت فاطمة قطعة من حصير فأحرقتها حتى صارت رماداً ، ووضعت ذلك الرماد على الجراحة فانقطع الدم من ساعته ، وكانت الحصير من البردى ، وفى

تلك البلاد غالب حصرهم من البردى ولرماده قوة تامة فى قبض الدم .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يقول : الشفاء فى ثلاثة ، فى شرطة محجم ، أوشربة عسل ، أو كية بنار ، وأنا أنهى أمتى عن الكى (١) ، قال العلماء : هذا الحديث إشارة إلى معالجة جميع الأمراض المادية ، لأن المرض ، إمادموى أو صفراوى ، أو بلغمى ، أوسوداوى ، فإن كان دموياً ، فعلاجه بإخراج الدم ، وإن كان من الأقسام الثلاثة ، فعلاجه بالإسهال ـ الذى يليق بكل خلط منها ـ نبه بالعسل على ذلك ، وبالمحجم على الفصد والحجامة ونبه بالكى على حالة يعجز فيها الطبيب ويحيا ، وآخر الدواء الكى ، ولما حجمه ﷺ أبو طيبة أمر له بصاعين ، وقال لساداته : خففوا عنه شيئاً من خراجه ، ففعلوا ، وكان يقول : « خيرماتداويتم به الحجامة » وقال : « ما مررت ليلة أسرى بى بملأ من الملائكة إلا قالوا : يامحمد مر أمتك بالحجامة(٢) » والسبب أن الحجامة تخرج الدم من نواحى الجلد ، والأطباء بأسرهم قائلون بأن الحجامة فى البلاد الحارة أفضل من الفصد ، لأن دمهم رقيق ناضج منبسط على سطح البدن ، وإنما يخرج بالحجامة ، لا بالفصد ، والفصد ينفع أعماق البدن . وفى الصحيحين « كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثا ، واحدة على كاهله واثنتين على الأخدعين » وفى الصحيح أنه احتجم وهو محرم فى رأسه لصداع كان به . وفى سنن ابن ماجه ، أن جبريل جاءه وأمره بالحجامة فى الأخدعين والكاهل ، وفى سنن أبى داود « أنه ﷺ احتجم فى وركه من وثى كان به » ، والوثى ، دكة فى البدن ، من سطحة ، أو ضربة لا تصل الخلع والكسر(٣) .

---

(١) الحديث عزاه ابن قيم إلى صحيح البخارى . (٢) هو فى الصحيحين مطولا .

(٣) رواه أبو داود فى سننه مطولا فيه جنادة بن المغلس وهو ضعيف .

﴿ فصل ﴾ كان النبي ﷺ لايحب الكى ، ومع هذا كان يأمر به عند الضرورة ، وأرسل مرة طبيباً إلى أبي بن كعب ، فرآه وكواه ، ولما جرح سعد بن معاذ فى أكحله أمر أن يكوى فورم فكوى ثانياً ، وأمر أسعد ابن زرارة فكوى من داء الشوكة ، والشوكة ـ حمرة شديدة تستولى على الوجه والجبهة ـ وكوى جابراً على الأكحل ، مجموع هذه الأحاديث صحيح وقد بينا من قبل أنه نهى الأمة عن الكى ، والجواب عنه أن الأحاديث على أربعة أنواع : بعضها دال على الفعل ، وبعضها دال على عدم المحبة ، وبعضها دال على الثناء والمدح على تاركه ، وبعضها مشتمل على النهى عنه . (أما) الفعل فيدل على الجواز (وأما) عدم المحبة فلا يدل على المنع (وأما) الثناء والمدح على الترك فدليل على الأفضلية والأولوية ، وأما النهى عنه فانه محمول على أنه لن يفعله مختاراً ، أو يفعله من خوف حدوث مرض ، فلا يكون بين الأحاديث تعارض(١) .

﴿ فصل فى هديه ﷺ فى علاج الصرع ﴾

ففى الصحيحين قال ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت إنى أصرع ، وإنى أتكشف فادع الله لى . فقال : إن شئت صبرت ، ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك ، فقالت: أصبر. قالت : فإنى أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها » . قال العلامة ابن قيم فى كتابه زاد المعاد : الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط

(١) قال ابن قتيبة : الكى جنسان ، كى الصحيح لئلا يعتل فهذا الذى قيل فيه : لم يتوكل من اكتوى ، لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه ، والثانى : كى الجرح إذا أثقل والعضو إذا قطع ففى هذا الشفاء ، وأما إذا كان الكى للتداوى الذى يجوز أن ينجح ، ويجوز أن لا ينجح فانه إلى الكراهة أقرب .

الرديئة ، والثانى : هو الذى يتكلم فيه الأطباء فى سببه وعلاجه ، أما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها . وذكره أبقراط فى بعض كتبه ، ويعالج هذا النوع بأحد أمرين : أحدهما من جهة المصروع ، والثانى : من جهة المعالج ، فالأول : يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وباريها والتعوذ الصحيح الذى قد تواطأ عليه القلب واللسان ، فإن هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الإنصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : إما أن يكون السلاح صحيحاً فى نفسه جيداً أو يكون الساعد قوياً فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً ؟ يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاح له ، والثانى : من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران ، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله يكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية ، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه ، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا والله أعلم(١) .

---

(١) أقول وما يحصل كثيراً من أبناء مصر من الصرع إنما يكون عادة تلقفها الصغير عن الكبير فنشأ عليها وشب وشاب ولا رادع له ولا زاجر ، وإن ما يفعل بمعالجة ذلك من عمل زار له يحضره إخوان الشياطين من ذكور وإناث ممنوع شرعا وعقلا ، أما العقل فظاهر ، لأن العقلاء اجمع فى عصرنا الحاضر اتفقوا على مضرته وسوء عمله ، واما شرعا : ففيه اعتقاد ان هذا يحصل من إخوانهم الأبالسة ولا يتمكنوا من دفع هذا المرض إلا بعمل ما يرضيهم ، وهذه هى بعينها عقائد الجاهلية الأولى بأن يتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى فى شفاء مرضاهم اوقضاء حوائجهم بواسطة الأصنام والأوثان اللهم اصلح العامة واهد الأمة إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ذلك ، وقد زدنا هذا الفصل فى هذا الكتاب من زاد المعاد لنفعه وضرورته .

﴿ فصل فى علاج عرق النساء ﴾

وهو ما قال رسول الله ﷺ : « دواء عرق النساء إلية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق فى كل يوم جزء (١) » ولما كان هذا المرض يحدث من مادة غليظة لزجة أو من يبس مزاج احتاج إلى إنضاج وتليين ، وهما فى الإلية بالخاصية ، فأمر ﷺ أن يعالج بها وإنما خص الشاة بالأعرابية لأنها أصغر وألطف ، وخاصية مراعى الشيح والقيصوم ، والنباتات اللطيفة فيها موجودة .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى معالجة يبس المزاج بالتليين ، واختار للتليين السنا المكى : « سأل رسول الله ﷺ أسماء بنت عميس بم كنت تستمشين ؟ قالت : بالشبرم قال : حار جارا ثم قال : استمشين بالسنا ، وقال : « لو كان شىء يشفى الموت كان السنا » (الشبرم) نبت معروف فى الحجاز يستعمل من قشور عروق جذوره (قوله) ﷺ : حار جار أول الأولى حاء مهملة والثانية جيم ، وهذا من باب الإتباع يقال فى المبالغة ، وقال : « عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام » وفى تفسير السنوت ثمانية أقوال (الأول) العسل (الثانى) رب عكة السمن يخرج مخلوطاً بالسمن (الثالث) حبة تشبه الكمون وليست به (الرابع) كمون كرمان (الخامس) انزازيانج (السادس) الشبت (السابع) التمر (الثامن) عسل يكون فى أسفل ظروف السمن ، وهذا المعنى أقرب لأن السنا المدقوق المخلوط بعسل مخلوط بسمن أقوى للإسهال وأصلح ، وجاء فى حديث آخر : « خير ماتداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشاء » السعوط : يقال لدواء يقطر فى الدماغ من

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه .

طريق الأنف ؛ واللدود يقال لدواء يصب فى الحلق من أحد جانبى الفم ، والمشاء دواء مسهل .

﴿ فصل فى الحكة وغلبة القمل ﴾

أمر ﷺ فى علاج ذلك بلبس ثياب الحرير قال أنس بن مالك : « إن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام كانا فى مشقة عظيمة من حكة البدن فرخص لهم فى لبس قميص الحرير » وجاء فى بعض الروايات « أنهم فى بعض الغزوات شكوا إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ كثرة القمل فرخص لهم فى لبس قميص الحرير » ويتعلق بهذا الحديث أمران : فقهى ، وطبى (أما) الفقهى : فحرمة لبس الحرير على ذكور الأمة إلا لحاجة أو رجحان مصلحة (وأما) الأمر الطبى : فالتداوى بلبس الحرير من الأمراض اليابسة السوداوية ، لأن الحرير من الأدوية الحيوانية ، ومن خواصه : تقوية القلب والتفريح ، ودفع غلبة السوداء ، والمرض يظهر منها ، وهو حار رطب ، ومعتدل فى قول بعض ، وليس فيه شىء من اللين ولا من الخشونة أصلا ، لا جرم أنه ينفع من الحكة والجرب وأمثالهما ، وبسبب ملاسته لا يثبت القمل عليه .

﴿ فصل فى ذات الجنب ﴾

أمر ﷺ فى علاج ذلك باستعمال القسط البحرى فى جامع الترمذى عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال : « تداووا من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت » وفى حديث آخر « القسط البحرى هو العود الهندى » ، وذات الجنب على نوعين : حقيقى ، وغير حقيقى ، فالحقيقى ورم يظهر فى غشاء بين الأضلاع ، وغير الحقيقى يظهر فى الجنب الأيسر من احتقان ريح غليظ وهذا الدواء لهذا النوع ، لأن القسط الهندى إذا سحق سحقاً جيداً وخلط

بالزيت وطلى به ذلك المكان أو لعق منه بالإصبع حلل تلك المادة وقوى أعضاء الباطن وفتح السدد (وأما النوع) الحقيقى فإن كان من مادة بلغمية، فهذا الدواء علاجه خصوصا حالة انحطاطه المرض، ولما اشتد به ﷺ مرضه وكان عنده نساؤه، والعباس، وأم الفضل بنت الحارث، وأسماء بنت عميس فتشاوروا فى لده(١) فلدوه وهو مغمور فلما أفاق قال: «من فعل بى هذا؟ هذا من عمل نساء جئن من هنا، وأشار بيده إلى أرض الحبشة يشير إلى أم سلمة وأسماء قالوا: يارسول الله حسبنا أن يكون بك ذات الجنب قال: فبم لددتمونى؟ قالوا: بالعود الهندى وشىء من ورس وقطرات من زيت قال: ماكان الله ليقذفنى بذلك الداء، ثم قال: عزمت عليكم لا يبقى فى هذا البيت أحد إلا لد إلا عمى العباس فإنه لم يشهدكم» والله أعلم.

﴿ فصل ﴾ وإذا حدث برأسه ﷺ صداع(٢) وضع عليه الحناء ويقول: هذا ينفع الصداع. وفى سنن ابن ماجه «أن النبى ﷺ كان إذا أصابه صداع غلف رأسه بالحناء ويقول: إنه نافع بإذن الله من الصداع»[٣] والمراد به نوع من الصداع، وهو مالم يكن مادياً، بل كان ملتهبا بحرارة الشمس، والحناء لهذا النوع نافع سيما إذا دق ولت بالخل وضمد به الجبهة، وثبت فى سنن أبى داود «أن رسول الله ﷺ ما شكا إليه أحد وجعا فى رأسه إلاقال له: اختضب بالحناء» وفى الترمذى عن أم نافع قالت: لاتصيب النبى ﷺ قرحة ولاشوكة إلا وضع عليه الحناء.

﴿ فصل ﴾ كان النبى ﷺ يقول: «لاتكرهوا مرضاكم على الطعام

(١) اللدود: بالفتح هو من الأدوية مايسقاه المريض فى أحد شقى الفم، ولديد الفم جانباه.

(٢) حقيقة الصداع سخونة الرأس واحتمائه لمادارفيه من بخار يطلب النفوذ من الرأس فلا يجد منفذاً ويكون عن أسباب عديدة انظر زاد المعاد لابن قيم. (٣) قال ابن قيم فى زاد المعاد فى صحته نظر.

والشراب ، فان الله تعالى يطعمهم ويسقيهم » (رواه الترمذى فى جامعه وابن ماجه)(١) عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه يرفعه ، وحكمته ظاهرة لأن طبيعة المريض مشغولة بإنضاج المادة وإخراجها ، وإذا أكره المريض على الطعام والشراب تعجز الطبيعة عن فعلها وتشتغل بهضم الطعام والشراب ، ولا تنضج المادة أصلا بل يبقى شىء غير نضج ، ويشتد المرض ولاينبغى أن يعان على قوة المرض إلا أجزاء لطيفة من الأشربة والأغذية يحصل بها القوة للمريض ، ولا تشتغل الطبيعة بإنضاجها كالأشربة اللطفية وأمراق الفراريج وإنعاش القوة الغريزية بشم العطر واستماع الأخبار المفرحة .

﴿ فصل ﴾ يظهر فى حلق بعض الأطفال علة من ثوران الدم يقال لها : العذرة أمر ﷺ فى علاجها بالقسط الهندى وبعض الدايات ، تعصر لهات الصغير بإبهامها فتخرج الدم فنهى ﷺ عن ذلك(٢) وقال : «خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى وقال : لا تعذبوا صبيانكم بالغمز فى العذرة(٣) » وفى مسند الإمام أحمد « دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبى تسيل منخراه دما ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : به العذرة ، أو وجع فى رأسه فقال : ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع فى رأسه فلتأخذ قسطاً هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه إياه ، فأمرت عائشة فصنع ذلك بالصبى فبرىء » ولما كانت مادة تلك العلة دما غلب عليه البلغم كان العلاج بالقسط موافقاً ، لأن القسط مجفف ، ومقو للعضو ، والتسعيط الذى أمر به ﷺ : هو أن يصب الدواء فى الدماغ حالة الاستلقاء . وإذا

---

(١) الزيادة من زاد المعاد (٢) ليسمع هؤلاء الأمهات الجاهلات اللواتى يطرقن أبواب الدايات بأطفالهن فتجنى بذلك على طفل برىء ، مع أنهن لوسلكن طرق العلاج الصحيح ، وهي كثيرة فى زماننا ، لنفعت طفلها ، وخرجت من إصر الاهمال (٣) هو فى الصحيحين .

وصل إلى الدماغ تخرج العلة بالعطاس ، ومدح ﷺ التداوى بالسعوط ، واستعط هو ﷺ(١) .

﴿ فصل ﴾ من اشتكى وجع القلب يقال له : مفؤود ، لأن الوجع أصاب فؤاده ، وأمر ﷺ فى دوائه بتمر المدينة ، ثبت فى سنن أبى داود عن سعد قال : « مرضت مرضاً فأتانى رسول الله ﷺ يعودنى فوضع يده بين ثدي حتى وجدت بردها على فؤادى وقال لى ، إنك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب ، ثم قال : فليأخذ ، يعنى صاحب هذه العلة سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليدلك بهن » وفى التمر خاصية عجيبة لهذا المرض ، وفى تخصيص السبع سر علم بالوحى ، وقال «من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر(٢) » وقال : « إن فى عجوة العالية شفاء وإنها ترياق أول البكرة » وينبغى أن يعلم أن شرط انتفاع المريض بالدواء أن يعتقد نفعه أو تقبل طبيعته عليه فيستعين بذلك على دفع العلة ، كما أن جمعاً من الأكابر عالجوا بالحبة السوداء فى جميع الأمراض ، وبعضهم استعمل العسل فى جميع الأمراض وببركة حسن الاعتقاد دفعت تلك الأمراض .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ المرضى بالحمية ومنع من الغذاء المخالف ، والأصل فى الحمية نص التنزيل (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا) أمر المريض بالاجتناء عن استعمال الماء البارد لأنه يضره ، وروت أم المنذر الأنصارية فقالت : « دخل على رسول الله ﷺ ومعه علىّ ، وعلىّ ناقه من مرض ولنا داول معلقة ، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها وقام على يأكل منها فطفق

(١) هو فى سنن أبى داود ثابت . (٢) عزاه ابن قيم فى زاد المعاد إلى للصحيحين

النبي ﷺ يقول لعلى: إنك ناقه إنك ناقه حتى كف ، قالت : وصنعت شعيراً وسلقا فجئت به ، فقال النبي ﷺ لعلى : من هذا أصب ، فانه أنفع لك » ويروى « من هذا فأصب فانه أوفق لك (١) » . وعن صهيب قال : « قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر فقال : ادن فكل، فأخذت تمراً فأكلت ، فقال : أتأكل تمراً وبك رمد؟ فقلت : يارسول الله ، أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله ﷺ(٢) وقال : « إن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه عن الطعام والشراب» (وأما) الأحاديث المشهورة الجارية على ألسنة العوام من المفتريات فمنها الحمية رأس كل دواء المعدة بيت كل داء ، عودوا كل جسد ما اعتاد ـ فلا يصح رفعها إلى النبي ﷺ ـ وصح أنها من كلام الحارث بن كلدة ، وجاء فى حديث آخر « إن بيت المعدة ، حوض البدن والعروق اليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى دواء وجع العين بالسكون والراحة ، ومنع أمير المؤمنين عليا من أكل الرطب فى حال الرمد وكان لايقرب من بها رمد من أمهات المؤمنين إلى أن يحصل لها الشفاء .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى دواء الخدران الكلى بالماء البارد . اتفق أن جماعة ساروا فى طريق فوصلوا إلى شجرة لم يعلموا ماهى فأكلوا منها فخدروا فى مواضعهم وبطل حسهم فقال ﷺ بردوا الماء فى الشنان وصبوا عليهم فيما بين الأذانين يعنى أذان الفجر والإقامة ، وهذا من أفضل المعالجات .

﴿ فصل فى إصلاح الطعام والشراب الذى سقط فيه الذباب ﴾

روى أبو هريرة « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فأمقلوه فإن فى أحد

(١) رواه ابن ماجه فى سننه . (٢) هو فى سنن ابن ماجه .

جناحيه داء وفى الآخر شفاء(١) » وفى رواية أبى سعيد الخدرى « فانه يقدم السقم ويؤخر الشفاء(٢) » وفى هذين الحديثين أمران : فقهى وطبى (أما) الفقهى فهو أن الذباب إذا وقع فى ماء أومائع فمات لاينجس وذا قول جمهور العلماء (وأما) الأمر الطبى ، فهو دفع ضرر الأشياء بأضدادها لأن الذباب إذا وقع فى طعام أو شراب قصد دفع ضرر ذلك بسلاحه المسموم فقدمه ، لا جرم أمر رسول الله ﷺ أن يقابل السمية بالترياقية ليدفع ضرره .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى علاج البثرات بالذريرة ، والبثرات جراحات صغار تظهر بسبب خلط على ظاهر البدن ، والذريرة دواء يؤتى به من الهند يخرج من قصب الذريرة ، عن بعض أزواج النبى ﷺ قالت : « دخل على النبى ﷺ وقد خرج فى إصبعى بثيرة فقال : هل عند ذريرة ؟ قالت : نعم قال : ضعيها عليها وقولى « اللهم مصغر الكبير ، ومكبر الصغير صغر مابى(٣) » ، وإذا كان بأحد ورم أمر النبى ﷺ ببطه . عن على رضى الله عنه قال : « دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل يعوده بظهره ورم فقال رسول الله ﷺ : هذه مدة بطوا عنه ، قال على : فما برحت حتى بطت والنبى ﷺ شاهد » وفى مرة أخرى أمر ﷺ ببط شخص كان قد ورم فقالوا : يارسول الله ، هل ينفع الطب ؟ فقال : « الذى أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء(٤) » .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ أن يعالج المريض فى بعض الأحيان بالكلمات المطيبة للنفس الدافعة للحزن والغم ، روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه

---

(١) هو فى الصحيحين ، ومعنى «امقلوه» اغمسوه (٢) هو فى سنن ابن ماجه مطولا اختصره المصنف «٣» عزاه ابن قيم فى زاد المعاد إلى ابن السنى (٤) هذان الحديثان ذكرهما ابن قيم فى زاد المعاد بقوله : ويذكر ، وهذه صيغة تدل على الضعف والله أعلم .

« إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله فإن ذلك لا يرد شيئاً » ويطيب نفسه(١) » وأمر ﷺ فى معالجة الحزن والغم بالتلبية ـ وهى طعام رقيق يصنع من دقيق شعير غير منخول ـ بشرط أن يطبخ طبخاً تاما ليكون فى القوام والرقة كالحليب ، ولذا قالوا التلبينة ، وله حكم ماء الشعير الذى عليه اعتماد الأطباء فى أكثر المعالجات عن عائشة رضى الله عنها « أنها كانت إذا مات الميت من أهلها ، واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلى أهلهن أمرت ببرمة تلبينة فطبخت وصنعت ثريداً ثم صبت التلبينة عليه ، ثم قالت : كلوا منها فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول التلبينة مجمة لفؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن(٢) » ، وجاء فى حديث آخر « عليكم بالبغيض النافع التلبين(٣) » وثبت فى حديث عن عائشة أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا قيل له : إن فلاناً وجع لا يطعم الطعام قال : عليكم بالتلبينة فاحسوه إياها » ، وكان يقول : والذى نفسى بيده إنها تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ » .

﴿ فصل فى علاج السم ﴾

جاءت امرأة يهودية إلى رسول الله ﷺ فى خيبر بشاة مصلية فتناول منها فنطقت الشاة فقالت الذى معناه لا تزد على هذا فإنى مسمومة فطلب ﷺ المرأة وقال : لم فعلت هذا ؟ فقالت : إن كنت نبيا لا يضرك فاحتجم ﷺ بين الكتفين فى ثلاثة مواضع ، وأمر من أكل معه بذلك ، وعاش بعدها ثلاث سنين ، وكان يقول فى كل سنة ، ما زلت أجد ألم لقمة خيبر ، وقال عام وفاته : ما زلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر

« ١ » رواه ابن ماجه فى سننه « ٢ » هو فى الصحيحين « ٣ » عزاه ابن القيم إلى السنن والمجمة بالجيم والميم من الاجمام وهو الراحة .

حتى كان هذا أوان انقطاع الأبهر منى فتوفى رسول الله ﷺ شهيداً (١) .

﴿ فصل فى علاج السحر ﴾

لما سحره اليهود ووصل المرض إلى الذات المقدسة النبوية أمر ﷺ بالحجامة على قمة رأسه المبارك ، ومن لاحظ له من الدين والإيمان يستنكر كل هذا العلاج ولو نقل عن كبار الأطباء كجالينوس ، وأرسطاطاليس لم ينكره ، ولما وصلت مادة السحر إلى رأسه المبارك كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة ، واختلطت المادة الدموية بتلك المادة فغلبتا على بطن الدماغ فخرج عن طبيعته الأصلية لأن السحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، وانفعال قوى الطبيعة ، واستعمال الحجامة فى محل تضرر بالسحر غاية الحكمة ، ونهاية حسن المعالجة ومن جملة العلاجات التى هى عظيمة النفع فى السحر الأدوية الربانية من الآيات والدعوات المبطلة لذلك ، وكل ما كان أقوى بطل به السحر عاجلا لا جرم لما نزلت المعوذتان بطل السحر بالكلية .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ فى بعض الأحيان يعالج البدن بالقيء ، عن أبى الدرداء « أن النبى ﷺ قاء فتوضأ فلقيت ثوبان فذكرت له ذلك فقال : صدق ، أنا صببت له وضوءه(٢) » ، والقيء أحد الاستفراغات الخمس التى هى أصل أنواع الاستفراغات ، وهى الإسهال ، والقيء ، وإخراج الدم ، وخروج الأبخرة ، والعرق . وقد وردت السنة بالخمس كما ذكرناه .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يضمن من يعالج بغير معرفة ؛ عن عمرو بن العاص يرفعه « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن(٣) » ولا خلاف

(١) وأبو بكر رضى الله عنه توفى أيضاً شهيداً بسبب لدغ الحيات له فى الغار عند ما وضع رجليه فى ثقبها (٢) رواه الترمذى وقال : وهذا أصح شيء فى الباب (٣) رواه ابو داود والنسائى وابن ماجه

بين العلماء أن من طبب بغير علم فأهلك المريض لزمه الضمان ، وإن حضر طبيبان فى حضرته ﷺ أشار إلى أحذقهما ، وروى مالك فى الموطأ عن زيد ابن أسلم « أن رجلا فى زمن رسول الله ﷺ جرح فاحتقن الدم ، وأن الرجل دعا رجلين من بنى أنمار فنظر إليه فزعم أن رسول الله ﷺ قال لهما: أيكما أطب ؟ فقالا : أفى الطب خير يارسول الله ؟ فقال : الذى أنزل الداء أنزل الدواء »

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ باجتناب معاشرة أرباب الأمراض المعدية كما فى حديث أبى هريرة مرفوعاً « فر من المجذوم كما تفر من الأسد(١) » وصح فى حديث جابر «أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فقال له: إنا بايعناك فارجع(٢) وفى حديث ابن عباس مرفوعاً «لا تديموا النظر إلى المجذومين(٣) » وجاء فى حديث آخر « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين(٤) » ، والجذام مرض خبيث يظهر من انتشار السوداء فى جميع البدن فيفسد مزاج الأعضاء ، وتغير شكلها وهيأتها ، وجاء فى حديث آخر أنه ﷺ « أكل مع مجذوم طعاما وأخذ بيده ، وجعلها معه فى القصعة ، وقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه(٥) والجواب عن حديث « لاعدوى ولاطيرة » قالوا إنما أمر بالاحتراز منهم ، لئلا يصل هذا المرض إلى أحد والعياذ بالله فيتصور له بهذا أن العدوى حق ، وقال بعضهم فى الجواب : الأمر باجتناب المجذوم على سبيل الاستحباب والاختيار ، والإرشاد ، ومؤاكلة المجذوم لبيان جواز الفعل ، والإعلام بأنه غير حرام ، وقال بعضهم فى الجواب : إن الخطاب

« ١ » رواه البخارى فى صحيحه تعليقاً « ٢ » رواه مسلم فى صحيحه « ٣ » رواه ابن ماجه فى سننه . « ٤ » ذكر ابن القيم فى زاد المعاد بلفظ « ويذكر » المشعر بالتضعيف .
« ٥ » رواه الترمذى .

فيه غير كلى لكل مؤمن ، وإنما خاطب كل مؤمن بما يليق ويتسع له حاله فمن كان إيمانه وتوكله فى نهاية القوة فلا يتضرر بمخالطتهم لأن قوة إيمانه تدفع قوة العدوى ، وأما الضعفاء فأمرهم بالاحتياط والاحتراز وهو ﷺ باشر الصورتين ليقتدى به فيأخذ القوى بطريق التوكل ، والضعيف بطريق التحفظ .

﴿ فصل ﴾ منع ﷺ عن التداوى بالمحرمات . روى أبو الدرداء « أن الله تعالى أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بالمحرم(١) » ، وروى ابن مسعود « أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم(٢) » وسأل طارق النبى ﷺ عن عمل الخمر فنهاه فقال إنما أصنعه للدواء فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء(٣) » وفى لفظ آخر فى سنن أبى داود والترمذى عن طارق «قلت يارسول الله إن بأرضنا أعنابا نعتصرها ونشرب منها ، قال: لا ، فراجعته فقلت : إنا نستشفى بها للمريض ، قال إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » وفى سنن النسائى مروى « أن طبيبا ذكر أن الضفدع تنفع فى هذا الدواء فنهى ﷺ عن قتل الضفدع » وثبت فى حديث آخر « من تداوى بالخمر فلا شفاه الله » .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى علاج القمل بحلق الرأس لتنفتح المسام ، وتتصاعد الأبخرة ، وتضعف المادة التى يتولد منها القمل .

﴿ فصل فى المعالجة بالأدوية الروحانية الربانية والأدوية المركبة منها ، ومن الطبيعة ﴾

كان ﷺ يقول : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » ورخص فى رقية العين والحمة والنملة . روى مالك

---

(١) رواه أبو داود فى سننه (٢) رواه البخارى فى صحيحه (٣) رواه مسلم فى صحيحه

« أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فتأمل فى حسن بدنه وقال: والله ما رأيت مثل هـذا ، ولا جلد مخدرة ، فلبط سهل لحيته ، وبلغ خبره رسول الله ﷺ فغضب على عامر ، فدعا عامراً فتغلظ عليه ، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت ، اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه ، وداخلة إزاره فى قدح ، ثم صب عليه فراح مع الناس ليس به بأس » قوله : ألا بركت يعنى لم لا قلت بارك الله فيه ، وكيفية الغسل بينها الزهرى فقال : يؤمر العائن أن يدخل يده فى قدح ماء ، ويخرج منه كفاً فيتمضمض به ، ثم يصبه فى القدح ، ويغسل وجهه فى القدح ، ثم يدخل يده اليسرى فى القدح ، ويغترف ماء يصبه على ركبته اليسرى ثم يغسل إزاره ، وفى داخل إزاره قولان (أحدهما) مراده الفرج (الثانى) مراده طرف الإزار داخل الذى يلى البدن من الجانب الأيمن ، ولا يضع القدح على الأرض ثم يصب ذلك الماء على المعيون من خلف رأسه ، ورأى ﷺ فى بيت أم سلمة جارية فى وجهها سفعة فقال «استرقوا(١) لها فإن بها النظرة » وفى سنن أبى داود عن سهل بن حنيف « مررت على ماء فاغتسلت منه فأخذتنى الحمى فبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ فقال : مروا أبا ثابت يتعوذ قال: فقلت ياسيدى والرقى صالحة ؟ فقلت لا رقية إلا فى نفس أو حمة أو لدغة » والنفس العين ، والحمة كل ذى سم ، وأكثر الرقى النبوية ثابتة فى الحديث الصحيح منها « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق، وأعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وأعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ، ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ، ما علمت منها وما لم أعلم من شر ماخلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر ماينزل من السماء ، ومن شر مايعرج فيها ، ومن شر

(١) أى التمسوا لها الرقية ، وكيفيتها مبينة فيما يلى

ما ذرأ فى الأرض ، ومن شر مايخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل إلا طارقا يطرق بخير يارحمن » ومن جملتها « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » ومن تلك الجملة « اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم ، اللهم إنه لايهزم جندك ، ولايخلف وعدك ، سبحانك وبحمدك » ومن تلك الجملة «أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر كل ذى شر لا أطيق شره ، ومن شر كل ذى شر ، رب أنت آخذ بناصيته ، إن ربى على صراط مستقيم » ، ومن تلك الجملة « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليه توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، ومن لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم» ومن تلك الجملة « تحصنت بالذى لا إله إلا هو إلهى وإله كل شىء وتوكلت على الحى الذى لايموت ، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله حسبى الله ونعم الوكيل ، حسبى الرب من العباد ، حسبى الخالق من المخلوق ، حسبى الرازق من المرزوق ، حسبى الذى هو حسبى ، حسبى الذى بيده ملكوت كل شىء ، وهو يجير ولايجار عليه ، حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى ، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » ومن جرب هذه الدعوات علم عظيم قدرها بالإجابات ، ومن تلك

الجملة رقية جبريل الثابتة فى صحيح مسلم التى رقى بها سيدنا رسول الله عليهما من الله أفضل الصلاة والسلام : « بسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من كل نفس ، أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك » ، ومن جملة الكلمات التى تدفع شر النظرة قول ماشاء الله لا قوة إلا بالله وإن قال العائن اللهم بارك عليه دفع شر نظره ، وجماعة من السلف أجازوا أن يكتب آيات من القرآن ويشربها المعيون قال مجاهد : لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه للمريض ، وروى أن امرأة أصابها المخاض مدة فأمر ابن عباس بكتابة آيتين من القرآن فكتبتا وغسلتا وشربت المرأة الماء ، ومن رقى العين ما روى عن أبى عبد الله الباجى أنه قال : كنت فى بعض الأسفار على جمل جيد ، وكان فى القافلة شخص معروف أنه إذا نظر إلى شىء واستحسنه تلف ، فقيل لأبى عبد الله ذلك فقال : ليس له قدرة على جملى ، فبلغ كلامه إلى العائن فارتقب أبا عبد الله عند المنزل ، ثم جاء فنظر إلى البعير فاضطرب وسقط كما تسقط النخلة إذا اقتلعت من جذرها ، فلما جاء أبو عبد الله أخبر بذلك ، فقال سيروا إليه فلما رآه قال : (بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه ، وعلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها .

فصل ﴿ عالج ﷺ جميع الأمراض والآلام بهذا الدعاء ، وهو الذى قال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم شيئاً فليقل ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض . واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ

بإذن الله(١) ، وثبت فى صحيح مسلم « أن جبريل جاء إلى النبى ﷺ وهو وجع (فقال : يامحمد اشتكيت ؟ فال نعم) قال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس وعين ، بسم الله أرقيك ، والله يشفيك » ، والذى رويناه « لا رقية إلا فى عين أو حمة(٢) » المراد أنه لا رقية أولى وأنفع منها فى ذلك ، وأكبر الرقى فاتحة الكتاب ، والنبى ﷺ قال : خير الدواء القرآن(٣) » وهى مشتملة على معانيه ، وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : « انطلق نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم بعض شىء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شىء فلم ينفعه ، فهل عند أحدكم من شىء ؟ فقال بعضهم : أى والله إنى لأرقى ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا ، فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عقال قال فانطلق يمشى وما به قلبة(٤) فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه » هذا لفظ البخارى وقال بعضهم : « اقتسموا فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى النبى ﷺ فنذكر الذى كان فيه فننظر الذى يأمرنا به فقدموا على النبى ﷺ فذكروا له (ذلك) فقال : وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقسموا واضربوا لى معكم سهماً » (وأما) فى لدغ العقرب ففى مسند أبى بكر بن أبى شيبة مروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « كان النبى ﷺ يصلى (إذ سجد)

«١» رواه أبو داود فى سننه «٢» رواه أبو داود «٣» رواه ابن ماجه فى سننه «٤» أى علة وألم .

فلدغته عقرب فى إصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة قال : لعن الله العقرب ماتدع نبياً ولا غيره ، ثم طلب ظرف ماء وملحاً ووضع إصبعه فى الماء والملح ، وقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ، ولم يزل يكررهن حتى زال الألم » ، وفى سنن أبى داود عن الشفاء بنت عبد الله أنها قالت « دخل على رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة ، والنملة جراح تظهر على الجنب تؤلم ألماً شديداً يحس المريض منها حركة النملة ، وكانت الشفاء بنت عبد الله دائماً بمكة ترقى هذا المرض ، فلما هاجرت أتت النبى ﷺ وقالت : يا رسول الله كنت فى الجاهلية أرقى من النملة ، وأريد أن أعرض ذلك عليك ، ثم قال : بسم الله صلت حتى يعوذ من أفواهنا ولا تضر أحداً اللهم اكشف الباس رب الناس » يقرأ هذا الدعاء على خشبة ثم تحك على حجر بخل حاذق ويطلى به الجراح ، وأما فى سائر الجراحات والقروح فقد روت عائشة « كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها ثم قال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا(١) » وهذا علاج سهل هين نافع مركب من طبيعى وإلهى لأن التراب بارد يابس مجفف لرطوبات القروح والجراحات خصوصاً فى البلاد الحارة لاسيما تراب المدينة « وجاء شخص فقال : يارسول الله فى بدنى ألم عظيم منذ أسلمت فقال ﷺ : ضع يدك على الذى تألم من جسدك ، وقل بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر(٢) » وأما فى ألم المصائب ودفعها فقال ﷺ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف

(١) هو فى الصحيحين (٢) رواه مسلم فى صحيحه

لى خيراً منها إلا آجره الله فى مصيبته ، وأخلف له خيراً منها(١) .

﴿ فصل فى علاج . الكرب . والغم . والهم . والحزن ﴾

كان رسول الله ﷺ يقول ـ عند الكرب ـ « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم(٢) » وفى جامع الترمذى ، كان إذا حزبه أمر قال : « ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث » وكان إذا أهمه الأمر ، رفع رأسه إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد فى الدعاء قال : ياحى ياقيوم » (٣) وقال : دعوات الكروب ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت »(٤) وقالت أسماء بنت عميس : « قال رسول الله ﷺ : ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب ، الله ربى لا أشرك به شيئاً » سبع مرات (٥) وقال : « ما أصاب عبداً هم ولاحزن » فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أوعلمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا »(٦) وقال ﷺ : « دعوة ذى النون ، إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم قط فى شىء إلا استجاب له » (٧) « ودخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم ، فإذا

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده (٢) هو فى الصحيحين (٣) رواه الترمذى
(٤) رواه أبوداود فى سننه (٥) رواه أبوداود فى سننه (٦) رواه الامام أحمد فى مسنده عن ابن مسعود (٧) رواه الترمذى عن سعد بن أبى وقاص

هو برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة . فقال له : يا أبا أمامة مالى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتنى وديون يارسول الله ، قال : أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله « عز وجل » همك ، وقضى عنك دينك ؟ فقلت : بلى يارسول الله . قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت ، اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، قال : ففعلت فأذهب الله « عز وجل » همى وغمى وقضى عنى دينى(١) » وقال ﷺ « من لزم الاستغفار ، جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لايحتسب(٢) » وفى مسند أحمد « كان إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة » وكان يقول « اجتهدوا فى الجهاد فانه باب من أبواب الجنة وهو يدفع الكرب ، والهم ، والغم » وقال « من كثرت همومه وغمومه ، فليكثر من قول ، لاحول ولاقوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » وفى صحيح ابن حبان ، قال شخص فى دعائه : « اللهم إنى اسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت الحنان المنان ، بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم ، فقال النبى ﷺ : لقد دعا الله باسمه الأعظم ، الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » وفى علاج الخوف والأرق أمر أ يقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين السبع وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جاراً من خلقك كلهم جميعاً أن يفرط على منهم أحد أو أن يبغى على عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك » (٣) وأمر فى علاج الحريق بالتكبير(٤) .

---

(١) رواه أبوداود فى سننه
(٢) رواه أبوداود عن عباس
(٣) رواه الترمذى فى سننه
(٤) ولقد جربنا ذلك فوجدناه نافعا

﴿ فصل فى العادة النبوية فى الطعام ، والشراب ﴾

كان ﷺ يقول : « لا آكل متكئا إنما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد » ونهى أن يأكل الإنسان مستلقيا على وجهه ، وكان يأكل بثلاثة أصابع ، ولم يأكل بواحدة أبداً ، ولم يجمع بين سمك ولبن ، ولا بين اللبن وشيء من الحوامض ، ولا بين غذاءين حارين ، ولا بين دواءين لزجين ، ولا بين قابضين ، ولا بين مسهلين ، ولا بين غليظين ، ولا بين مختلفين كقابض ومسهل أو سريع الهضم وبطيئه ، ولا بين المشوى والمطبوخ ، ولا بين القديد والرطب ، ولا بين الحليب والبيض ، ولا بين اللحم والحليب ، وكان لا يأكل الطعام فى حال شدة حرارته حتى يبرد ، ولا يأكل طعاما بائتا ، ولا مافيه عفونة من الأطعمة كالكامخ ، والمخللات ، والملوحات ، ولم يثبت أنه تناول منها شيئاً ، وكان يدفع ضرر بعض الأغذية بأضدادها ، كالتمر بالسمن ، والرطب بالقثاء ، وكان ينقع التمر ويشرب ماءه ، لهضم الطعام وأمر أن يؤكل ما تيسر من الطعام قبل النوم ولو كفا من تمر ، ونهى عن النوم عقيب الأكل ، وأما شرب العسل ، فانه كان يمزجه بماء بارد فى غاية البرودة ، ولما كان العسل أفضل الأشربة بإجماع أهل العلم لأنه نتيجة الوحى الإلهى كان يحبه أكثر من جميع الحلاوات ، ولما دخل ﷺ بستان ابن التيهان قال : هل عندكم ماء بات فى شنة وإلا كرعنا ؟ والمراد بالكرع هنا الاغتراف باليدين إذ يكون الشرب باليد متعذرا فى تلك الحالة فأدت الضرورة إلى الكرع ، وكان ﷺ يشرب قاعداً ، وينهى أن يشرب أحد قائما وكان يقول : من نسى فشرب قائماً فليتقيأ ، لكن ثبت فى الصحيح أنه شرب قائماً كما ذكرناه فى الحج قال بعضهم : هو ناسخ للنهى ، وقال بعضهم : هذا مبنى على أن النهى لم يكن للتحريم وإنما كان للإرشاد ، وقال بعضهم

ليس فيه تعارض لأنه إنما شرب قائما للضرورة ، وكان ﷺ يتنفس فى الإناء ثلاثا « ويقول إنه أروى وأمرأ وأبرأ » وقال « غطوا الإناء وأوكئوا السقاء ، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لايمر بإناء ليس عليه غطاء ، وسقاء ليس عليه وكاء إلاوقع فيه من ذلك الداء ، ونهى عن الشرب من ثلمة القدح - يعنى من المكان المكسور - وكان يشرب الحليب المحض ، وقد يمزجه بالماء ويقول : ليس شىء يجزى عن الطعام والشراب غير اللبن ، وكان ينقع التمر فى الماء ليلة ، وليلتين ، وثلاث ليال ، ثم يشربه وما بقى مما مضى عليه ثلاث ليال يسقيه بعض الغلمان أو يأمر بإراقته .

﴿ فصل ﴾ لم يكن له ﷺ ولا لأصحابه ، التفات إلى المسكن والمنزل لأنهم يعلمون أنهم على ظهر سفر لاجرم أنهم اكتفوا بقدر الحاجة مما يدفع الحر والبرد ، ويمنع ولوج الدواب والبهائم ويحصل به ستر من عيون بنى آدم وأما الزخرفة والتعلية والتوسعة فلم تكن أصلا .

﴿ فصل ﴾ وأما تدبير النوم واليقظة ، فكان على أعدل الوجوه ، كان ﷺ ينام أول الليل ويقوم أول النصف الثانى ، فيتسوك ويتوضأ ويتهجد على الوجه الذى بيناه لاجرم أن البدن والأعضاء ، أخذت من النوم والراحة والرياضة بأتم حظ ، وأوفر أجر ، وأكمل عبادة ، وكان لايزيد فى النوم على القدر المحتاج إليه ، ولايمنع النفس من قدر الحاجة ، وكان إذا قصد النوم ، اضطجع على الشق الأيمن ، ولايزال مشتغلا بالذكر حتى يغلبه النوم ، وكان لاينام على الفرش المحشية حشواً عالياً ، ولا يبيت على الأرض المجردة ، وفى بعض الأحيان ، كان يضع رأسه على الوسادة وقد يتوسد ساعده المبارك ﷺ .

﴿ فصل فى الجماع والباه ﴾

فكان هديه ﷺ أكمل هدى يحفظ به الصحة ، ويتم به اللذة ، وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها ، فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور ، هى مقاصده الأصلية أحدها : حفظ النسل ، وداوم النوع إلى أن يتكامل العدة التى قدر الله بروزها إلى هذا العالم . الثانى : إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن . الثالث : قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة ، وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان ، وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة ، لأن المنى إن دام احتقانه ، أحدث أمراضاً رديئة ، وحث النبى ﷺ على التزويج أمته ، فقال : « تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم » وقال ابن عباس : « خير هذه الأمة أكثرها نساءاً » وقال ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » أى وقاية وحفظ من الوقوع فى الزنا المهلك ، وكان ﷺ يحرض أمته على نكاح الأبكار الحسان وذوات الدين . وأنفع الجماع ماحصل بعد هضم ، وعند اعتدال البدن فى حره وبرده ، ولا يكون البدن ممتلئاً ولا خلوا ، وضرره عند امتلاء البدن أسهل ، ولا يجامع إلا إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكر فى صورة ، وليحذر جماع العجوز والصغيرة التى توطأ مثلها ، والتى لا شهوة لها ، والمريضة ، والقبيحة المنظر ، والبغيضة ، لا فوطء هؤلاء يوهن القوى ويضعف الجماع ، وجماع البكر أنفع وأحفظ فى الصحة من جماع الثيب ، وجماع الحائض ، حرام طبعاً وشرعاً ، فإنه مضر جداً ، والأطباء قاطبة ، تحذر منه ، وأما الوطء فى الدبر ، فلم يبح قط على لسان

نبي من الأنبياء ، وقال رسول الله ﷺ : « ملعون من أتى المرأة فى دبرها » رواه أبو داود فى سننه ، وفى لفظ للبيهقى « من أتى شيئاً من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر » والله أعلم (١) .

﴿ فصل ﴾ أمر فى حفظ الصحة باستعمال الطيب كثيراً ما كان يستعمله وكان له ظرف خاص بالعطر والطيب ، منه يستعمل الطيب وما رد طيباً قط وقال : « من عرض عليه شيء من الرياحين فلا يرده لأنه طيب ولا مؤنة فيه(٢) » يعنى من جهة المنة ، ولا من جهة الثقل والحمل ، وفى مسند البزار أنه ﷺ قال « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود يجمعون أبناءهم فى دورهم « الأكباء ـ الأرواث والزبالة ـ وثبت أنه قال : إن الله حقا على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام وإن كان له طيب أن يمس منه .

﴿ فصل فى حفظ صحة العين ﴾

أمر ﷺ بالمداومة على الاكتحال وقت النوم ، وثبت فى مسند أبى داود « أمر رسول الله ﷺ بالأثمد المروح عند النوم ، وقال : ليتقه الصائم » والمروح ماطيب ريحه بالمسك ، وورد فى سنن ابن ماجه « خير أكحالكم الأثمد يجلو البصر وينبت الشعر » وجاء فى رواية أخرى « عليكم بالأثمد فانه منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر » وكان للنبى ﷺ مكحلة خاصة ، وكان إذا اكتحل اكتحل فى العين اليمنى ثلاثاً ، وفى العين اليسرى اثنتين

(١) هذا الفصل زدناه من زاد المعاد وألحقناه فى هذا الكتاب تماماً للفائدة كتبه محمد منير الدمشقى . (٢) هو فى صحيح مسلم ، والرائحة الطيبة هى غذاء للروح والروح مطية القوى والقوى تزداد بالطيب وهو يقوى الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة ، ويفرح القلب ويسره .

يجعل أولا فى العين اليمنى ميلين ثم فى اليسرى ميلين ثم يجعل ميلا ثالثاً فى العين اليمنى وقال : « من اكتحل فليوتر(١) » وفى الإيتار قولان (أحدهما) أن يجعل فى كل عين ثلاثة ليكون الوتر فى كل عين (الثانى) أن يجعل فى العين اليمنى ثلاثة وفى اليسرى اثنين ، يبدأ باليمنى ويختم بها كما تقدم تفضيلا لليمنى على اليسرى .

﴿ فصل فى القرض والسلف ﴾

كان من العادة النبوية أنه يفى أحسن مما أخذ وأرجح ، وأن يدعو له ، ويقول : بارك الله لك فى أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والأداء ، واقترض مرة من أنصارى مقدار أربعين صاعا من قوت ، فاحتاج الأنصارى فجاء وطالب ، فقال ﷺ : لم يحضرنا شىء ، فأراد الأنصارى أن يغلظ فى الكلام فقال ﷺ احفظ لسانك ولا تقل إلا خيراً فإنى خير من اقترض(٢) ثم بعد ذلك أعطاه أربعين صاعا من القوت ، وأدى إليه أربعين صاعا قرضة فصارت الجملة ثمانين صاعا ، وجاءه فى بعض الأيام غريم فتقاضاه أشد تقاض فأراد عمر بن الخطاب أن يؤذيه ، فقال ﷺ : « مه ياعمر كنت أحوج إلى أن تأمرنى بالوفاء ، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر » وفى مرة أخرى جاء يهودى يتقاضاه ديناً ، فقال له ﷺ : « لم يحل أجل دينك ، فاصبر إلى أن يحل ، فقال له اليهودى : أنتم يابنى عبد المطلب صنعتكم الكذب فى العدة » فجاشت الصحابة وأرادوا إهلاكه ، فسكنهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الحلم ، فقال اليهودى : قد شاهدت فيك جميع علامات النبوة ، ولم يبق إلا واحدة ، وهى أنى كلما زدت على النبى جهلا زاد حلماً وعفواً ، فأردت أن أختبر ذلك وقد علمته ، ودخل فى دين الإسلام من حينه رضى الله عنه .

---

(١) رواه أبو داود (٢) لعل قيام أحد الأنصار بهذه الواقعة بيانا لما يجب أن يكون عليه المتقاضون .

﴿ فصل فى صفة مشيه ﷺ ﴾

كان إذا مشى كأنما ينحط من صبب يخطو تكفؤاً : يعنى كأنما يقلع نفسه من الأرض قلعاً ، وهذا مشى الشجعان ، وأصحاب الهمم العالية ، ومن قلبه حى ، وأعدل ما يكون من المشى ، لأن الماشى إما متماوت يابس كالخشبة أو طائش منزعج قلق مضطرب ، وهذان النوعان فى غاية القبح والذم ودليل على خفة الدماغ ، وقلة العقل أو على الخمول وموت القلب ، وإما بأتم حركة وأقل سرعة ، وهذا النوع يسمى مشى الهون (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) قال المفسرون : يعنى سكينة ووقاراً من غير كبر ولا تماوت ، وهذا النوع من المشى كان له ﷺ ، ومع هذا كان يرى كأنه ينحط من صبب ، وكانت الأرض تطوى له ، وأنواع المشى عشرة هذه الثلاثة و (الرابع) السعى (والخامس) الرمل (السادس) النسلان وهو عدو خفيف (السابع) الخوزلى ، وهو مسير فيه تمايل (الثامن) القهقرى (التاسع) الجمزى ، وهو وثوب فى المسير (العاشر) التبختر ، وهو مشى المتكبرين ، وأفضل هذه الجملة وأكملها الهون الذى هو مشيه ﷺ ، وكان إذا سار مع أصحابه قدمهم أمامه ومشى خلفهم ، وقال : دعوا ظهرى للملائكة ، وكان يمشى منتعلا ، وفى بعض الأحيان يمشى حافياً ، وأصاب إصبع رجله المباركة حجر فى بعض غزواته ، فسال دمها فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

وكان فى السفر يعصب جميع أصحابه ، ويقوى الضعفاء ، ويدعو لهم ، ويحمل المنقطعين ويردفهم فى بعض الأحيان خلفه ﷺ .

﴿ فصل فى كلام النبى وسكوته ، وضحكه وبكائه ﷺ ﴾

أما كلامه ، فكله فصل بين لو شاء أحد أن يعد كلماته فعل ، ولم يكن

يسرده سرداً لا يمكن أن يحفظ ولا يقطعه قطعاً يظهر انفصاله ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : « ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه » وكان فى بعض الأحيان يعيد الكلمة ثلاث مرات ليتمكن السامع من حفظها ، وغالب أحواله السكوت والسكون لا يتكلم إلا عن ضرورة ، وإذا تكلم تكلم بجميع فمه وأشداقه بلا غمغمة ولا همهمة ، أكثر نطقه بجوامع الكلم ، ولم يكن يحرك لسانه بما لا يعنيه ، وكان إذا كره أمراً ظهر أثر ذلك على وجهه المبارك ، وما نطق بفحش أبداً(١) ، وكان لا يضحك كثيراً جل ضحكه التبسم وغايته أن تبدو نواجذه ، وكان لا يضحك لكل ما يضحك منه ، وأما بكاؤه فمعتدل نظير ضحكه ، ودموعه جارية يسمع من صدره أزيز ، وبكاؤه إما لميت أو لشفقة على الأمة أو من خوف الخالق تعالى ، وكان يبكى فى بعض الأحيان عند سماع القرآن ، وذاك بكاء اشتياق ومحبة وإجلال ، وفى بعض الأحيان كان يبكى فى صلاة التهجد ، ومرة بكى فى الصلاة وقال : رب ألم تعدنى أنك لا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك ؛ والعلماء يقولون : البكاء على عشرة أنواع : بكاء فرح ، وبكاء جزع ، وبكاء رحمة ورقة ، وبكاء خوف وخشية ، وبكاء محبة ، وبكاء غم ومصيبة ، وبكاء ضعف ووحشة وبكاء نفاق ومداهنة وبكاء كذب وعارية كبكاء النائحة وبكاء مؤالفة وموافقة كما إذا رأى جماعة يبكون ، ولم يعلم سبب بكائهم فيبكى موافقة لهم.

﴿ فصل فى الفطرة وتوابعها ﴾

للعلماء أقوال فى ختانه ﷺ : (أحدها) أنه ولد مختونا مسروراً . (الثانى) أن الملائكة ختنته فى اليوم الذى شق فيه صدره المبارك وملىء علما

(١) أنظر أهداف سورة الكهف الطبعة المنيرية .

وحكمة ، وذلك خلف خيمة حليمة رضى الله عنها ، وكان ختانه فى ذلك اليوم (الثالث) أن جده عبد المطلب ختنه فى اليوم السابع وسماه وأضاف ، وكان ﷺ يحب التيامن فى كل شىء حتى تنعله وترجله وأخذه وعطائه وأكله وشربه ووضوئه ، واليد اليسرى لإزالة الأذى والقذى والاستنجاء والاستبراء ، وما أشبه ذلك ، وكان يحلق جميع رأسه ، ولم يروا أنه حلق فى غير حج أو عمرة ، وكان يحب التسوك ، وورد فى فضله أربعون حديثا ، وكان يتسوك مفطراً وصائما ، وعقيب النوم ، ووقت الوضوء ، ووقت الصلاة ، وعند دخول البيت ، وكان سواكه عود الأراك ، وكان يحب الطيب ، ويستعمله كثيراً ، وجاء فى بعض الروايات : « أنه ﷺ استعمل النورة » وكان أولا يرسل جميع شعره خلف قفاه ثم فرقه ، فجعل على كل جانب فرقة ولم يدخل الحمام أبداً ، والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله المشهورة بحمام النبى لعلها بنيت فى موضع اغتسل فيه مرة(١) والله أعلم ، ولم يصبغ شعره أبداً ، ولكن كان يستعمل الطيب كثيراً فظن بعضهم أنه خضب ، وكان يدهن شعر رأسه ولحيته كثيراً ، وكان يسرح رأسه حينا فحينا يباشر ذلك بنفسه ، وقد يأمر عائشة فتسرحه ، وكانت جمته إلى شحمتى أذنيه ، فإذا طالت جعلها أربع غدائر ، قالت أم هانىء : « قدم علينا رسول الله ﷺ مكة قدمة وله أربع غدائر » وكان لا يرد الطيب ويمنع من رده ، وقال : أطيب الطيب المسك ، وكان يحب زهر الحناء .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يقص شاربه ويقول : « من لم يأخذ من شاربه فليس منا (٢) » وقال « خالفوا المجوس جزوا الشوارب وارخوا اللحى(٣) »

---

(١) قيل بناها جقمق ملك مصر (٢) رواه الترمذى وقال حديث صحيح
(٣) رواه مسلم فى صحيحه

وفى الصحيحين « خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب » وفى صحيح مسلم عن أنس « أن النبى ﷺ وقت لقص الشارب ، وتقليم الأظفار أن لا يدع ذلك أربعين يوما » وفى قص الشارب للعلماء أقوال ، قال الإمام مالك يكتفى فى ذلك أن يظهر طرف الشفة ولا يزيد على ذلك لئلا يصير مثلة وحلق الشارب بدعة يعزر فاعله قال ، الطحاوى : ولا نص للإمام الشافعى لكن رأيت أصحابه مثل المزنى ، والربيع يحفون ، وهذا دليل على أنهم أخذوه عنه ، وأما الإمام أبو حنيفة ، وزفر ، وأبو يوسف ، ومحمد فمذهبهم الإحفاء ، والإحفاء الأخذ من الأصل ، وقد ثبت فى الحديث أنه ﷺ أخذ من شاربه على سواك ، وهذا لا يتصور مع الإحفاء والحديث المتفق عليه « عشرة من الفطرة قص الشارب » إلى آخره صريح فى القص والقص مع الإحفاء غير متصور . قال الطحاوى : لما كان استحباب القص مجمعاً عليه كان الحلق أفضل قياساً على الرأس ، وفى هذا القياس نظر ، لأن فى إحفاء الشارب قبحاً ظاهراً ونوع مثلة .

﴿ فصل فى الجهاد وآدابه ﴾

الجهاد ذروة سنام الإسلام ، ومقام أهله فى الدنيا والعقبى أعلى المنازل ، لا جرم كان حظ الجناب النبوى من ذلك أوفر الحظوظ ، وعادته فى سلوك طرقه أكمل العادات وأجلها ، وأوقاته وساعاته موقوفة على الجهاد باللسان وبالجنان وبالدعوة والبيان وبالسيف والسنان (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال تعالى: (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) وقالت العلماء : مراتب الجهاد أربع مراتب ، جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين (أما) جهاد النفس فعلى أربع مراتب (إحداهن) الجهاد فى تعليم الهدى (ودين الحق الذى لا فلاح للنفس

ولا سعادة فى معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه شقيت فى الدارين (١) (الثانية) الجهاد فى العمل بذلك العلم(٢) . (الثالثة) الجهاد فى الدعوة لذلك العلم وتعليم آدابه ، (الرابعة) الجهاد على الصبر ، واحتمال مشقات الدعوة ـ إلى الله ـ وأذى الخلق ومن استعمل هذه المراتب الأربعة دعى فى ملكوت السموات عظيما .

وأما جهاد الشيطان فعلى مرتبتين (الأولى) الجهاد على دفع ما يلقيه من الإرادات والشهوات ، وسلاح الأول اليقين ، وسلاح الثانى نوع صبر . (وأما) جهاد الكفار والمنافقين فعلى أربع مراتب : القلب ، واللسان ، والمال، والنفس (وأما) جهاد أرباب الظلم والمنكر والبدع فعلى ثلاث مراتب (الأولى) باليد وإن عجز فباللسان ، وإن عجز فبالقلب ؛ هذه مراتب الجهاد وهى ثلاثة عشر . ومن لاحظ له منها فهو منافق . من مات ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ، وأكمل الخلق فى مجموع هذه المراتب هو سيدنا رسول الله ﷺ لأنه من أول يوم البعث إلى يوم الوفاة لم يزل فى الجهاد ، يدعو الجن ، والإنس ، والعرب ، والعجم ، والصغير ، والكبير ، والعبد ، والحر ، والأنثى ، والذكر إلى الحق ، ويريهم الطريق ، ويمنعهم من الكفر والضلال ﷺ ، ولما أطلق لسانه بسب الأصنام قامت كفار قريش بعداوته ، ولما بلغوا من أذيته الغاية ، ومن معاداته النهاية أمر بالهجرة فهاجر جماعة إلى أرض الحبشة : عثمان بن عفان ، ورقية بنت رسول الله ﷺ ، وعشرة غيرهم . ثم أسلم حمزة ، وفشا الإسلام وتزايد ، فاضطرب

---

(١) الزيادة من زاد المعاد وكذلك ما بعده . (٢) وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

الكفار لذلك اضطرابا شديداً ثم تعاقدوا على أن لا يناكحوا بنى عبد المطلب وبنى عبد مناف ، ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم النبى ﷺ ، وكتبوا بهذه الجملة كتاباً علقوه فى سقف الكعبة فشلت يد الكاتب ، وأكلت الصحيفة الأرضة إلا موضع اسم الله ورسوله ، هذا وبنو المطلب محصورون فى الشعب مدة ثلاث سنين ، حتى أخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر أبا طالب بذلك ، وهو أخبر كفار قريش وقال لهم : انظروا ، فان كذب أسلمناه لكم ، وإن صدق فارجعوا عن هذا الحال ؛ فقالوا : قد أنصفت ، ولما أنزلوا الصحيفة ورأوها ازدادوا كفراً وطغيانا ثم بعد ستة أشهر توفى أبو طالب ، وبعد ثلاثة أيام توفيت خديجة وتضاعفت أذية الكفار ، فخرج ﷺ من مكة إلى الطائف فلم يجد من الطائف مساعدة ولا موافقة فرجع ، ولما وصل فى رجوعه إلى نخلة جاءه الجن وعرضوا إسلامهم عليه ، ولما رجع إلى مكة عرج به فأخبر كفار قريش بما شاهد فى تلك الليلة من رؤية الأنبياء ، وفرض الصلاة . فلما سمعوا هذا ازدادوا فى تكذيبهم ، وزادوا فى إيذائهم ، وكان المعراج مرة واحدة ببدنه فى اليقظة وبعضهم يقول مرتان ، وبعضهم يقول ثلاث مرات ، وبعضهم يقول أربع مرات ، وبعد الإسراء بسنة وشهر أمر بالهجرة ، فاستصحب أبا بكر بأمر البارى تعالى وسافر ، ولما وصل المدينة فرح الأنصار بقدومه ، وقدموا محبته على الآباء والأبناء ، فقامت العرب لعداوتهم ، وشنوا عليهم الغارة من كل جانب . فنزلت آية القتال ، وحصل الإذن فيه بعد حرمته ثم افترض ، والأحاديث الثابتة فى فضل الجهاد تزيد على أربعمائة ، وكان يبايع الصحابة على أن لا يفروا يوم الزحف ، وفى بعض الأحيان كان يبايع على الموت ، وكان يشاور أصحابه فى أمر الجهاد ، قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أكثر

مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ ، وكان يسير فى عقب العسكر ويحمل من أعيائه ويرفق فى سيره أتم الرفق ، ويرسل الجواسيس إلى الأعداء ، ويقدم الطلائع والمقدمات بين يديه ، ويبث الخيل حول العسكر ، وكان إذا قابل العدو استقام ودعا الله ، وسأله النصرة واشتغل بذكر الله هو وأصحابه ثم أخذ فى ترتيب العسكر بنفسه ﷺ وكان يعين المقاتل المبارز وفى حضرته تقع المبارزة بأمره ، وكان يلبس لامة الحرب ، وربما ظاهر بين ذرعين ، وكان فى عسكره الرايات والأعلام ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بساحتهم ثلاثة أيام ثم رجع ، وكان إذا أراد الغارة على قوم انتظر . فإن سمع فيهم أذاناً لم يغر عليهم ، وكان فى بعض الأحيان يأتى العدو بياتا ، وقد يشن الغارة بالنهار ، ويحب السفر يوم الخميس ، وكان إذا نزل العسكر فى منزل جمع بينهم حتى لو أن أحداً غطاهم بثوب لعمهم جميعاً ، وكان يعبى الصفوف بنفسه ، وفى وقت القتال كان يعين الشجعان بيده ويقول: يافلان تقدم يافلان تأخر وفى بعض الأحيان عند لقاء العدو قرأ هذا الدعاء « اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم . سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر . اللهم انزل نصرك اللهم أنت عضدى ، وأنت نصيرى ، وبك أقاتل » وكان إذا التحم الحرب وحمى الوطيس وقصده العدو قال بأعلى صوته : « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب» ، وكان الشجعان من أصحابه إذا اشتد بهم الأمر اتقوا به وكان أقربهم إلى العدو ، وكان يعين لأصحابه شعاراً يعرف به بعضهم بعضاً كان شعارهم مرة أمت أمت ، ومرة يامنصور يامنصور ، وحيناً حم لاينصرون وكان فى بعض الأحيان يلبس الدروع ويجعل الخوذة على رأسه ، ويتقلد حمائل السيف ، ويحمل الرمح ، ويعتضد القوس ، وربما رفع الدرقة ،

وكان يحب التبختر فى حال الحرب ، ويسوى المنجنيق على الأعداء كما فعل فى الطائف ، ونهى عن قتل النساء والأطفال ، وأمر المقاتلة أن ينظروا فمن ثبت قتلوه ومن لم يثبت استحيوه وأسروه ، وكان إذا أرسل طائفة للغزو أمرهم بتقوى الله فقال : « سيروا باسم الله وفى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً » ونهى عن حمل القرآن إلى دار الحرب ، وكان إذا بعث سرية أمر أميرها أن يدعو إلى الإسلام والهجرة أو الإسلام فقط بغير هجرة ، ويكون حكمهم حكم أعراب المسلمين لا نصيب لهم فى مال الفىء ، ويبذلوا الجزية ، وإن امتنعوا من جميع ذلك استعان بالله وقاتلهم ، وكان ﷺ إذا ظفر بقوم أمر أن ينادى بجمع الغنائم كلها ، ثم ابتدأ بالسلب فأعطى كل قاتل سلب مقتوله ـ يعنى ثيابه وما عليه ـ ثم يخرج خمس الباقى ، ويصرفه فى مصالح الإسلام كما عينها الله تعالى ، ومابقى منه أعطى منه النساء والصبيان والأرقاء ، ثم قسم الباقى بين العسكر للفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهم ؛ هذا هو الصحيح ، والأنفال من سلب الغنيمة على مايرى فيه من المصلحة ، وقال بعضهم : كانت الأنفال من جملة الخمس ، وبعضهم يقول : من خمس الخمس وذا أضعف الأقوال ، وفى بعض الغزوات أعطى سلمة بن الأكوع خمسة سهام لأنه فى تلك الغزوة رافقه توفيق عظيم ، وظهر من إقدامه أمور عجيبة وكان يسوى بين الضعيف والقوى فى القسمة ، وكان إذا قصد ديار العدو فى بعض الأحيان يرسل سرية فإن ظفروا بغنيمة أخرج منها الخمس وأخرج الربع من الباقى وخص به السرية ، وقسم الباقى بينهم وبين العسكر بالسوية ، ومع هذا كان يكره النفل ، ويقول : ينبغى للأقوياء أن يردوه على الضعفاء ، وكان له ﷺ من الغنيمة سهم خاص يقال له الصفى إن أراد عبداً أو أمة أو فرساً

أو ما أحب أخذه قبل الخمس ، وصفية أم المؤمنين ، وذو الفقار من تلك الجملة ، وإن غاب أحد عن المعركة لمصلحة المسلمين دفع له سهماً كما فعل مع عثمان فى يوم بدر حيث كان مشغولا بتمريض بنت النبى ﷺ فقال ﷺ : إن عثمان انطلق فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب له بسهمه وأجره ، وسهم ذوى القربى كان يقسمه بين بنى هاشم ، وبنى المطلب ، ولا يعطى لإخوانهم من بنى عبد شمس ، وبنى نوفل شيئاً وقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد ، وما وجدوا فى المغازى من طعام مثل العسل والعنب والجوز وغير ذلك أكلوه . أخذ عبد الله بن مغفل جراب شحم وقال : لا أعطى أحداً منه شيئاً فأقره على ذلك ، وكان يشدد فى أمر الغلول والخيانة تشديداً عظيما ويقول : هو نار وعار وشنار على أهله إلى يوم القيامة ، وغل شخص فأمر بإحراق ما اختانه ، وكذلك فعل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وهذا من باب التعزير بالمال ، والله أعلم .

﴿ خاتمة الكتاب (١) ﴾

فى الإشارة إلى أبواب روى فيها أحاديث وليس منها شىء صحيح ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث وإن كانت هذه الحروف فى غاية الاختصار لكنها تشتمل على علوم تدخل فى حد الإكثار ينبغى أن يعلم أن باب الإيمان وما هو مشهور كالإيمان قول وعمل ويزيد وينقص والإيمان لا يزيد ولا ينقص لم يثبت عن حضرة الرسالة فى هذا المعنى شىء ، وهو من أقوال الصحابة

(١) تساهل المصنف رحمه الله تعالى هنا فى هذه الخاتمة ، وهو فى غالب ما ذكر متابع لابن الجوزى فى كتابه الموضوعات ، وقد رد عليه الحافظ المسند الشيخ محمد بن حسن المعروف بابن همات الدمشقى شيخ المرتضى الزبيدى المتوفى سنة خمس وسبعين ومائة وألف فى كتاب أسماه التنكيت والافادة فى تخريج خاتمة سفر السعادة ، ولذلك اكتفينا بالاشارة إليه ، والله أعلم .

والتابعين ، وباب المرجئة والأشعرية لم يصح فيه حديث . وباب كلام الله قديم غير مخلوق ، وفى هذا المعنى وردت أحاديث بألفاظ مختلفة ، ولم يصح عن حضرة صاحب الرسالة فيها شيء ، وكل ما قيل فهو من كلام الصحابة أو التابعين وباب خلق الملائكة والحديث المنسوب إلى أبى هريرة أنه ﷺ قال : يأمر الله جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا ، لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شيء ، ولم يثبت فى هذا المعنى حديث ؛ وباب العلم وفضيلة التسمية بمحمد وأحمد والمنع من ذلك لم يصح فيه شيء ، وباب العقل وفضله لم يصح فيه حديث نبوى ، وباب عمر الخضر والياس(١) ، وطول ذلك وبقائهما لم يصح فيه حديث وباب العلم ، وحديث طلب العلم فريضة ، وكل ما فى هذا المعنى ليس فيه حديث صحيح ، وباب من سئل عن علم وكتمه لم يصح فيه حديث ، باب فضائل القرآن من قرأ سورة كذا فله كذا من أول القرآن إلى آخره سورة سورة وفضيلة قراءة كل سورة رووا ذلك وأسندوه إلى أبى بن كعب ، ومجموع ذلك مفترى، وموضوع بإجماع أهل الحديث ، والذى صح من باب فضائل القرآن أنه قال له : ألا أعلمك سورة هى أعظم سورة فى القرآن : الحمد لله رب العالمين ، وحديث البقرة ، وآل عمران غمامتان ، وحديث آية الكرسى والذى قاله لأبى : أتدرى أى آية من كتاب الله أعظم ؟ وحديث يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمهم البقرة وآل عمران ، وحديث من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة فى كل ليلة كفتاه ، وحديث لقد صدقك وأنه لكذوب فى فضل آية الكرسى وحديث فضل المعوذتين أنزل على آيات لم ينزل مثلهن قط ، وحديث الكهف من

(١) أنظر أهداف سورة الكهف الطبعة المنيرية .

قرأ منها عشر آيات عصم من الدجال ، وباب فضائل أبي بكر الصديق رضى الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات أن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ، وحديث ما صب الله فى صدرى شيئاً إلا وصبه فى صدر أبي بكر ، وحديث كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيبة أبي بكر ، وحديث أنا وأبو بكر كفرسى رهان ، وحديث إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر ، وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل ، وباب فضائل على رضى الله عنه ومنقول فيه أحاديث لا تعد ، ومن أفضحها الأحاديث المجموعة فى الكتاب المسمى بالوصايا النبوية أول كل حديث منها ياعلى ، والثابت من تلك الجملة حديث واحد « ياعلى أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ، وباب فضل معاوية ليس فيه حديث صحيح ، وباب فضائل أبي حنيفة والشافعى وذمهم ليس فيه شىء صحيح ، وكل ما ذكره من ذلك فهو موضوع ومفترى ، وباب فضائل البيت المقدس ، والصخرة ، وعسقلان ، وقزوين ، والأندلس ودمشق ليس فيه حديث صحيح ، غير لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . وحديث سئل عن أول بيت وضع فى الأرض فقال : المسجد الحرام . قيل : ثم ماذا؟ قال : ثم المسجد الأقصى ، وحديث إن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة وباب إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً قال جماعة لم يصح فيه حديث ، وجماعة قائلون بصحته ، وقد أورده أكابر أهل الحديث فى مصنفاتهم ، وباب استعمال الماء المشمس لم يصح فيه حديث ، وباب تنشيف الأعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث ، وباب تخليل اللحية ومسح الأذنين والرقبة لم يصح فيه حديث . وباب الوضوء من نبيذ التمر لم يصح فيه حديث ، وباب أمر من غسل ميتاً بالاغتسال لم يصح فيه حديث ، وباب النهى عن دخول الحمام لم يصح فيه شىء وباب بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة لم يصح فيه حديث ، وباب

الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن المروى بأسانيد عديدة لم يصح فيه شيء : وباب لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد لم يصح فيه شيء ، وباب جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر لم يصح فيه شيء ، وباب إثم الإتمام وإثم الصيام فى السفر لم يصح فيه حديث ، وباب لا صلاة لمن عليه صلاة لم يصح فيه شيء وباب القنوت فى الفجر والوتر لم يصح فيه حديث بل قد ثبت عن بعض الصحابة فعل القنوت ، وباب النهى عن الصلاة على الجنازة فى المسجد لم يصح فيه حديث ، وباب رفع اليدين فى تكبيرات صلاة الجنازة لم يصح فيه شيء ، وباب الصلاة لا يقطعها شيء لم يثبت فيه شيء ، وباب صلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان ، وصلاة نصف رجب ، وصلاة الأيمان ، وصلاة ليلة المعراج وصلاة ليلة القدر ، وصلاة كل ليلة من رجب وشعبان ورمضان . هذه الأبواب لم يصح فيها شيء أصلا ، وباب صلاة التسبيح لم يصح فيه حديث ، وباب زكاة الحلى لم يثبت فيه شيء ، وباب زكاة العسل مع كثرة ما روى فيه لم يثبت فيه شيء ، وباب زكاة الخضروات لم يثبت فيه شيء ، وباب السؤال اطلبوا من الرحماء ومن حسان الوجوه ، وكل ما فى هذا المعنى مجموعه باطل وباب فضل المعروف والتحذير من التبرم بحوائج الخلق لم يثبت فيه شيء ، وباب فضائل عاشوراء ورد استحباب صيامه وسائر الأحاديث فى فضله ، وفضل الصلاة فيه ، والانفاق ، والخضاب ، والادهان ، والاكتحال ، وطبخ الحبوب وغير ذلك مجموعه موضوع ومفترى . قال أئمة الحديث : الاكتحال فيه بدعة ابتدعها قتلة الحسين ، وباب صيام رجب وفضله لم يثبت فيه شيء ؛ بل قد ورد كراهة ذلك ، وباب الحجامة تفطر الصائم لم يصح فيه شيء ، وباب حجوا قبل أن لا تحجوا ، وحديث من أمكنه الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً لم يثبت فيه شيء ، وباب كل قرض

جر منفعة فهو ربا لم يثبت فيه شيء ، وباب لانكاح إلا بولى وشاهدى عدل لم يصح فيه شيء ، وباب الأمر باتخاذ السرارى لم يثبت فيه شيء ، وباب مدح العزوبة لم يثبت فيه شيء ، وباب حسن الخط والتحريض على تعلمه لم يثبت فيه شيء ، وباب النهى عن قطع السدر لم يثبت فيه شيء ، وباب فضل العدس والباقلاء والجبن والجوز والباذنجان والرمان والزبيب لم يصح فيه شيء ، وإنما وضع الزنادقة فى هذه الأبواب أحاديث وأدخلوها فى كتب المحدثين شيناً للإسلام خذلهم الله تعالى ، وباب فضل اللحم وأن أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم لم يثبت فيه شيء ، وباب النهى عن قطع اللحم بالسكين لم يثبت فيه شيء ، وباب فضل الهريسة لم يثبت فيه شيء ، والجزء المشهور فى ذلك مجموع أحاديثه مفترى ، وباب النهى عن أكل الطين لم يثبت فيه شيء ، وباب الأكل فى السوق لم يثبت فيه شيء ، وباب فضائل البطيخ لم يثبت فيه شيء ، وأحاديث كتاب البطيخ مجموعها باطل وموضوع ، والثابت من تلك الجملة « أن رسول الله ﷺ كان يأكل البطيخ » ، وباب فضائل النرجس والمرزنجوش والبنفسج والبان لم يثبت فيه حديث ، وحديث من شم الورد وحديث خلق الورد من عرقى ، وأمثال هذه كلها موضوعة باطلة ، وباب فضائل الديك الأبيض لم يثبت فيه شيء ، والحديث المسلسل المشهور فيه الديك الأبيض صديقى باطل وموضوع ، وباب فضائل الحناء ليس فيه شيء صحيح ، وباب النهى عن نتف الشيب لم يثبت فيه شيء ، وباب التختم بخاتم من عقيق ، والتختم فى اليمين لم يثبت فيه شيء ، وباب النهى عن عرض الرؤيا على النسوان لم يصح فيه شيء ، وباب تكلم النبى ﷺ بالفارسى مثل العنب دودوو باسليمان شكم درد لم يصح فيه شيء ولم يثبت ، وباب كراهة الكلام بالفارسى لم يثبت فيه شيء ، وحديث كلمة فارسية ممن يحسن العربية لمن يحسنها

خطيئة خطأ ، وباب ولد الزنا ، والمشهور من ذلك ولد الزنا لا يدخل الجنة لم يثبت بل هو باطل ، وباب ليس لفاسق غيبة وما فى معناه لم يثبت فيه شىء وباب النهى عن سب البراغيث لم يثبت فيه شىء ، وباب ذم السماع لم يرد فيه حديث صحيح ، وباب اللعب بالشطرنج ليس فيه حديث صحيح ، وباب لا تقتل المرأة إذا ارتدت ما صح فيه حديث بل صح خلاف ذلك « من بدل دينه فاقتلوه » وباب إذا وجد القتيل بين قريتين ضمن أقربهما ما ثبت فيه شىء ، وباب من أهديت له هدية وعنده جماعة فهم شركاء ما ثبت فيه شىء وباب ذم الكسب وفتنة المال ما ثبت فيه شىء ، وباب ترك الأكل والشرب من المباحات ما صح فيه شىء ، وباب الحجامة واختيارها فى بعض الأيام ، وكراهتها فى بعضها ما ثبت فيه شىء ، والثابت فى هذا الباب أنه أمر بالحجامة ، مر أمتك بالحجامة ، وحديث الصحيحين « إن كان فى شىء شفاء ففى شرطة حجام أو فى شربة عسل أو لذعة بنار » ، وباب الاحتكار فيه أحاديث كثيرة منقولة ، ولم يصح فيه شىء سوى حديث مسلم «من احتكر فهو خاطىء» وبعضهم يقول هو منسوخ وبعضهم يحمله على أنه إن أضر بأهل ذلك المقام إولا لا ، وباب مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ما صح فيه حديث . وباب موت الفجاءة ما صح فيه شىء ، وحديث أنها راحة للمؤمن ووخذة(١) أسف للكافر ما ثبت فيه شىء ، وباب الملاحم والفتن والمروى فى ذلك من أن أمير المؤمنين علياً قال للزبير فى يوم الجمل : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ فى ستيفة بنى فلان يقول ليقاتلنك وأنت ظالم له ؟ لم يثبت ولم يصححه أهل الحديث ، وباب ظهور آيات القيامة فى الشهور المعينة ، ومن المروى فيه يكون فى رمضان هدة وفى شوال همهمة إلى غير ذلك ما ثبت فيه شىء ومجموعه باطل ، وباب الإجماع حجة لم يصح فيه حديث ، وباب القياس حجة

(١) فى بعض النسخ « وأخذة » .

لم يثبت فيه شيء وباب ذم المولودين بعد المائة لم يثبت فيه شيء ، وباب وصف ما يقع بعد مائة وثلاثين سنة وبعد مائتي سنة وبعد ثلاثمائة سنة ومذمة أولئك القوم ومدح الانفراد والتجرد في ذلك الوقت مجموعه باطل ومفترى وحديث الغرباء ثلاثة : قرآن في جوف ظالم ، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ، ورجل صالح بين قوم سوء باطل ، وباب ظهور الآيات بعد المائتين لم يثبت فيه شيء . وباب مذمة الأولاد في آخر الزمان وقول : لأن يزني أحدكم بحرو كلب خير له من أن يزني بولد ، وحديث يكون المطر قيظا والولد غيظا لم يثبت من هذه الأحاديث شيء ، وباب تحريم القرآن بالألحان والتغني لم يثبت فيه شيء بل ورد خلاف ذلك في الصحيح وهو أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع فيها قال الراوي والترجيع آ آ آ . وباب تخليل النبيذ لم يصح فيه حديث وباب إذا سمعتم عني حديثاً فأعرضوه على كتاب الله فان وافقه فاقبلوه وإلا فردوه لم يثبت فيه شيء ، وهذا الحديث من أوضع الموضوعات بل صح خلافه « ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه » وجاء في حديث آخر صحيح « لألفين أحدكم متكئاً على متكئه يصل إليه عني حديث فيقول: لا نجد هذا الحكم في القرآن ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه » وباب انتفاع أهل العراق بالعلم والمشي إلى طلب العلم حافياً والتملق في طلب العلم وعقوبة المعلم الجائر على الصبيان والدعاء بالفقر على المعلمين لم يصح فيه شيء ، وباب الحاكة وذمهم ومدحهم لم يثبت فيه شيء وباب إنشاد الشعر بعد العشاء ، وحفظ العرض بإعطاء الشعراء وذم التعبد بغير فقه ، ومذمة العلماء الذين يمشون إلى السلاطين ومسامحة العلماء وزيارة الملائكة قبور العلماء لم يثبت فيه شيء ، وباب افتراق الأمة إلى اثنتين وسبعين فرقة لم يثبت فيه شيء والله أعلم بالصواب .

تم طبع هذا السفر الفريد للمرة الثالثة بعد أن بذلنا جهداً كبيراً فى تحريره والتعليق على بعض الألفاظ ، والعبارات التى تحتاج إلى تعليق تتميما للفائدة ، فجاءت هذه الطبعة ولله الحمد وافية دقيقة ، حيث قد حفزتنا الرغبة فى نشر العلم عن طريق الكتب المعتمدة الصحيحة المعترف بها ممن يشار إليهم بالبنان غير آبهين بما سوى ذلك مما يسعى إليه الماديون ومن فى حكمهم ، والله نرجو أن يوفقنا ويسدد خطواتنا حتى نأتسى بسلفنا الشهير المغفورله « الشيخ محمد منير الدمشقى » ونتم رسالته على الوجه الذى كان يضحى من أجله براحته ووقته حتى لقى الله رضى القلب مطمئن النفس إن شاء الله .

هذا وكان الفراغ منه فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦٨ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تحية .

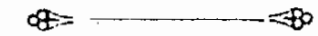

عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثالثة سنة ١٣٦٨ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

بمساعدة

بعض علماء الجامع الأزهر

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

﴿ نقلناها مختصرة من تاج العروس للمرتضى ﴾

هو الإمام الشهير أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ابن أبي بكر بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحق إبراهيم ابن علي بن يوسف قاضي القضاة مجد الدين الصديقي الفيروزابادي الشيرازي اللغوي، قال الحافظ ابن حجر : وكان يرفع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم يكن مرفوعا فيما قاله ، ولد بكازرين سنة ٧٢٩ ، ونشا بها ، وحفظ القرآن ، وهو ابن سبع ، وكان سريع الحفظ بحيث أنه كان يقول : لا أنام حتى أحفظ مائتي سطر ، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان سنين ، وأخذ عن والده وعن القوام عبد الله بن محمود وغيرهما من علماء شيراز ، وانتقل إلى العراق ، فدخل واسط وبغداد ، وأخذ عن قاضيها ومدرس النظامية بها الشرف عبد الله بن بكتاش ، وجال في البلاد الشرقية والشامية ، ودخل بلاد الروم والهند ، ودخل مصر ، وأخذ عن علمائها ، ولقي الجماء الغفير من أعيان الفضلاء ، وأخذ عنهم شيئاً كثيراً بيّنه في فهرسه . وبرع في الفنون العلمية ، ولا سيما اللغة فقد برز فيها ، وفاق الأقران ، وجميع النظائر ، واطلع على النوادر ، وجود الخط ، وتوسع في الحديث والتفسير وخدمة السلطان أبا يزيد ابن السلطان مراد العثماني ، وقرأ عليه وأكسبه مالا عريضاً ، وجاها عظيما ، ثم دخل زبيد في رمضان سنة ٧٩٦ فتلقاه الملك الأشرف إسماعيل ، وبالغ في إكرامه ، وصرف له ألف دينار ، وأمر صاحب عدن أن يجهزه بألف دينار أخرى ، وتولى قضاء اليمن كله . وقرأ

عليه السلطان ، فمن دونه ، واستمر بزبيد عشرين سنة ، وقدم مكة مراراً ، وجاور بها ، وأقام بالمدينة المنورة وبالطائف ، وعمل بها مآثر حسنة ، ومادخل بلدة إلا أكرمه أهلها ومتوليها ، وبالغ فى تعظيمه مثل شاه منصور ابن شاه شجاع فى تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، وأبى يزيد صاحب الروم وابن إدريس فى بغداد ، وتيمورلنك وغيرهم ، وقد كان تيمور مع عتوه يبالغ فى تعظيمه ، وأعطاه عند اجتماعه به مائة ألف درهم هكذا نقله شيخنا والذى رأيته فى معجم الشيخ ابن حجر المكى أنه أعطاه خمسة آلاف دينار ورام مرة التوجه إلى مكة من اليمن ، فكتب إلى السلطان يستأذنه ويرغبه فى الإذن له بكتاب من فصوله ، وكان السلطان الأشرف قد تزوج ابنته ، وكانت رائعة فى الجمال ، فنال بذلك منه زيادة البر والرفعة بحيث إنه صنف له كتاباً ، وأهداه له على أطباق ، فملأها له دراهم ، وكان واسع الرواية سمع من محمد بن يوسف الزرندى المدنى صحيح البخارى ، وسمع من ابن الخباز ، وابن قيم الجوزية ، وابن الحموى ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوى ، وأحمد بن مظفر النابلسى ، والتقى السبكى ، وولده التاج ، ويحيى ابن على الحداد وغيرهم ، وغيرهم بدمشق ، وفى القدس من العلائى والفارقى والعز بن جماعة ، وابن جهبل وغيرهم ؛ وله التصانيف الكثيرة النافعة الفائقة منها الكتاب المسمى بالقاموس المحيط ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف كتاب الله العزيز فى مجلدين ، وتنوير المقياس فى تفسير ابن عباس فى أربع مجلدات ، وتيسير فاتحة الإهاب فى تفسير فاتحة الكتاب فى مجلد كبير ، والدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم ، وحاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص ، وعدة الحكام فى شرح عمدة الأحكام فى مجلدين ، والمغانم المطابة فى معالم طابة ، وسفر السعادة ، وغير ذلك من

مطول ومختصر ذكرها الزبيدى فى شرح القاموس ، وتوفى رحمه الله ممتعاً بحواسه قاضياً بزبيد ـ وقد ناهز التسعين ـ فى ليلة الثلاثاء الموفية عشرين من شوال سنة سبع أو ست عشرة وثمانمائة ، وفى ذيل ابن فهد : وله بضع وثمانون سنة ، ودفن بتربة القطب الشيخ إسماعيل الجبرتى ، وهو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل واحد منهم بفن فاق فيه الأقران على رأس القرن الثامن ، منهم السراج البلقينى فى فقه الشافعى ، وابن عرفة فى فقه مالك ، والمجد اللغوى فى أسرار اللغة ونوادرها ، وترجمه الحافظ ابن حجر فى أنباء الغمر ، واقتفى أثره تلميذه الحافظ السخاوى فى الضوء اللامع ، والسيوطى فى البغية ، وابن قاضى شهبة فى الطبقات ، والصفدى فى تاريخه ، والمقرى فى أزهار الرياض .

* * *

هذا ، وإن من ينظر فى هذا الكتاب القيم الذى يهدى القارىء إلى آفاق الطاعة والمعرفة ، ليدرك مبلغ ما وصل إليه هذا العالم الجليل الذى أطاعت من ترجمته على عظمته الدينية ، ومجده الأدبى ، وبلوغه درجة من سبقوه من هداة الأمة وأئمتها الأعلام . حشرنا الله فى زمرتهم آمين .

﴿ فهرست سفر السعادة ﴾

صفحة

٤ فاتحة الكتاب فى ذكر حال حضرته ﷺ قبل نزول الوحى و بيان عبادته فى تلك الأيام .
٦ باب طهارة حضرة صاحب الرسالة ﷺ .
٨ فصل ثبت فى الأخبار الصحيحة أن النبى ﷺ مسح على الخفين فى السفر والحضر .
٨ فصل كلما تيمم ﷺ ضرب الخ .
٩ باب فى صلاة الرسول ﷺ .
١٣ فصل كان النبى ﷺ إذا فرغ من القراءة الخ .
١٥ « كان النبى ﷺ إذا هوى الخ .
١٧ « كان النبى ﷺ يطول الركعات من صلاة الليل اح .
١٨ « كان ﷺ إذا فرغ من السجدة الأولى رفع رأسه الخ .
٢١ « كان ﷺ يقول بعد التشهد : السلام عليكم الخ .
٢١ « من جملة الأدعية التى كان يقرؤها فى الصلاة اللهم اغفرلى ذنبى الخ .
٢٢ « اعلم أن السرور والانشراح وقرة العين وطيب القلب الذى كان كان يجده فى الصلاة الخ .
٢٣ فصل فى نسيان الرسول ﷺ فى الصلاة الخ .
٢٤ « كان رسول الله ﷺ يفتح عينه المباركة فى الصلاة الخ .
٢٥ « كان ﷺ إذا فرغ من الصلاة قال ثلاث مرات أستغفر الله الخ
٢٩ « فصل فى بيان السنن والرواتب من الصلوات التى كان يواظب عليها الخ .

صفحة

٣١ فصل عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان إذا صلى الخ .
٣٢ « فى قيام الليل .
٣٣ « كان ﷺ يستيقظ من النوم الخ
٣٦ « ثبت بروايات صحيحة أنه ﷺ كان يصلى بعد الوتر الخ .
٣٦ « لم يرد فى الصحيح أنه ﷺ قرأ القنوت الخ .
٣٨ « فى صلاة الضحى وعادة الرسول فى ذلك .
٤٣ « كان من عادة رسول الله ﷺ أنه إذا تجددت نعمة أو اندفعت نقمة سجد لله تعالى شكراً .
٤٣ فصل لم يكن ﷺ يترك سجدات القرآن الخ .
٤٤ « فى فضل يوم الجمعة وعبادات النبى ﷺ فيه .
٤٥ من فضائل يوم الجمعة أن الله استوى على عرشه يوم الجمعة ، وذكر عقيدة السلف فى ذلك وبيان تخبيط الحشوية هنا ومدعى التصوف
٤٩ فصل كان من عوائده الكريمة ﷺ أن يعظم يوم الجمعة الخ .
٤٩ خواص يوم الجمعة ذكر منها اثنتين وثلاثين خاصية مفصلة .
٥٧ فصل فى الخطبة النبوية فى يوم الجمعة .
٥٩ « فى صلاة العيد وبيان هدى الرسول فيها .
٦١ « فى عباداته ﷺ فى حال الاستسقاء وبيان الأدعية الواردة فيه .
٦٤ « فى عبادات السفر من دعاء وقصر صلاة .
٦٧ « فصل فى عادة الحضرة النبوية ﷺ حال قراءة القرآن واستماعه وكمال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه .

صفحة

٦٨ فصل فى العادات النبوية فى تفقد المرضى .
٦٩ فصل فى العادة النبوية فى أحوال الميت وأداء حقوقه الخ .
٧٤ « كان إذا دخل وقت الصلاة فى حال القتال تقدم عليه السلام واصطف الأصحاب عقبه الخ .
٧٥ فصل كان من العادة النبوية فى الزكاة مراعاة الفقر الخ .
٧٦ « فصل فى زكاة الفطر وهدى الرسول فيها .
٧٧ « فى أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله ﷺ الذى أنزلت فيه سورة ألم نشرح
٧٩ باب صيام النبى ﷺ
٨١ فصل كان ﷺ إذا سافر فى رمضان أفطر فى بعض الأحيان الخ .
٨٢ « فصل فى صيام النافلة .
٨٣ « لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر الخ .
٨٣ من السنن المتروكة فى عصرنا الحاضر الاعتكاف فى المساجد .
٨٤ باب حج النبى وعمره ﷺ
٨٤ فصل فى سياق حج الرسول ﷺ
٨٦ « وقع السهو لخمس من الطوائف فى صفة حج رسول الله ﷺ الخ
٩٨ « فى دخول الكعبة والوقوف بالملتزم فى طواف الوداع .
٩٩ « اعلم أن الذبائح التى تحصل بها القربة ثلاثة أنواع وتفصيل ذلك
١٠٠ « فصل فى قربان رسول الله ﷺ وصفته .
١٠١ « فى السنة النبوية فى العقيقة .
١٠٥ « ونهى رسول الله ﷺ أن يسمى العنب كرما وبيان ذلك .

صفحة

١٠٦ باب أذكار النبى ﷺ
١١٦ فصل كان ﷺ إذا لبس ثوباً جديداً قرأ هذا الدعاء اللهم الخ .
١١٦ « كان ﷺ إذا رجع إلى بيته قال الحمد لله الذى كفانى الخ .
١١٧ « كان ﷺ يقول عند دخول الخلاء اللهم إنى أعوذ الخ .
١١٧ « فى أذكار الأذان .
١١٨ « فى عشر ذى الحجة .
١١٩ « كان ﷺ إذا رأى الهلال قال اللهم أهله الخ .
١١٩ « كان ﷺ إذا أكل طعاما سمى الله الخ .
١٢٠ « كان ﷺ فى بعض الأحيان إذا دخل البيت يقول هل عندكم طعام الخ .
١٢١ فصل فى السلام والآداب النبوية فى هذا الباب .
١٢٥ « فى الاستئذان .
١٢٥ « كان ﷺ إذا عطس وضع يده المباركة الخ .
١٢٧ « فى أذكار السفر .
١٢٨ « كان ﷺ إذا استوى على الراحلة قال الله أكبر .
١٣١ « كان ﷺ يعلم أصحابه خطبة الحاجة الحمد لله الخ .
١٣٤ « فى ألفاظ ليس فى كراهتها خلاف .
١٣٤ باب فى عموم أحواله ﷺ ومعاشه وهو مشتمل على فصول .
١٣٤ فصل فى طعامه ﷺ وعادته الكريمة .
١٣٥ « فى لباسه ﷺ .
١٣٦ « النبى ﷺ لبس السراويل الخ .

صفحة

١٣٨ فصل فى العادة النبوية فى معاشرة أزواجه الطاهرات ومباشرتهن
١٤٠ « فى نوم سيدنا رسول الله ﷺ ويقظته
١٤٠ « فى الركوب .
١٤١ « كان للنبى ﷺ قطيع من الغنم الخ
١٤١ « باع سيدنا رسول الله ﷺ واشترى
١٤٣ « سابق ﷺ على قدميه الخ
١٤٣ « كان ﷺ يعالج الأمراض بأنواع الخ
١٤٤ « فى علاج استطلاق البطن الخ
١٤٥ « فى علاج الطاعون والوباء
١٤٦ « فى علاج الاستسقاء
١٤٦ « أمر رسول الله ﷺ فى علاج الجراحات برماد من حصير محروق الخ
١٤٧ فصل كان ﷺ يقول الشفاء فى ثلاثة الخ
١٤٨ « كان ﷺ لايحب الكى ومع هذا كان يأمر به الخ
١٤٨ « فى هديه فى علاج الصرع
١٥٠ « فى علاج عرق النساء
١٥٠ « فى معالجة يبس المزاج بالتليين واختيار السنا المكى الخ
١٥١ « فى الحكة وغلبة القمل
١٥١ « فى علاج ذات الجنب
١٥٢ وإذا حدث برأسه ﷺ صداع وضع عليه الحناء ويقول هذا ينفع

صفحة

١٥٢ فصل كان النبي ﷺ يقول لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب الخ
١٥٣ فصل فى علاج العذرة التى تظهر فى حلق الأطفال بالقسط الهندى
١٥٤ « من اشتكى وجع القلب يقال له مفئود الخ
١٥٤ « أمر ﷺ المرضى بالحمية الخ
١٥٥ « أمر ﷺ فى دواء وجع العين بالسكون الخ
١٥٥ « أمر ﷺ فى دواء الخدران الكلى بالماء البارد الخ
١٥٥ « فى إصلاح الطعام والشراب الذى سقط فيه الذباب وهو مبحث نفيس
١٥٦ فصل أمر ﷺ فى علاج البثرات بالذريرة
١٥٦ فصل أمر ﷺ أن يعالج المريض فى بعض الأحيان بالكلمات المطيبات للنفس الخ
١٥٧ فصل فى علاج السم
١٥٨ « فى علاج السحر
١٥٨ « فى العلاج بالقىء
١٥٨ « فى تضمين من يعالج بغير معرفة
١٥٩ « أمر ﷺ باجتناب معاشرة أرباب الأمراض المعدية
١٦٠ « منع ﷺ من التداوى بالمحرمات .
١٦٠ « فى علاج القمل بحلق الرأس .
١٦٠ « فى المعالجة بالأدوية الروحانية الربانية الخ .
١٦٣ « عالج ﷺ جميع الأمراض بهذا الدعاء الخ .

صفحة

١٦٦ « فى علاج الكرب والغم والهم بأدعية مأثورة .
١٦٨ « فى العادة النبوية فى الطعام والشراب .
١٦٩ فصل لم يكن له ﷺ ولا لأصحابه التفات إلى المسكن الخ .
١٦٩ « وأما تدبير النوم واليقظة فكان على أعدل الوجوه .
١٧٠ « فى هديه فى الجماع والباه وهذا الفصل أضافه زيادة على فصول الكتاب المغفور له الشيخ ﴿ محمد منير ﴾
١٧١ « أمر فى حفظ الصحة باستعمال الطيب .
١٧١ « فى حفظ صحة العين .
١٧٢ « فى القرض والسلف .
١٧٣ « فى صفة مشيه ﷺ .
١٧٣ « فى كلام النبى وسكوته وضحكه وبكائه الخ .
١٧٤ « فى الفطرة وتوابعها
١٧٥ « كان ﷺ يقص شاربه الخ
١٧٦ « فى الجهاد وآدابه
١٨١ خاتمة الكتاب فى الإشارة إلى أبواب روى فيها أحاديث وليس منها شىء صحيح وقد غلا المصنف رحمه الله تعالى فى بعضها وقد بين ذلك ابن همات الدمشقى
١٨٩ ترجمة المؤلف نقلها المرحوم الشيخ محمد منير مختصرة من تاج العروس للمرتضى

﴿ تم ﴾